المشرق

السنة الحادية والستون
تموز – تشرين الاول ١٩٦٧

تاريخ البطريركية الانطاكية المارونية

بقلم الاب انطوان ضو الانطوني

في سنة ١٩٥٩ عثرت في دير مار روكز الدكوانه على مخطوطة «كتاب الآثار الحقيقية في دوام كثلكة الطائفة المارونية ، تأليف الاب برنردوس غبيره الحكيم الغزيري ، اب عام الرهبانية الانطونية سابقاً » . طالعت المخطوطة فاعجبني مضمونها ؛ ورحت فيما بعد ادرسها واعلق عليها لاعدها للنشر.

وارتأى صديقي العالم الاب إغناطيوس عبده خليفه اليسوعي الماروني ، مدير مجلة المشرق ، ان ننشر فصلاً من هذه المخطوطة على صفحات المشرق قبل نشرها كاملة ، فلبيت طلبه بطيبة خاطر ، سيّما وللصديق العالم في ذمتي وعود كثيرة في النشر لم احقق منها واحدة حتى اليوم.

وقبل نشر فصل من المخطوطة رأيت من المفيد ان اعرّف باختصار عن الاباتي برنردوس ، على امل ان نتوسع في التعريف عنه عند نشر المخطوطة كاملة بإذن الله.

حياته

ولد الآباتي برنردوس غبيره الحكيّم[١] في غزير ، ودخل في سلك الرهبانية الانطونية فابتدأ وترهب في دير مار اشعيا برمانا ، في ١٢ ايار سنة ١٨٨٩ . وارسلته الرهبانية[٢] فيما بعد الى كلية القديس يوسف في بيروت فتلقى دروسه الثانوية وبعدها ارسل الى روما لمتابعة دروسه الفلسفية واللاهوتية .

وفي سنة ١٨٩٣ سافر الاخ برنردوس الى روما مع اول وفد من طلاب المدرسة المارونية الحديثة في روما . والتي كان قد جددها البطريرك الياس الحويك يوم كان اسقفاً . وكان الفوج الاول الى تلك المدرسة مؤلفاً من خمسة عشر تلميذاً[٣] .

في روما اقام الطلاب في المدرسة المارونية الحديثة في بورتا بينتشانا Porta Pinciana وتابعوا دروسهم الفلسفية واللاهوتية في البروبغندا .

وفي البروبغندا تابع الاخ برنردوس دروسه فنال شهادة الدكتورا في الفلسفة سنة ١٨٩٤ .

ولكن ما طال الزمن في روما حتى دب الخلاف ما بين طلاب المدرسة المارونية . وحاولت السلطات بكل ما لديها من طاقات وقف الخلاف فلم تفلح . وفي نهاية المطاف امر البابا لاوون الثالث عشر بفصل الرهبان عن الاكليريكيين وانزالهم في دير الحلبيين في روما .

---

١) في الرهبانية كان الاب برنردوس يعرف بانه من عائلة غبيره وليس الحكيّم . حتى الناس كلهم يعرفونه بالاب غبيره . ولكن في آخر حياته ، وبعد دراسات عن تاريخ العائلة ، اخذ يزيد على غبيره الحكيّم .

٢) استندت في كتابة سيرة هذا الراهب على « سجل النادرين الاموات في الرهبانية الانطونية ابتداء من سنة ١٩٣٠ ، نمرو ٢ عدد ٦٧ » . وهذا السجل لا يزال مخطوطاً في خزانة مخطوطات الرئاسة العامة للرهبانية الانطونية في دير مار روكز الدكوانه .

٣) هذه هي اسماء طلبة الفوج الاول : فتح الله خوري من بكاسين . الخوري اسقف عبدالله سعد من عشقوت . الخوري عمانوئيل فضل من كفرحورا . الخوري انطون عواد من حصرون . سركيس اسعد الدويهي من اهدن . الخوري اسقف نعمة الله البجاني من بيت شباب . الخوري يوسف الخصري من غبالة . الخوري اسقف بولس قرألي من حلب . يوسف المعلم من ابرشية بيروت .

اما الرهبان فكانوا : الاب بولس عبود الشبلدي . الآباتي برنردوس غبيره الأنطوني والآباتي لويس عبيد الانطوني . وقد انضم اليهم ثلاثة من الرهبان الحلبيين كانوا في روما وهم : الاباتي طوبيا العنيسي . الاباتي جبرائيل الشمالي والاب يوسف منصور . راجع المجلة البطريركية ١١ (١٩٣٦) ، ص ٦٩—٧٠ .

وبعد هذه الاحداث تابع الاخ برزدوس سفره من روما الى باريس وذلك في سنة ١٨٩٧ وراح يتابع دروسه اللاهوتية في سان سولبيس والكثلكة الكاثوليكية . وهناك تعرف الى قسم كبير من المستشرقين منهم صديقه الاب فرنسوا نو .

في سنة ١٩٠١ عاد الآباتي برزدوس من باريس وعين استاذاً للفلسفة في مدرسة الرهبانية الاكليريكية في دير مار اشعيا . وبعد مدة من الزمن وقع خلاف بينه وبين الادارة فاضطر الى ترك منبر الفلسفة منصرفاً الى تعليم الاولاد بينهم اولاد انطوان ملحمه . ولكن الامر لم يطل حتى رجع الى متابعة التعليم الفلسفي في مار اشعيا .

وفي عام ١٩١٠ امرت الزيارة الرسولية على الرهبانيات المارونية بنقل المدرسة الاكليريكية من مار اشعيا الى دير القلعة في بيت مري . فانتقل المعلم مع تلاميذه وظلوا هناك حتى سنة ١٩١٣ . بعدها رجعوا الى مار اشعيا.

في الثالث عشر من ايلول سنة ١٩١٣ عين الاب برزدوس رئيساً عاماً على الرهبانية الانطونية . ودامت رئاسته حتى سنة ١٩٢٢ .

خلال رئاسته العامة تعرضت الرهبانية لاحداث خطيرة . منها وقوع الحرب العالمية الاولى وما سببته من ويلات ودمار . فاحتلت الجيوش العثمانية الاديار ، ومات القسم الكبير من الرهبان . وتشتت شمل الباقين . وزاد في الطين بلة خلاف قسم الرهبانية فريقين : فريق مع الرئيس العام وفريق ضده .

وبعد تركه الرئاسة العامة ذهب الى غزير فعاش هناك ينقب، يدرس يؤلف ويعلم الى ان وافته المنية ، فمات في الثالث من تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ .

تآليفه

أ الكتب المطبوعة

Rome et l'Eglise Syrienne-Maronite d'Antioche (517-1531), Beyrouth 1906.

كتاب الحجج الصحيحة في حقوق الرهبانية الانطونية الصريحة على دير مار الياس غزير ، [بلدون ذكر المطبعة والمكان] ، ١٩٤١ .

ب المخطوطات

١ مخطوط كتاب الفلسفة باللغة العربية : تأليف الاب برزدوس غبيره الحكيّم لما علّم هذه المادة في مدرسة مار اشعيا سنة ١٩٠١ .

٢٠٦×١٥٦ ملم : صفحاته غير مرقومة : ١٩٨ ورقة . ٥ ورقات بيض في آخره . الخط ليس للمؤلف .

٢ تاريخ عائلة الحكيّم نجهل مصير هذا المخطوط .

٣ سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكيين

جاء في مخطوط كتاب الآثار الحقيقية في دوام كثلكة الطائفة المارونية عن هذه السلسلة ما يلي : «وسوف يرى القارئ قريباً كتاباً خاصاً منا في سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكيين مطولة ومتصلة باسباب حيث يجد زيادة شرح وايضاح لهذه المسألة وعلى الله الاتكال» .

هذا المخطوط لم نعثر عليه حتى الآن .

٤ السنكسار الماروني

٢٨٠×٢١٥ ملم : صفحاته غير مرقومة ، مجلد ضخم ، هذا المخطوط كناية عن مشروع اصلاح للسنكسار الماروني كان قد اعده الاب برزدوس ولم يتمكن من طبعه . ويعتبر الاب برزدوس في سنكساره اول من كتب من الموارنة بالاسلوب العلمي في سير القديسين .

ومؤخراً صدر «كتاب السنكسار او سير الشهداء وغيرهم من القديسين بحسب طقس الكنيسة الانطاكية المارونية : قد نظرت فيه ونقحته لجنة : من آباء الرهبانية اللبنانية المارونية : وطبع باذن الرؤساء في مطبعة مهنا — شارع لبنان : بيروت» .

جاء في مقدمة السنكسار المطبوع ما يلي : «ولا بد لنا من الاشادة بفضل البحاثة المرحوم الآباتي برزدوس غبيره الانطوني الذي وضع نسخة للسنكسار الماروني ، ارانا اياها ، يوم كان رئيساً عاماً على الرهبانية الانطونية الكريمة ، بعد ان اطلع على التسعة الاشهر المتروكة عن المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس . وفيما كان الآباتي غبيره ، يعد نسخته للطبع ، فاجأته المنية ، فبقيت تلك النسخة في خزانة الرئاسة العامة ، فتكرم بها علينا صديقنا الآباتي الجليل مارون حريقه رئيس الرهبانية الانطونية الكلي الاحترام . فله خالص الشكر . لانه سهل لنا الافادة منها بما فيها من الوثائق والمستندات التاريخية التي بذل ؛ ولا شك ؛ واضعها رحمه الله ، الجهود

الكثيرة في التفتيش عنها بما كان لديه من المعاجم والموسوعات كموسوعة البولنديين وغيرهم »[١].

هذا الكلام كان للمرحوم الاب بطرس ساره اللبناني. الذي عمل الكثير الكثير في سبيل طبع السنكسار.

ولكن الذي يقابل السنكسار الماروني المطبوع « الذي نقحته لجنة من آباء الرهبانية اللبنانية المارونية »[٢] مع السنكسار الماروني الخطي للآباتي برزدوس ، يلاحظ فوراً ان ما نقح هو مخطوط غيره ، واحياناً كثيرة ظل النص الاصلي على حاله.

وتصديقاً لما نقول سنأخذ نصاً من مخطوط الآباتي غيره لنقابله مع نص آخر من السنكسار لنرى اي شبه بين النصين.

النص الخطي كما كتبه الآباتي برزدوس

اليوم العاشر من تشرين الآخر

ذكر القديس تريفون

ولد هذا القديس في مدينة افاميا من بلد بيثينيه نحو اوائل القرن الثالث وشرع بممارسة الفضيلة منذ حداثته حتى يمكن انطباق كلام القديس امبروسيوس عليه ان التقوة ليست في العمر. اذ انه كان يبشر بعظمة الله ويطرد الشياطين ويشفي الامراض ولما رأى شدة الاضطهاد من داكيوس على المسيحيين خاف ان يفشل احد منهم تحت العذاب فاخذ يشدد ويشجع الضعفاء منهم مقدماً لهم احتياجاتهم فسمع به الوالي كيرينوس قبض عليه ولما تهدده بالحريق ان لم يعبد الاوثان اجابه القديس انني اولى بي الاعتراف بيسوع المسيح القاضي العادل فحاسنه الوالي قائلاً انك شاب

النص المطبوع من السنكسار ص ٧٦–٧٧

اليوم العاشر

تذكار القديس الشهيد تريفون (القرن الثالث)

ولد هذا القديس في مدينة افاميا من بلد بثينية ، نحو اوائل القرن الثالث. وشرع بممارسة الفضيلة منذ الصغر ، حتى تمكن ان يصح فيه قول القديس امبروسيوس : ليست « التقوة بالعمر ». لانه وهو حديث السن ، كان يبشر بعظمة الله ؛ وعلى يده يجري الله المعجزات من شفاء المرضى وطرد الشياطين. ولما اثار داكيوس قيصر الاضطهاد على المسيحيين خاف هذا القديس على ان يفشل احد منهم تحت العذاب ، فهب بما فيه من جرأة وحماسة ، يشدد عزائم الضعفاء ويشجعهم مقدماً لهم احتياجاتهم.

١) ص. ج

٢) هذه اللجنة كانت مؤلفة من الآباء بطرس ساره وجرجس ابي صابر وبطرس التنوري اللبنانيين ، ص. د.

النص الخطي كما كتبه الاباتي بزدوس
اليوم العاشر من تشرين الآخر
ذكر القديس تريفون

فاشفق على نفسك فاجابه القديس ارغب ان اصل الى كمال الحكمة الحقيقية في اتباعي يسوع المسيح فمدّه على آلة العذاب فتقدم اليا القديس من تلقاء نفسه واحتمل عذابا بفرح وكان يشكر الله مدة ثلاث ساعات ولم يفه بكلمة توجّع او تذمّر حتى اندهل الحاضرون من صبره ورباطة جأشه . ثم ان الوالي امر بارجاعه الى الحبس وذهب الى الصيد وقد تشققت رجلا القديس من شدة البرد وبعد رجوعه استنطقه ثانية فوجده مصراً على امانته المقدسة فتركه في السجن الى ان يعد له عذاباً اشد واقسى . ثم انهم مزقوا جسده بالمخاليب الحديدية وعلقوه برجليه وسمروها بمسامير محمية وكسروا اعضائه بضرب العصي وحرقوا جانبيه بمشاعيل . ولما رأى الجلاد صبر القديس تعجب جداً وتأثر كثيراً وتحرك قلبه بالنعمة فاعترف بالمسيح وانزل تحت العذاب مع القديس تريفون وكان اسمه رسيبيوس . ومن ثم قادوهما الى هيكل المشترى اي زوس فاسقطه القديس تريفون بصلاته وسحقه سحقاً . وبعد ان عذبوا رسيبيوس العذاب الذي اجروه على تريفون سمروا ارجلهما وساقوهما مشياً في نواحي المدينة حتى قاسيا الاماً شديدة للغاية اذ ان الوقت كان وقت البرد القارص وكانا يصليان للسيد المسيح ليقويهما على الشيطان وينصرهما بعونه الى النهاية . واخيراً ضربوهما ضرباً

النص المطبوع من السنكسار ص ٧٦–٧٧
اليوم العاشر
تذكار القديس الشهيد تريفون (القرن الثالث)

فقبض عليه الوالي كيرينوس واخذ يتهدده بالحريق ان لم يكفر بالمسيح . ويسجد للاوثان . فاجابه القديس : «خير لي ان اموت معترفاً بيسوع القاضي العادل». فعاد الوالي يتملقه ويلاطفه قائلاً له : اشفق على شبابك وحافظ على مستقبلك. فاجاب : «لا رغبة لي في الحياة الا ان اصل الى كمال الحكمة الحقيقية، باتباعي يسوع المسيح فادي وربي».

عندئذ جاءوا بآلة التعذيب ليمددوه عليها فتقدم هو اليا من تلقائه ، بكل شجاعة ، واحتمل عذابها بفرح شاكراً لله ما انعم به عليه من قوة وثبات ؛ وظل معذباً على تلك الآلة ثلاث ساعات لا يشكو ولا يتذمر حتى ادهش الحاضرين. وقد تشققت رجلاه من البرد . فامر الوالي بطرحه في السجن الى ان يعد له عذاباً اشد واقسى . فمزقوا جسده بمخالب من حديد وسمّروا رجليه بمسامير محمية وحطموا اعضاءه بالضرب وحرقوا جانبيه ، وهو صابر ثابت في ايمانه .

ولدى هذا المشهد ، آمن الجلاد واسمه رسيبيوس وجاهر بايمانه ، فقادوا الاثنين الى هيكل المشتري زوس فاسقطه تريفون

النص الخطي كما كتبه الاباتي برتردوس	النص المطبوع من السنكسار ص ٧٦–٧٧
اليوم العاشر من تشرين الآخر	اليوم العاشر
ذكر القديس تريفون	تذكار القديس الشهيد تريفون (القرن الثالث)
مبرحاً بمخالب رصاصية ولما بقيا احياء مصرين على الايمان امر الحاكم بقطع رأسيهما وهكذا تمت شهادتهما سنة ٢٠٠ للمسيح.»[١].	بصلاته : لذلك آمنت ابنة عذراء كانت هناك . فاستشاط الوالي غيظاً ، وامر بقطع رؤوس الثلاثة فنالوا اكليل الشهادة سنة ٢٥٠ م[٢].

بعد هذه المقابلة مـا بين النصوص، كنا نود ان يذكر «المنقحون» اسم الآباتي برتردوس غيره باكثر صراحة . لان «المنقح» غير «المؤلف»، وان المخطوط يظل باسم المؤلف لا باسم الناشر .

د ـ كتاب الآثار الحقيقية في دوام كثلكة الطائفة المارونية . تأليف الاب برتردوس غيره الحكيم الغزيري، اب عام الرهبانية الانطونية سابقاً: تلميذ كلية القديس يوسف في بيروت والمدرسة المارونية في روما وسان سولبيس والكلية الكاثوليكية في باريس .

٢٢٠ × ١٧١ ملم ، صفحاته غير مرقومة . ٢٠٠ ورقة ؛ ثلاثة اجزاء؛ كل منها يحتوي على الفصول التالية :

الجزء الاول :

فصل في مركز دير القديس مارون ابي الطائفة المارونية .

---

١) اولاً : السنكسار الباسيلي في اول شباط .
ثانياً : السنكسار الروماني في ١٠ تشرين الآخر والبولنديست الصغير في ١٠ ت ٢ .
ثالثاً : مروج الاخبار في ١٠ ت ٢ والسنة الطقسية ١٥ وجه ٣١١ في ١٠ ت ٢ .
رابعاً : مكتبة الآباء الشرقية واليونانية للبولنديين في ١ شباط – في عهد داكيوس .
(B. H. O.) (B. H. G.)
خامساً : كلندار الكنيسة الانطاكية فهرست عواد والسمعاني صفحة ١٢٤ في ١ شباط .
ـ ملاحظة :- يذكر سنكسارنا في هذا اليوم ايضاً : القديس مرتينوس المعترف ربما انه غير شهيد لم ندون سيرته .

٢) للمستندات: السنكسار الباسيلي في اول شباط والروماني في ١٠ ت ٢ مكتبة الآباء اليونانية والشرقية للبولنديين في اول شباط .
كلندار الكنيسة الانطاكية لعواد والسمعاني .

فصل في دير القديس مارون في دمشق .

فصل في القديس يوحنا مارون الاول وفي الجدال الذي بين رهبان ديره في ارض افاميه وبين مطارنة النساطرة سنة ٦٣٠ .

فصل في جدال رهبان مار مارون مع الرهبان اليعاقبة في انطاكية بين سنة ٥٩٤–٥٩٩ .

فصل في وجود نصارى ورهبان كاثوليكيين في لبنان منذ القرن الخامس .

فصل في براءة القديس يوحنا مارون من التهم الموجهة اليه من المطران يوسف داود .

فصل في انتصار رهبان مار مارون لمعتقد الخلقيدوني الكاثوليكي سنة ٦٣٠ بموجب رواية التلمحري ومخائل الكبير .

فصل في جدال اساقفة دير مار مارون مع اساقفة اليعاقبة في دمشق امام معاوية سنة ٦٥٩ .

الجزء الثاني

فصل في حقيقة اعتراف الموارنة بالمشيئتين الطبيعيتين واتفاقهما في المشيئة الواحدة الادبية وفي انكارهم المشيئتين المتضادتين النسطوريتين .

فصل في منشأ المشيئتين الاقنوميتين المتضادتين وفي انكار رهبان مار مارون لها وقولهم باتفاق المشيئتين اي المشيئة الواحدة الادبية .

فصل في كتاب ايمان الموارنة المنسوب الى يوحنا مارون .

الجزء الثالث

فصل ٢٠ مقالة ١٠ من تاريخ التلمحري عن ابن العبري .

الجزء الثاني من رواية التلمحري في اختلاف خلقيدونيي حلب وانقسامهم .

الجزء الثالث من رواية التلمحري في انتخاب البطريرك تاوفيلقطوس وفي اضطهاد الموارنة وفي البطريركية الانطاكية المارونية .

فصل في سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكيين بعد الانفصال اي من سنة ٧٣٠ .

الجزء الرابع من نص التلمحري في معتقد الموارنة .

فصل في ان تعليم الموارنة باتفاق المشيئتين الطبيعيتين بمشيئة واحدة ادبية هو تعليم القديس يوحنا الدمشقي والبابا اونوريوس والكنيسة الكاثوليكية.

قيمة هذا التاريخ

لو ان الآباتي برزدوس غبيره الحكيم نشر مخطوطه في حينه . لكان كتابه اتى بين التواريخ المارونية القيمة . لان فيه من المعلومات والمستندات ما لا تجده في اي تاريخ آخر . ورغم التأخر في نشر هذا المخطوط ، يظل ، على ما اعتقد، تاريخ غبيره مرجعاً قيماً : فيه حقائق جديدة لم يكن يعرفها احد ، كما ان فيه درساً تحليلياً للنصوص لم يسبقه اليه احد.

الا ان المؤلف اهتم ايضاً بالدفاع عن الموارنة اكثر من اهتمامه بالحقيقة التاريخية . تلك اسلوبية كانت دارجة على عهد المؤلف . زد على ذلك لغة عربية ركيكة مع اخطاء لغوية عديدة .

اقدمنا على نشر هذا الفصل من المخطوط بامانة كلية . وعدنا الى المراجع الاصلية ننقل عنها النصوص ، ونصحح بعض الاخطاء التي وقع فيها الناسخ ، كما اهتمينا بضبط المراجع ، ووضع النقط والفواصل ، احياناً قليلة ، والتعليق المختصر والمفيد عند اقتضاء الامر[1] .

---

١) وهناك مقالات اخرى مخطوطة للاباتي برزدوس غبيره الحكيم الانطوني لم نأت على ذكرها في هذا البحث ، منها ما تمكنا من الحصول عليها وحفظها في خزانة المخطوطات الانطونية ، ومنها لا يزال مجهولاً حتى يومنا هذا ، لان يد العبث قد لعبت بمكتبة المرحوم ، وفقدت منها الكنوز الخطية والمطبوعة .

فصل

في سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكيين بعد الانفصال اي من سنة ٧٣٠

اعلم ان رئيس دير مار مارون في زمن اضطهاد البطريرك تاوفيلكتوس[١] لرهبان هذا الدير في سنة ٧٤٥ كان يسمّى الاسقف جرجس كما جاء في المخطوط البريطاني عدد ١٧١٦٧ السرياني[٢] الذي اكتشفه صديقنا العلامة السيد فرنسوى نو الافرنسي حيث جاء في حاشيته : « فليكن ذكر صالح امام الله الاب القدير على كل شيء وامام سيدنا يسوع المسيح وامام الروح القدس المحيي للكاهن مارتي من قرية قولاب في بلاد الصوفانيتين الساكن بدير مار مارون ولتلاميذه الذين شروا هـذا الكتاب كتاب يوحنا الراهب مع عدة كتب غيره للانتفاع بها . وقد دخل اذًا هذا الكتاب الى مكتبة دير مار مارون سنة ١٠٥٦ للاسكندر (سنة ٧٤٥) في زمان الرئيس مار جرجس في خربة ماروبا وكان حافظ المكتبة اسناسيوس من ... ومار سركيس من ديلام ومار قزما من معرة منشرين (قنسرين) ومار زكريا من متا ».

وقد ذكر هذا النص السعيد الذكر المطران يوسف الدبس في تاريخ سوريا ، ثم ذكرته مجلة المشرق[٣] في آذار ١٩٢٦ ، صفحة ٢٣٩ . اما

---

١) عن اضطهاد هذا البطريرك للموارنة راجع Chabot J.-B., *Chronique de Michel le Syrien*, Paris 1905, t. IV, p. 467.

٢) الاصح Br. Mus. Add. 17169, راجع Wright, *Catalogue of Syriac Manuscripts in the British Museum*, London 1871, part II, pp. 450-454.

اما النص السرياني فهو التالي :

ܘܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܟܬܒܢܘܬܐ ܕܐܘܢܓܠܝܘܢ ܗܘܐ ܩܢܝܢܗ ܠܗܢܐ ܐܒܐ ܐܚܝ ܠܗ . ܘܟܬܒܗ ܡܢ

ܝܘܚܢܢ ܝܚܝܕܝܐ . ܘܐܘܣܦ ܚܕ ܘܚܒܪܐ . ܠܟܬܒܐ ܗܠܝܢ ܕܡܢ ܩܕܡ ܐܬܪܐ

ܕܪܘܩܝܐ ܕܒܝܬ ܟܬܒܐ ܕܝܪܐ ܕܡܪܝ ܡܪܘܢ ܡܘܕܥܢܐ ܕܐܠܟܣܢܕܪܘܣ . ܘܗܘܐ

ܠܗܘܢ ܒܫܢܬ ܗܕܐ ܕܡܢܝܢ ܡܫܟܚ ܡܫܝܚܐ ܠܡܠ ܕ ..... ܐ ܕܫܢܝܢ ܚܕܬܐ ܫܢܬܗܘܢ . ܐܝܟ

ܕܒܐܬܪܐ ܕܡܫܡܫܢܘܬܗܘܢ . ܡܢ̄ . ܠܗ ܕܝܢ ܫܢܬܐ ܗܕܐ ܠܟܠܗ ܫܢܝܐ ܕܡܢܝܢ ܡܢܗܘܢ ܠܟܠܗ

ܠܟܠ ܡܫܡܫ ܡܠܟ ܩܘܡܣ ܡܢܝܢ ܕܡܫܝܚܐ ܠܡܘܪܝ ܕܢܘܟܪܝܬܐ (?) ܕܒ ܐܬܪ ܠܟܠ

ܫܢܝܐ ܕܦܝܠܢܬܐ (δεσποτικός) ܐܢܫܝܢ ܕ ..... ܘܐܦ ܡܢܝܢ ܡܢܝܣܡܐ ܕܕܝܠܗܘܢ ܡܢܝܢ

ܡܥܠܝܐ ܕܡܢܐ ܡܪܘܬܐ ܡܢܝܢ ܐܢܫܐ ܕܪܘܚܐ

٣) المشرق ٢٤ (١٩٢٦) ، ص ٢٣٩ .

هذا الرئيس جرجس فلا مشاحة انه كان في ذلك الزمان من الذائعين الشهرة بالقداسة والعلوم الفلسفية واللاهوتية وكانت له اليد الطولى في مبادئ وآراء رهبان مار مارون الدينية والنصيب الاوفر من العذابات التي اجراهـا البطريرك تاوفيلكتوس وعسكره البربري على رهبان ديره المقدس. ومما لا ريب فيه ايضاً ان هذا الرئيس جرجس كان من مؤسسي الكنيسة المارونية في انفصالها واستقلالها الذي رواه التلمحري ؛ وقد تم في زمانه ولذا قد اشتهر هذا الرئيس ليس في دمشق وحلب ومنبج وحمص وجبل لبنان فقط ، حيث كان للموارنة اديرة وشعب على رأيهم بل في جميع اقطار المملكة الرومانية واخصها قسطنطينية. ومن ثم كان لهذا الرئيس النفوذ والكلمة والرأي الذي لديره على جميع الاساقفة المختصين بهذا الدير والتابعين اراءه والمتمسكين بمبادئه الاعتقادية. وان ما زاده شهرة عمّن تقدمه وخلّفه في رئاسة هذا الدير المبارك انما هو الحادث العظيم الذي حصل لرهبانه من اضطهاد بطريرك المكسيميين ومن الانشقاق والاختلاف بعد المجادلات الحامية والدموية بين ذوي حزب دير مار مارون وبين اخصامهم المكسيميين. ولا شك ان هذا الرئيس جرجس قد زار اديرته في دمشق ومنبج وحمص وحماه ولبنان شأن الرئيس الاول والاعلى بصفته رئيس دير مار مارون العظيم.

ونظراً لما لهذا الرئيس من عظم الاهمية في قضية الموارنة ، قد اخذنا بالبحث والتنقيب عنه في ما لدينا من التواريخ اليونانية واللاتينية فلم نهتد الى شيء يتعلق به. لكننا وجدنا له ذكراً ، كبير الفائدة ، وجزيل الاهمية في تواريخ علماء اليعاقبة اعني بهم التلمحري والمؤرخ الآخر المجهول الاسم ؛ وهو من القرن السادس عشر ، وقد طبعه غبطة البطريرك العلامة لطائفة السريانية افرام الرحماني الثاني السرياني فخر المشرق. وهذه هي نصوصها :

نص التلمحري[1] جزء ٣ ف ٢٤
صفحة ٤٧٣

ܣܢܝܢ ܕܟܠܩܝ̈ܕ ܠܗܢܐ ܩܘܣܛܢܛܝ̈
ܘܩܪܝܢ ܠܗ ܣܢܐ ܐܝ̈ܩܘܢܐ . ܡܛܠ ܗܘ
ܕܟܢܫ ܟܢܘܫܝܐ ܘܦܣܩ ܕܠܐ ܢܣܓܕܘܢ
ܠܨܠܡܐ ܘܐܚܪܡ ܠܣܪܓܝܣ ܘܠܝܘܚܢܢ
ܒܪ ܡܢܨܘܪ . ܘܐܦ ܠܓܘܪܓܝ ܩܘܦܪܝܐ .
ܡܛܠ ܕܡܩܝܡܝܢ ܗܘܘ ܠܡܠܦܢܘܬܐ
ܕܡܩܣܝܡܘܣ . ܗܘ ܕܝܢ ܡܠܟܐ ܩܘܣܛ̈
ܘܗܝܪ ܗܘܐ ܒܡܕܥܘܗܝ . ܢܛܘܪ ܗܘܐ ܐܪ̈ܙܐ
ܘܗܝܡܢܘܬܐ ܬܪܝܨܬܐ . ܒܝܕ ܣܢܐܝܢ ܗܘܘ
ܕܟܠܩܝ̈ܕ .

نص المؤرخ اليعقوبي الآخر[2] ف ܡܕܝ
باب ܡܕܝ وجه ٢٢٠

ܗܘܐ ܗܢܐ ܣܢܐ ܡܫܝ̈ܚܝܐ
ܡܣܓܕܢܘܗܝ ܕܐܝܩܘܢܬܐ . ܘܦܩܕ ܕܠܐ ܢܐ
ܕܢܣܓܕܘܢ ܨܘܪ̈ܬܐ . ܘܐܚܪܡ ܗܘܐ
ܠܣܓܘܕܝܗ ܠܣܪܓܝܣ ܘܠܝܘܚܢܢ ܒܪ
ܡܢܨܘܪ . ܘܠܓܘܪܓܝ ܕܩܘܦܪܘܣ .
ܡܛܠܗܘܢ ܕܒܝܫܐ ܠܩܘܦܢܐ . ܣܢܝܢ ܠܗ
ܙܘܥܐ ܠܗܘܢ ܡܠܟܐ . ܟܠ ܕܦܩܕ ܕܠܐ
ܢܣܓܕܘܢ ܨܠܡܐ ܘܨܘܪ̈ܬܐ

« ان الخلقيدونيين كانوا يبغضون قسطنطين هذا ويسمونه مبغض الايقونات وعدوهن لانه جمع مجمعاً فيه امر بتحديد عدم تكريم الصور والسجود لها وحرم هو والاساقفة الذين حضروه : سرجيوس ويوحنا بن منصور وجرجي (هو جرجس الرئيس) الدمشقين وجرجي القبرسي لانهم يقيمون ويؤيدون تعليم مكسيموس. أما هذا الملك قسطنطين فانه كان سامي المدارك وحافظ اسرار الامانة الارثوذكسية (اليعقوبية) ولهذا كان الخلقيدونيون يبغضونه ولم يزالوا الى الآن » .

ان المؤرخين المذكورين يذكران في نصيهما هـــذا جرجي او جرجس ويدعيانه الدمشقي وانه قد حرم مع القديس يوحنا الدمشقي ومع جرجي القديس في مجمع الزور الذي عقده الملك قسطنطين سنة ٧٥٤ وذلك لانهم لم يوافقوه في حرم عبادة الايقونات والصور وليس بما انهم كانوا يؤيدون تعليم مكسيموس كما جاء في نص التلمحري وذلك بما ان جميع المؤرخين صرّحت ان هذا المجمع الزور قد حرم القديس يوحنا الدمشقي مع من حرمه بما انهم كانوا يؤيدون عبادة الايقونات والصور . ثم ان هذا المجمع الذي يتهمه التلمحري بالمونوثلية لم يبحث على ما نعلم بمسألة المشيئة والمشيئتين . امّا اذا كانت عبارة التلمحري هذه صحيحة كان جميع الاساقفة الذين حضروا مجمع الزور هذا في سنة ٧٥٤ مونوثليين هم وكنائسهم

(١ Chabot J.-B., *Chronique de Michel le Syrien*, Paris 1905, t. 3, p. 473.
(٢ Rahmani Ignatius Ephroem, *Chronicon civile et ecclesiasticum anonymi auctoris*, Charfet 1904, p. 220.

ومثكيهم قسطنطين بدون ادنى ريب . اما ذلك فيظهر انه مخالف لواقع الحال لان الكنيسة الشرقية كانت قد سلمت بالمشيئتين منذ المجمع السادس فصاعداً . لكن لاثبات هذه الفترة لان التلمحري نفسه قال قبلاً ان هرطقة مكسيموس كانت قد قبلت قبل سنة ٧٢٧ في كنائس الرومانيين : الا انها لتلك السنة لم تكن قد قُبلت في سوريا .

اما نحن فبسبب هذا التناقض الواضح نرى ان عبادة التلمحري كانت مسبوقة بحرف نفي : لا ، كأن تكون العبارة « لا يقيمون تعليم مكسيموس ». وهذا اقرب للصواب : اذ ان تعليم مكسيموس الذي وصل ودخل الى سوريا بواسطة السابيين والمجوسيين قد فُهم انه اللاعتقاد بمشيئتين متضادتين. حينئذ قام القديس يوحنا الدمشقي ورئيس دير مار مارون جرجس الدمشقي وجرجي القبرسي ينكرون هذا التعليم ويرفضونه لانه ليس بالتعليم الصحيح الذي علّم به القديس مكسيموس الا وهو الاعتراف بالمشيئتين الطبيعيتين المتفقتين بمشيئة واحدة ادبية ، وليس المتضادتين . فيظهر ان امرهم هذا اشتهر حتى حُرموا من مجمع الزور بسببه وقد يصدق هذا القول من ان القديس يوحنا الدمشقي كتب مقالته في المشيئتين تصحيحاً وايضاحاً لتعليم مكسيموس الصحيح الذي كان يضاده تعليم المكسيميين في سوريا كما رأيت . والا لا ترى سبباً آخراً لكتابة القديس يوحنا الدمشقي لتلك المقالة المهمة . لان المونوثليين لم يدخلوا الى سوريا . وقد كان ذكرهم قد محي ايام الدمشقي . ولذا ترى مقالة الدمشقي موجهة الى اليعاقبة والنساطرة لا غير ، لانهم هم الذين كانوا يعتقدون بالمونوثلية . وفي الوقت ذاته موجهة الى الخلقيدونيين جميعاً ايضاحاً لتعليم المشيئتين حذراً من ان يسيئوا فهم وشرح هذا التعليم . اما هؤلاء الرؤساء القديسون المحرومون من مجمع قسطنطين هذا الزور ، فيدل تاوفانوس المؤرخ انهم كانوا اعلام الكنيسة السورية الانطاكية . وقد عقدوا مجمعاً من الاساقفة السوريين في سنة ٧٢١ قرروا فيه عبادة الصور ، وحرموا الملك لاون الكافر والد قسطنطين هذا لانه كان قد اصدر امراً هو ويزيد ملك العرب بقلع الصور من الكنائس والاديرة وهذا نصه :

« Tum vero Damasci Syriæ Joannes Chrysorrohas, Mansur filius, doctor egregius, sanctitate vitæ æque ac doctrina fulgebat, °...° ac denique Joannes una cum totius Orientis episcopis impium Leonem anathemate devinxit »[1].

(1) P.G., t. 108, col. 823-826.

الذي معناه :

« ثم انه قد اشتهر في دمشق في سوريا يوحنا كريسوروهاس بن منصور العلامة العظيم بقداسة سيرته وبغزارة علمه ... ثم انه يوحنا (الدمشقي) هو وأساقفة جميع المشرق قد ضربوا بالحرم لاوون الكافر . »

وقد روى المنبجي[1] صفحة ٣٥٩ فقال : « وفيها (سنة ٧١٦) امر لاون بقلع صور الشهداء من الكنائس والاعمار والديارات فلما بلغ غريغوريوس بطريق رومية ذلك غضب ومنع أهل رومية وايطالية (ليس انطاكية) ان يؤدوا له الخراج » .

ثم قال في الصفحة ٣٧٣ : « وفي هذه السنة (٧٥٤) جمع قسطنطين ملك الروم جمعاً بقسطنطينية زهاء ثلثمائة اسقف في امر الصور التي في الكنائس فبحثوا ونظروا هل يجب السجود لها ام لا . فوافقوا انه غير واجب السجود لها وان ذلك لا يحل البتة . واحضروا شهادات من كتب الله المقدسة القديمة والحديثة ومن مقالات الآباء وحرموا ايناسه بن منصور الدمشقي وغريغور (هو اسم جورجي المذكور في النصوص السريانية كأن الاسمين سيان اي جورجي وغريغور) القبرسي ووضعوا قوانين كثيرة وسموه الجمع السابع »[2].

وقد روى تاوفانوس : ان البابا غريغوريوس اشهر حرم البطريرك انسطاسيوس الذي كان اقامه لاوون وحرمه لاوون وحرّك ايطالية ورومية ضده ورفعها من تحت سلطته . عندئذ استشاط لاوون الكافر غيظاً واشهر الحرب للصور . واجرى الاضطهاد لمن يكرمها . والحق الاذى بالكثيرين من مؤيديها خاصة الاكليروس والرهبان » .

فلا بد انه لحق رهبان مار مارون قسماً من هذا الاضطهاد . وقد بقي لاوون الكافر على اضطهاد مكرمي ومؤيدي عبادة الصور في ايامه كلها ؛ الى ان هلك في سنة ٧٤١ . وقام مكانه ابنه قسطنطين الرابع الذي واصل كفر والده لاوون بمحاربته عبادة الصور واضطهاد مكرميها . وقد زاد عليه اذ جمع في سنة ٧٥٤ مجمعاً زوراً حضره نحو ثلثماية اسقف من الشرقيين كانوا على رأيه وحرموا الايقونات والصور ، كما انهم حرموا مؤيدي عبادة الصور في الكنيسة الانطاكية يوحنا الدمشقي وجرجس الدمشقي رئيس دير مار مارون الذي ذكره التلمحري وجرجس القبرسي .

(١) Agapius Episcopus Mabbugensis, *Historia Universalis*, éd. Cheikho L., CSCO, vol. 65, Louvain 1954, p. 359

ايناسة هو اسم يوحنا الدمشقي كما يقول شيخو .

(٢) *Op. cit.*, p. 373.

ومن ثمّ كان جرجس هذا رئيس دير مار مارون كما برهنا . وقد ذكر ضمناً بين اساقفة المشرق الذين حضروا مجمع القديس يوحنا الدمشقي وحرموا لاوون . والحال ان هذا الحادث جرى قبل انشقاق الخلقيدونيين اي في سنة ٧٢١ . ومنه يُستدل ان دير مار مارون حرم لاوون الملك واثبت عبادة الصور . اما بعد الانشقاق فقد اجتمع واتفق جميع الخلقيدونيين كما يقول التلمحري على بغض الملك قسطنطين لانه عدو الصور ولانهم جميعاً يكرمونها ويقدمون لها العبادة . ولا ريب ان رهبان مار مارون والموارنة كانوا مقدميه وزعماء الكنيسة الخلقيدونية الانطاكية في ذاك الوقت وبالاخص لان كفر عداوة الصور كان قد بثه يزيد ملك العرب ولاوون ملك الروم والاثنان عدواهما .

ورب معترض يقول ان جرجس الدمشقي الذي ذكره التلمحري ليس رئيس دير مار مارون بل هو من آباء الكنيسة اليونانية .

نجيب انه لو كان من آباء الكنيسة اليونانية لكان ذكره مؤرخوها كما ذكروا الدمشقي . والحال انهم لم يذكروه كما ترى في نص تاوفانوس لسنة ٧٤٥ وهذا هو نصه :

وفي هذه السنة ايضاً (٧٤٥) قد جمع قسطنطين الكافر مجمعاً زورياً ضد الصور المقدسة والمكرمة في قصر باريه من ثلثماية وثمانية وثلاثين اسقفاً (وبطريرك القسطنطينية رئيسهم) .

فهؤلاء الاساقفة جميعاً قد قرروا رأيهم الخاص بسلطتهم الخاصة بدون حضور احد من اصحاب الكراسي الكاثوليكية اعني رومية والاسكندرية وانطاكية واورشليم. واشهروا جميعاً هرطقتهم الرديئة علناً . اما جماعة الشعب وقد تجاسروا ان يضربوا بالحرم جرمانوس الكلي القداسة وجرجس القبرصي ويوحنا الدمشقي الرجال القديسين والعلماء الواجب احترامهم ¹.

Eodem etiam anno impius Constantinus adversus sanctas et venerandas imagines illegitimum trecentorum triginta et octo episcoporum in Hieriœ palatio coegit conciliabulum, °...° Isti privatas suas sententias privata auctoritate sancientes nullo catholicarum sedium, Romæ, dico, Alexandræ, Antiochiæ et Hierosolymorum prœsente, °...° qui, omnes pravam suam hœresim coram universo populo promulgaverunt et sanctissimum Germanum, Geogium Cyprium, Joannem Chrysorrhoan Mansuris filium, viros sanctos et venerandos doctores anathemate ferire ausi sunt »[1].

١) P.G., t. 108, col. 862.

فنرى ان هذا النص اليوناني لم يذكر جرجس الدمشقي كما ذكره مؤرخو اليعاقبة. وما ذلك الا بما انه لم يكن من آباء اليونان. ولذا قلنا انه رئيس دير مار مارون السابق ذكره. ولذا سكت عنه مؤرخو اليونان لانه من حزب اخصامهم الموارنة. وقد رأيت اتفاق جميع خلقيدوني انطاكية قبل انفصالهم الى موارنة مكسيميين في سنة ٧٢١ على عصيانهم لتسلك لاوون وتأييدهم ضده عبادة الصور. فلا بد اذاً من ان الموارنة قد بقوا على عبادة الصور وضد محاربيها بعد استقلالهم حتى كان جرجس رئيس ديرهم في مقدمة الزعماء الخروميين من مجمع الزور. وبما ان الجدال والاختلاف والانشقاق حصل بين الخلقيدونيين في سوريا حتى انفصلوا الى طائفتين مارونية ومكسيمية حصلوا في زمان لاوون الكافر وقسطنطين ابنه عدوي الصور. وتمسك المكسيميون وقتئذ بآراء الروم. وجاروا خاطرهم. لا بد من ان عبادة الصور كانت من اسباب الخلاف والانشقاق اذ تبعها الموارنة تحت زعامة رئيس ديرهم القس جرجس وتركها المكسيميون تبعاً للاساقفة والسلكة اعدائها.

اما جرجس الدمشقي رئيس دير مار مارون فلا هو الذي ذكره التلمحري والمؤرخ الآخر اليعقوبي مع يوحنا الدمشقي وجرجس القبرسي وليس شخص آخر غيره وذلك للاسباب الآتية :

١ً لان الاسم هو واحد اي جرجس في التلمحري والمخطوط البريطاني.

٢ً لان الزمان واحد اي ان الرئيس جرجس كان على دير مار مارون في سنة ٧٤٥ والمجمع الذي حرمه في سنة ٧٥٤.

٣ً لان القس جرجس الرئيس هو الوحيد على ما نعلم في ذاك الوقت وقد كان مشهوراً بالزعامة المارونية الخلقيدونية وعبادة الصور.

٤ً لانه رئيس حزب الموارنة الديني المشهور بتمسكه بعبادة الصور اوانئذ.

٥ً لانه كان مشهوراً بعصيانه وعصيان قومه الموارنة على القسطنطينية وعدواً لآرائها الدينية منذ القدم حتى ذاك الوقت. الا وهو رئيس الطائفة المارونية التي استقلت عن الروم منذ سنة ٧٣١ او ٧٢٧ اي من ابتداء الجدال.

٦ً لانه رئيس الطائفة المارونية عدوة الطائفة اليعقوبية منذ القدم وحليفة الملك قسطنطين الآن.

٧ً لان تقليد الموارنة يفيد ان الملك الذي كان يبغض الموارنة ويضطهدهم في ابتداء استقلالهم انما يسمّى قسطنطين. وهذا ما هو الاّ قسطنطين بن لاوون محارب الصور الذي حصل استقلال الموارنة في زمانه. وقد اختلف بسببه الخلقيدونيون في سوريا فانفصلوا الى ملكيين تبعاً الى هذا الملك قسطنطين، وموارنيين تبعاً الى رهبان دير مار مارون العظيم. وهذا مما لا ريب فيه. لان نص التلمحري اثبته ونفى حدوثه في زمان قسطنطين اللحياني، وشهادته اصدق من سواها؛ لانه ثقة واخبر من سواه في حوادث وطنه سوريا؛ خاصة المعاصرة له منها. وحقاً ان من تتبع بامعان رواية التلمحري وظروفها وقابلها مع رواية تقليد الموارنة مبتدا استقلالهم يجد جميع الظروف تطابق بعضها بعضاً. من اسم الملك قسطنطين؛ اما العسكر الذي جاء لدير مار مارون ليختطف اول بطريرك عليهم؛ الى تسميتهم موارنة خلقيدونيين ازاء اخصامهم المسمّين مكسيميين خلقيدونيين؛ الى قيام بطريركهم الاول وهربه الى لبنان؛ الى وجودهم كاثوليكيين ما قبل المجمع السادس وبعده، الى عدم تحيزهم للملوك القسطنطينية؛ وتحيزهم للكرسي الروماني الذي يعبّرون عنه بلفظة «الافرنج».

٨ً لانه من قرية في ضواحي دمشق ولذا لقب بالدمشقي. وكان في دمشق للموارنة دير عظيم على اسم ابيهم القديس مارون وشعب عديد كما برهنا في هذا الكتاب[1] في معرض كلامنا عن دير مارمارون وعن جدال اساقفة الموارنة مع بطريرك واساقفة اليعاقبة في دمشق امام معاوية في سنة ٦٥٨.

٩ً بما ان مؤرخي اليونان لم تذكره وما ذلك الا بما انه لم يكن من حزبهم بل من طائفة مخالفة لحزبهم هي المارونية.

١٠ً بما انه حُرم لانه لم يؤيد تعليم مكسيموس (وليس بما انه ايده كما زوى النص اذ ان الاساقفة الثلاثمائة والثمانية والثلاثين الذين عقدوا مجمعاً زوراً في سنة ٧٥٤ مع قسطنطين لا يعقل انهم كانوا مونوثليين ليحرموا من ايد تعليم مكسيموس) اعني الذي وصل الى سوريا بواسطة المسبيين والمجلوبين مشوهاً فيما فهم من انه يعلن المشيئتين المتضادتين اللتين لم يقبلها رئيس مار مارون جرجس هذا ورهبانه وحزبهم بل رفضوهما

[1] راجع الفصل الثاني من الجزء الاول من هذا المخطوط بعنوان: «فصل في دير القديس مارون في دمشق».

واقروا باتفاقها اي المشيئة الواحدة الادبية ولم يكن رأيهم هذا مخالفاً لتعليم القديس يوحنا الدمشقي بل مطابقاً له كما رأيت . فوالحالة هذه تنطبق هذه الحقيقة على رئيس الطائفة المارونية اكثر ممّا على سواه . وهذا هو جرجس رئيس ديرهم وليس غيره .

١١ً ان مؤرخي اليعاقبة يرون ان جميع الخلقيدونيين بقوا يعترفون بالمشيئة الواحدة الى زمان يوحنا الدمشقي وتاوادورس ابي قره . ومن ثم لم يكونوا يؤيدون تعليم مكسيموس : الى ان قام القديس يوحنا الدمشقي ورفض التعليم بالمشيئتين المتضادتين واوضح تعليم مكسيموس الصحيح . وقام الموارنة يعلنون اتفاق المشيئتين وتحت زعامة رئيسهم جرجس فبلغ ذلك القسطنطينية وتوهموا انه مضاد لهم فحرموا اصحابه الاولين .

١٢ً اما البرهان الراهن فهو ان جرجس هذا يلقبه المخطوط بلقب «مار» المختص بالأسقف والدال عليه . والحال ان رئيس دير مار مارون كان في زمان تاوفيلكتوس اسقفاً كما يصرح التلمحري بقوله : ان رهبان دير مار مارون واسقف ديرهم . والحال ان المخطوط يصرح باسم هذا الاسقف رئيس الدير وهو جرجس . فما هو اذاً الا جرجس الذي حرمه المجمع الزور كما قلنا .

اما جرجس هذا رئيس دير مار مارون الذي كان في زمان استقلال الطائفة المارونية فاننا قد بحثنا عنه في كتب الطائفة القديمة فوجدنا اسمه الكريم في سلسلة بطاركتها بعد انفصالها وهو الثاني فيها . اما الاول فهو تاوفيلوس او تاوافيلي الذي كان البطريرك الأول من سنة ٧٣٥ الى سنة ٧٦٠ وبعده قام جرجس هذا المدعو فيها غريغوري . ولا ريب ان هذه السلسلة لا تذكر الا البطاركة الذين كانوا بعد الانفصال من دير مارمارون الى اواسط القرن العاشر بعد خرابه الذي حصل في سنة ٩٠٠ . وهي لا تذكر البطاركة الذين تولوا على الكرسي الانطاكي قبل الانفصال لانهم كانوا على جميع الخلقيدونيين . اما يوحنا مارون الاول فلانه كان قديساً ورفع على المذابح ويسمّى الدير باسمه .

اما اسم جرجس وغريغوري فهما سيان عند المؤرخين نظراً لترادفها كتابةً في السريانية المكتوب فيها هذا الاسم . وهذه شهادة على ذلك من المؤرخ قسطنطين المنبجي صفحة ٣٣٣ حيث قال :

« في هذه السنة (٧٥٤) جمع قسطنطين ملك الروم جمعاً بقسطنطينية زهاء ثلثمائة اسقف في امر الصور التي في الكنائس ونظروا هل يجب السجود لها ام لا. فوافقوه انه غير واجب السجود لها وان ذلك لا يحل البتة. واحضروا شهادات من كتب الله المقدسة القديمة والحديثة. ومن مقالات الآباء وحرموا ايناسه بن منصور وغريغور القبرصي ووضعوا قوانين كثيرة وسمّوه المجمع السابع »[1].

فترى في هذا النص اسم غريغور القبرصي وهو الشخص ذاته الذي سماه التلمحري وغيره « جرجس القبرصي » ومن ثم كان الاسمان يدلان على شخص واحد بعينه هذا. وعليه كان اسم جرجس رئيس دير مار مارون المذكور في المخطوط البريطاني، واسم غريغوري المذكور في سلسلة البطاركة المارونية يدلان على الشخص ذاته وهو رئيس الدير.

اما عدم ذكر المنبجي لغريغور الدمشقي فما ذلك منه الا بما انه ترجم كتابه عن مؤرخي اليونان ذويه وهؤلاء لم يذكروا جرجس هنا لانه لم يكن من ذويهم يونانياً بل من طائفة اخرى سريانية مخاصمة لهم هي الطائفة المارونية التي كان زعيمها في ذاك العصر. اما المؤرخان اليعقوبيان فانهما قد سمّياه جورجي وهو اسم جرجس ذاته المعطى لرئيس دير مار مارون في المخطوط البريطاني كما ترى.

اما سلسلة البطاركة التي ذكرت اسم جرجس او غريغوري هذا فهي السريانية القديمة العهد التي وقعت بيد المطوّب الذكر والفريد الدهر البطريرك اسطفانوس الدويهي وقد قال عنها هكذا :« ولكن وقع بيدنا كتاب كبير قديم جداً يتضمن الرتب لخدمة القداس الطاهر وهو لابن عمنا الشدياق انطون اخي المطران بولس ذي الذكر الصالح وفي قرب اواخر الكتاب مكتوبة فيه الخدمة التي يقرأها الشماس لكل يوم وفي التذكارات وهي التوبدانيات التي يقرأها الشماس بعد الصوت الوسطاني منها عندما يذكر البطاركة الذين ساسوا خراف المسيح في ولاية الكرسي الانطاكي هكذا يقول : .

(1 Agapius Episcopus Mabbugensis, *op. cit.*, p. 373.

ܬܘܒ ܕܝܢ ܡܥܗܕܝܢܢ ܠܪ̈ܥܘܬܐ ܙ̈ܕܝܩܐ
ܛܒ̈ܐ ܘܐܒ̈ܗܬܐ ܩܕܝ̈ܫܐ ܗܢܘܢ ܕܡܢ ܦܛܪܘܣ
ܪܝܫܐ ܕܫ̈ܠܝܚܐ ܘܩܕܡܝܐ ܕܟܠܗܘܢ ܪ̈ܥܘܬܐ
ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܬܠܡܝܕܗ ܘܬܐܘܦܝܠܘܣ
ܘܝܫܘܥ ܘܕܘܝܕ ܘܓܪܝܓܘܪܝܘܣ
ܘܕܘܡܝܛܝܘܣ ܘܐܝܣܚܩ ܘܝܘܚܢܢ ܕܫܡܫܘ
ܫܘܠܛܢܐ ܕܪܝܫܘܬ ܟܗܢܘܬܐ ܒܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ
ܩܐܬܘܠܝܩܝ ܘܫܠܝܚܝܬܐ ܕܒܟܘܪܣܝܐ ܕܡܕܝܢܬܐ
ܩܕܝܫܬܐ ܘܪܒܬܐ ܕܗܝ ܐܢܛܝܘܟܝܐ ܐܠܗܐ
ܕܨܠܘ̈ܬܗܘܢ ܩܕܝ̈ܫܬܐ ܡܪܝ ܐܬܪܚܡ ܥܠܝܢ[1].

ثم اننا نذكر ايضاً الرعاة الابرار والآباء القديسين الذين من بطرس هامة الرسل واول كل الرعاة اغناطيوس تليـــذه وثاوفيلوس ويشوع وداود وغريغوريوس ودوميطوس واسحق ويوحنا الذين خدموا مقام رئاسة الكهنوت بالكنيسة المقدسة الكاثوليكية والرسولية في كرسي مدينة الله انطاكية المقدس والمعظم لكي يرحمنا الله بصلواتهم المقدسة.

وفي التذكار الذي يليه وهو اطول من الاول مكتوب هكذا:

ܠܬܐܘܦܝܠ ܓܪܝܓܘܪܝ ܘܐܣܛܦܐܢܐ
ܠܝܪܩܘܣ ܐܘܣܒܝܘܣ ܝܘܚܢܢ ܝܫܘܥ ܘܕܘܝܕ
ܓܪܝܓܘܪܝܘܣ ܘܬܐܘܦܝܠܛܘܣ ܝܫܘܥ
ܘܕܘܡܝܛܝܘܣ ܐܝܣܚܩ ܝܘܚܢܢ ܫܡܥܘܢ ܐܘܪܝܐ
ܝܘܚܢܢ ܫܡܥܘܢ ܫܡܥܘܢ ܘܕܡܟܘ ܠܘܬ.
ܦܢܘ ܠܘܬ ܐܠܗܐ ܕܗܘ ܢܪܚܡ ܕܒܨܠܘ̈ܬܗܘܢ
ܡܪܝ ܘܐܠܗܝ ܐܬܪܚܡ ܥܠܝܢ[2].

تاوفيلي وغريغوري واسطفان ويرقس واوسابيوس ويوحنا ويشوع وداود وغريغوريوس وتاوفيلتوس ويشوع ودوميطوس واسحق ويوحنا وسمعان واوريا ويوحنا وسمعان وسمعان والذين رقدوا الى الآن لكي يرحمنا الرب الاله بصلواتهم.

ان الاسم «غريغوري» وهو الثاني بين البطاركة في هذه السلسلة ما هو الا جرجس رئيس دير مار مارون كما برهنا. ومما يزيدنا تأكيداً في رأينا: انما هو وجود اسم غريغوريوس في هذه السلسلة. وقد كتب باحرف غير تلك التي كتب بها غريغوري، وهذا دليل ان هناك شخصين مختلفين تكتب اسماؤها باحرف مختلفة اي الواحد غريغوري او جرجس والثاني غريغوريوس.

ولنا برهان آخر يدلنا ان اسم غريغوري ما هو الا اسم جرجس مما هو جار للان في سوريا من تسمية جرجس باسم جرجوره: او جرجوري: وهذا يدل على غريغوري هنا الذي ترجم عن السريانية بلفظ آخر هو جرجوره. وهذا هو اسم لجرجس مشهور لدى جميع الطوائف. ومثله قل عن اسم جورجي المستعمل لدى العموم للدلالة على جرجس.

١) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية، للطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي الاهدني، نشرها رشيد الخوري الشرتوني، بيروت ١٩٠٢، ص ١٧–١٨.

٢) المرجع نفسه، ص ١٩.

اما هؤلاء البطاركة فلا ريب انهم من قبل مجيء الافرنج الى سوريا وقد اقر الدويهي ذلك ولا يمكن ان يكونوا بعد ذلك بدليل ما هو ثابت من وجود بطاركة موارنة منذ حلول الصليبيين في البلاد الشرقية . واولهم يوسف الجرجسي الذي كان على الكرسي الماروني الانطاكي في ايام البابا اوربانوس الثاني ؛ من سنة ١٠٨٨ الى سنة ١٠٩٩ كما شهد الدويهي ذاته .

اما الكتاب الكبير القديم جداً الذي وجد فيه الدويهي هذه السلسلة فانه كان محفوظاً منذ القديم عند العائلة الدويهية الكريمة بكل حرص ؛ ومن ثم قد استدللنا عليه من مخطوط مكتبة دير مار شليطا مقبس الذي وصفه الاب العالم ابراهيم حرفوش في المشرق (٦ :١١٨) حيث قال :

« سنة ١٨٦١ يونانية (١٥٥٠ م) تمت هذا الاعتقاد بقرية شويتا بناحية عكار ؛ من نسخة المطران انطون مطران الرعية ؛ وكان على يد الفقير لله سمعان باسم شدياق انجيلي من قرية حدشيت ؛ من جبة بشري؛ من جبل لبنان ابن القس هارون ابن الخوري يوحنا ... (غير مقروء) . ثم انه قال في ختام الكتاب هكذا : « يا اخي هذا الكتاب ناقص من آخره لان النسخة كانت عتيقة من ثلثماية سنة »[١] .

فهذا دليل ان النسخة الاصلية انما هي من سنة ١٢٥٠ . ولهذا نقول ان الكتاب الكبير قديم جداً الذي وجده الدويهي وفي آخره سلسلة هولاء البطاركة، هو من اخوات هذه النسخة ان لم يكن هي بعينها وذلك بدليل ان المطران انطون ، مطران الرعية ، هو الذي ارتسم كما قال الدويهي سنة ١٥٥٠ ، وهو انطون الحصروني وامه من العائلة الدويهية ؛ وقد بقي وتربى عند اخواله في اهدن حيث بقيت تركته من الكتب ؛ ومنها هذا المخطوط محفوظاً في اهدن الى زمان الدويهي ولما كان هذا الكتاب يحوي مواضيع شتى عن الموارنة ، مثل هذا المخطوط الذي يسميه الناسخ انه من نسخة المطران انطون كان من سنة ١٢٥٠ ، ولا ريب ان مواضيعه المختلفة قد اخذت عن نسخ اصلية كانت اقدم عهداً من تلك السنة . ولذا نقول ان هذا المخطوط اصله من تأليف كتبه احد علماء الموارنة من القرن الحادي عشر وما هو الا المطران داود صاحب التآليف المارونية في سنة ١٠٥٩ . ولا يمكن ان يكون اصل هذا الكتاب من سنة ١٢٥٠ اذا كان البطاركة الآخرون المذكورون فيه الاربعة اي ارميا ويوحنا وشمعون

١) المشرق ٦ (١٩٠٣) ص ١١٨ ؛ ١٢٣ .

دم ارميا العمشيتي الشهيد الذي توفي بعد سنة ١٢٣٠ ومن خلفه : لانه لا يعقل ان بين سنة ١٢٣٠ وسنة ١٢٥٠ التي فيها نسخ قام ثلاث بطاركة ومن ثم نقول ان اصل هذا المخطوط هو من قبل القرن الثالث عشر ومن اواخر الحادي عشر وان البطاركة المذكورين فيه قد تسنموا مقام البطريركية قبل مجيء الصليبيين اي قبل سنة ١١٠٠ . وقد اثبتنا ذلك في براهين اخرى في هذا الكتاب .

ومما يثبت ان الموارنة اخذوا بنسخ سلسلتهم القديمة في القرن الحادي عشر او في الثاني عشر نسخة الشرطونية كما جاء في نسختها المحفوظة في بكركي بخط المطران يوسف مبارك : «وجعلوا (الدويهي والمطرانان) اعتمادهم عن نسخة ارميا العمشيتي ١٢١٥ ؛ والنسخة بخط يد العمشيتي محفوظة في مار سركيس اهدن ؛ قوبلت مع نسخة المطران تادروس المكتوبة سنة ١٦٠٧ يونانية ١٢٩٦ م في دير سيدة العاقورا وكانت موجودة في دير مار اليشاع بشري » .

اما اذا كان هذا المخطوط ليس ذلك الذي نوهت بذكره حاشية الناسخ من انه من ٣٠٠ سنة فما هو الا من ذلك الزمان الذي فيه اشتهر علماء الموارنة بنسخ وتدوين آثار اجدادهم وحوادث طائفتهم ؛ وخاصة سلسلة بطاركتهم حتى قدموها لرومية في سنة ١١٢٧ التي فيها « ترك مارون وامته الكنيسة الانطاكية وتبع الافرنج وكنيسة رومية» . كما يقول مخطوط كنيسة الملابار الذي اشرنا اليه . وقد بلغنا انه يوجد نسخة لكتاب الطوبدانيات المارونية هذا الحاوي سلسلة البطاركة قديم جداً في بلدة العاقورة في اوائل القرن الثالث عشر من قبل البطريرك ارميا العمشيتي الذي كان ساكناً في بلدة يانوح قرب العاقورة في اوائل القرن الثالث عشر ، ثم انه نزل الى جهات حردين وميفوق حيث اقام البطاركة خلفاؤه مدة طويلة . ومما يدلنا ايضاً ان الموارنة اخذوا بنسخ كتبهم وآثارهم القديمة في اواسط القرن الثالث عشر مخطوط فرض جنازات الرؤساء والكهنة والرهبان الذي نسخ سنة ١٢٦٦ وهو المخطوط التاسع والخمسون من المخطوطات السريانية . قد ذكره السمعاني والمطران اسطفان عواد ابن اخته في تاليفها الشهير فهرست المكتبة السريانية الفاتيكانية الجزء الثاني من المجلد الاول صفحة ٣٥٥ من الطبعة البارسية الجديدة هكذا :

« LIX. Codex antiq. in fol. bombycinus, foliis constans 202, Syriacis Stronghilis °...°, exaratus °...°, ubi continentur ».

١ً ܟܬܒܐ ܕܒܘܝܐܐ ܕܥܠ ܕܡܝܬܝܢ ܪ̈ܝܫܐ ܘܪ̈ܥܘܬܐ ܘܐܦܝܣܩܘ̈ܦܐ ܕܟ̈ܝܐ ܘܟܗ̈ܢܐ.

كتاب جنازات رؤساء الكهنة الاجلاء والرعاة والاساقفة الانقياء والكهنة

Juxta Ritum Ecclesiæ Antiochenæ Maronitarum.

بحسب طقس كنيسة الموارنة الانطاكية

٢ً ܬܘܒ ܛܟܣܐ ܐܚܪܢܐ ܕܥܠ ܕܝܪ̈ܝܐ :

ثم رتبة اخرى لجناز الرهبان بحسب طقس الكنيسة المذكورة الانطاكية المارونية .

Is Codex scriptus est an. Christi 1266, ut hœc ostendunt calligraphi verba, quæ f. 202, at leguntur.

قد نسخ هذا الكتاب في سنة ١٢٦٦ م. كما يوضح تصريح الناسخ المكتوب في الورقة ٢٠٢ على قفاها :

ܟܠ ܕܩܪܐ ܢܨܠܐ ܥܠ ܚܛܝܐ ܕܟܬܒ
ܡܛܠ ܐܠܗܐ ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܚܡܫܡܐܐ
ܘܫܒܥܝܢ ܘܫܒܥ ܡܢ ܫ̈ܢܝ ܕܐܠܟܣܢܕܪܘܣ
ܒܪ ܦܝܠܝܦܘܣ. ܘܕܘܟܪܢܐ ܠܟܠܗܘܢ ܡܗܝܡܢ̈ܐ
ܕܒܡܫܝܚܐ ܐܡܝܢ[1] .

فليصلي كل من يقرأ على الخاطي
الذي كتب من اجل الله . سنة الف
وخمساية وسبعة وسبعين من سنين الاسكندر
ابن فيليبوس . وليكن ذكر لجميع
المؤمنين بالمسيح . آمين .

ترى ان هذا المخطوط الذي نسخ في سنة ١٢٦٦ هو نسخة عن نسخة قديمة قبلها كان الموارنة يستعملها لصلاة فرض جنازهم للرؤساء والكهنة والرهبان . ومنه يتضح ان كتب الطائفة الخطية والطقسية كانت في اواسط القرن الثالث عشر قد عتقت ودثرت حتى سعى الرؤساء بنسخها من جديد حفظاً لها . ومن هذه المخطوطات هو مخطوط الطوبدانيات الذي كان منسوخاً في سنة ١٢٥٠ اي قبل النسخة التي يذكرها الدويهي بـ ٣٠٠ سنة وهي نسخة للمطران انطون الحصروني .

اما هاتان النسختان اي فرض الجناز المخطوط في سنة ١٢٦٦ والطوبدانيات المخطوطة في سنة ١٢٥٠ وفيها ذكر سلسلة البطاركة الموارنة قد اخذتا عن نسخ قبلها قديمة اي من القرن الحادي عشر . ومما يثبتنا في رأينا هذا انما هو ان هذه النسخة لا تذكر احداً من البطاركة المعروفين في القرن الثاني عشر اي من سنة ١١٠٠ الى سنة ١٢٠٠ ولا يمكن ان يكون تأليف هذا المخطوط في سنة ١٢٥٠ ذلك بدليل ان فيه ذكراً لثلاثة بطاركة

(١ Assemanus Joseph Simonus, Bibliothecæ apostolicæ Vaticanæ codicum manuscriptorum catalogus, Romæ 1758, t. 2, p. 355.

بعد ارميا العمشيتي الذي توفي في سنة ١٢٣٣ ؛ والفترة بين سنة وفاته وسنة ١٢٥٠ غير كافية لوجود ثلاثة بطاركة ، وعليها كانت نسختنا في القرن الحادي عشر واوائل الثاني عشر على الاكثر . بدليل انها لو كتبت في القرن الثاني عشر أو بعده لكانت ذكرت بطاركة ذلك القرن .

ثم لنا برهان آخر وهو ان عادة الموارنة القديمة من قبل مجيء الصليب (ين) التي بموجبها كانوا يذكرون جميع بطاركتهم السابقين في القداس قد بطلت منذ التصاقهم بالافرنج واتخاذهم عوائد وترتيبات الكنيسة الرومانية حتى لم يعودوا يذكروا منهم الا البطريرك الجالس وقتئذ . ولذا كانت هذه النسخة للطوبدانيات من القرن الحادي عشر اي من قبل مجيء الصليبيين . وقد اثبت الدويهي ان البطريرك ارميا العمشيتي قد نسخ جملة كتب مارونية منها الشرطونية التي بخط يده . كانت بيده وقد قابلها مع نسخة المطران تادروس التي من سنة ١٢٩٢ وغيرها ؛ وجه ٨٥ و٨٦. فاذاً كانت كتب الطقس من قبل زمانه ومنها سلسلة البطاركة التي نحن بصددها .

اما مخطوط كتاب الجنازات الذي من سنة ١٢٦٦ فقد جاء في اخره بخط احدث منه هكذا «قري بهذا الكتاب المبارك المسكين جبرايل باسم مطران وكلمن يقرا يترحم عليه»

اما هذا المطران جبرايل فما هو الا جبرايل حجولا وذلك ان للبابا اينوشنسيوس الرابع كتاب[١] لهذا الاسقف مؤرخ في سنة ١٢٣٤ فيه يجيبه على عريضة بان تنصيبه الى ابرشية حجولا كما العزل عنها مناط بالبطريرك الماروني الذي رفعه الى هذا الكرسي عن جدارة . ونحن اثبتنا هذا الكتاب في كتابنا الافرنسي « رومية والكنيسة الانطاكية المارونية »[٢] .

ومن ثم يتضح ان رسامة هذا المطران جبرايل حجولا كانت في تلك السنة ١٢٤٣ . وانه صادق على كتاب الجنازات بعد كتابته اي بعد سنة ١٢٦٦ . وهنا لا بد لنا من التصريح بان هذا المطران هو البطريرك جبرايل حجولا الذي روى لوكيان[٣] : وصاحب كتاب الارض المقدسة انه صار

١) راجع نص هذا الكتاب في ANAISSI T., *Bullarium Maronitarum*, Romae 1911, p. 8.

٢) راجع كتاب المؤلف المطبوع *Rome et l'Eglise Syrienne-Maronite d'Antioche*, Beyrouth 1906, pp. 84-101.

٣) LE QUIEN, *Oriens Christianus*, Paris 1740, t. 3, col. 61-62.

بطريركاً في سنة ١٢٩٠ . وقد حرقه الاسلام في طرابلس في سنة ١٢٩٦ وذلك في اضطهاد شديد للطائفة المارونية التي كانت والت الافرنج عليهم في البلاد حتى اذا ما تحولت وانكسرت الافرنج في سنة ١٢٨٧ تحوّل غضب المسلمين ضد الطائفة المارونية فانتقموا منها واشهروا عليها الاضطهاد واحرقوا بطريركها جبرايل المذكور . فحرقوه في طرابلس واستولوا على جميع خيراتها واملاكها في جهات بيروت وكسروان حتى لم يبقَ من الموارنة في جهات كسروان فاووا الى جهات البترون والجبة .

وقد جاء في حاشية التشمشت في كنيسة العاقورا بخط الخوري يوسف الدحداح عن تاريخ المطران تادروس عن هذا الاضطهاد هكذا « فلما كان في تاريخ سنة ١٢٨٩ في ٢٥ نيسان نزل الملك الظاهر في جيوش وعساكر وسلبانية لمدينة طرابلس وفتحها وسبى وسبى حريمها وفتح الاجبال وقتل النصارى كثير وصار ضيق على النصارى » .

اما قول الدويهي في تاريخه[1] بان البطريرك جبرايل حجولا استشهد في سنة ١٣٦٧ فما هو الا غلط من النساخ الذين بدلوا عدد ٢ بعدد ٣ في التاريخ بدليل وجود الاثر المذكور هنا رسامته في سنة ١٢٤٣ وبدليل ان الاضطهاد الذي حصل وخراب كسروان الذي وقع كان في اخر القرن الثالث عشر بعد تقلص الصليبيين من لبنان كما روت التواريخ وليس في اواخر القرن الرابع عشر .

اما تنصيب هذا البطريرك فكان بعد سنة ١٢٧٧ التي فيها كان البطريرك سمعان بعد حياً كما قال الدويهي في سلسلة البطاركة[2] : انه لم يعلم بمن خلفه وهو قد خلفه دانيال في سنة ١٢٨١ .

وخلف هذا البطريرك جبرائيل في سنة ١٢٩٠ .

فاين هذه الحقيقة الراهنة اذاً عن وجود البطاركة شمعون ودانيال وجبرائيل بعد ارميا في اواخر القرن الثالث عشر من قول الدويهي بان البطاركة الاربعة الاخيرين من السلسلة السريانية هم ارميا العمشيتي والذين خلفوه توّاً الواحد بعد الاخر .

وهل يعقل ان هذه السلسلة هي من بعد ارميا العمشيتي وقد اهمل فيها

(١) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للدويهي ، ص ٢٩

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

ذكر جميع بطاركة القرن الثاني عشر وخاصة البطريرك جبرائيل حجولا الذي لم يزل ذكر قداسته واستشهاده حياً في الطائفة .

لا لعمري . بل ان هذه السلسلة السريانية هي من القرن الحادي عشر والبطاركة المذكورين فيها هم جميعاً وبدون استثناء احد منهم من القرن الحادي عشر وما وراءه . اي من قبل مجيء الصليبيين الى لبنان . ولا يعارض ذلك قول الدويهي العلامة القديس اذ انه لم يسند وجود البطاركة الاربعة الاخيرين منها الى زمان ما بعد مجيء الصليبيين الا من رسائل الباباوات المكتوبة باسماء بطاركة هم ارميا وشمعون الخ .

وما هذا ببرهان قاطع لان هذه الرسائل وان كتبت لارميا العمشيتي وشمعون فليست ذلك بدليل ان هؤلاء هم المذكورون في السلسلة السريانية .

وقد رأيت ان لا برهان للدويهي بهذا الخصوص سوى تلك الرسائل. ولكن من اي زمان تبتدئ هذه السلسلة وفي اي زمان تنتهي ؟ فجوابنا اولاً انها سلسلة بطاركة الموارنة وهذا مما لا ريب للبراهين التالية :

١ً لانها وجدت عند الموارنة منذ القديم وليس فقط انهم قد اعتبروها انها لبطاركتهم بل انهم قد حافظوا عليها رغماً عن تقلبات الزمان ودونوها في خدمة قداسهم وصلواتهم حتى اتصلت نسختها القديمة الى الدويهي وقد تركها لنا في سلسلته .

٢ً لانها ليست لاحدى الطوائف غيرها ، كاثوليكية كانت ام اراتيكية ونحن قد قابلناها مع جميع سلسلات الطوائف فوجدناها مختلفة كثيراً بنوع انها غيرها تماماً .

وبينا ان سلسلة الملكيين تبتدئ من بطرس الرسول في انطاكية واليعاقبة من المجمع الخلقيدوني والنساطرة من الافسسي .

ان سلسلتنا هذه فبعد ذكرها بطرس الرسول وتلميذه اغناطيوس تنتقل الى ذكر بطاركتنا من بعد استقلالهم لوحدهم وانشقاقهم عن المكسيميين اي منذ سنة ٧٣١ التي فيها قال التلمحري « وقد بقي الموارنة هم هم للان ينتخبون بطريركاً واساقفة لنفسهم من ديرهم »[١] وهي لا تحتوي من البطاركة القدماء الا الذين كانوا يسكنون في انطاكية او في دير مار مارون منذ تلك السنة الى سنة ٩٤٩ التي فيها ترك البطريرك يوحنا مارون الثاني انطاكية ونقل

---

١) Michel le Syrien, *op. cit.*, t. IV, p. 467.

كرسيه الى يانوح في المنيطرة من لبنان حيث بقي نهائياً . وقد خلفه البطاركة وركزوا مقامهم في جبل لبنان من ذلك الحين الى ايامنا هذه بدون انقطاع .

اما عدد البطاركة التي تذكرهم السلسلة السريانية فهو تسعة عشر بطريركاً كما ترى في النص وهو عدد كاف ووافٍ للمدة المعينة بين سنة ٧٣١ وسنة ٩٤٩ . بحيث يكون معدل سني كل منهم في البطريركية نحو تسع عشرة سنة . وهذا هو الصواب ولا سبيل الى الاعتراض عليه .

اما من سنة ٩٤٩ ، اي سنة مجيء البطريرك يوحنا مارون الثاني الى لبنان الى زمان الصليبيين فقد وجد العلامة الدويهي كراساً سريانياً قديماً جداً يذكر اربع بطاركة لوحدهم وهم الاولون الذين اقاموا في لبنان . ومن ثم كانوا هؤلاء خلفاء وتتمة بطاركة السلسلة الاولى السريانية التي نحن في صددها . وهاك ما قال الدويهي في هؤلاء البطاركة الخمسة في سلسلته :

« يوحنا مارون ...

ثم خلفه ابن اخته كوريوس كما هو محدد في قصة خاله .

ثم عقبه في الرئاسة على الكرسي الانطاكي جبرائيل على ما وجدناه في النسخ القديمة ...

ومن بعد جبرائيل صُيّر يوحنا . وعندما دنا هذا من الموت اخلي الكرسي الى يوحنا اخر ؛ اصله من قرية دملصا من عمل جبيل كما هو مدوّن في الاخبار القديمة عن يوحنا الذي تقدم ذكره انه لما قارب الموت جمع جميع كهنة جبل لبنان واقام لهم بطريركاً بدله يدعى يوحنا من قرية دملصا ...»

« فهؤلاء البطاركة الخمسة المتقدم ذكرهم امرهم واضح . انهم كانوا مقيمين في جبل لبنان وانهم تخلفوا بعد تاوافان من الرسالة التي في سنة الف واربعماية وخمسة وتسعين شيّعها جبرايل ابن القلاعي الى القس جرجس بن بشاره في الفصل الحادي عشر »[1] .

ان السند الذي يستند عليه الدويهي بان هؤلاء البطاركة قد خلفوا تاوافان انما هو قول ابن القلاعي . اما هذا فليس بسند يركز اليه ولا ترى صحة له . وقد كذبته رواية الدويهي الراهنة التي تثبت ان يوحنا مارون الثاني . وهو الاول من الخمسة ، قد نقل مَنْ انطاكية الى لبنان في سنة ٩٤٩ فكيف يكون قد خلف تاوافان وهذا قام سنة ٦٨١ وتوفي ٦٨٥ . كما تكذبه

---

١) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للدويهي ، ص ١٢-١٧ .

ايضاً قصة يوحنا مارون الثاني التي وجدت في كنيسة دمشق . وفيها يروي أن هذا هو ابن اخت كرلمانيو . وهذا الملك توفي بعد سنة ٨٠٠ .

ومن ثم كانت هذه القصة عن يوحنا مارون الثاني الذي جاء الى لبنان في سنة ٩٤٩ . وبما انه الاول بين البطاركة الذين سكنوا في جبل لبنان ، توهّم ابن القلاعي وغيره انه الاول في البطاركة منذ التقديم ، ولذا قد وقع الغلط والخلط بخصوصه كما ترى .

ثم اتى الدويهي بالسند الآخر لوجود هؤلاء البطاركة الخمسة فقال :

« ووجدنا ايضاً ذكرهم في كراسة سريانية كانت عند المغفور له البطريرك جرجس من قرية بسبعل قد نسخها داود بن ابراهيم في سنة ١٦٢٤ لليونان (١٣١٣ م) فتكون اقدم من تحرير ابن القلاعي بمائة وثمانين سنة (وفي نسخ اخرى قال عرض علينا اخونا المطران جرجس ولد حبقوق وغيره[1] . »

اما كيفية وزمان مجيء البطريرك يوحنا مارون الثاني الى لبنان فقد اوضحهما الدويهي في تاريخه ، تاريخ الازمنة ، وهو مخطوط في خزانة البطريركية ولدينا منه نسخة قديمة فقال : « وفي هذه السنة ٣٢٧ هـ (٩٤٩م) وهي السنة السادسة لدرغول كانت نقلت البطريرك يوحنا من انطاكية الى جبل لبنان من جور المسلمين . ثم انه قصد زيارة القدس الشريف والمواضع المقدسة فلم تتركه المسلمون كما وجدنا في التواريخ السريانية ، بل انه مضى الى يانوح ، وكانت يانوح من اشرف القرى والمجالس بجبة المنيطرة واهلها كثيرين الغيرة والعبادة . فابتنوا دير مارجرجس من الحجر الازرق في غاية الصنعة والشرافة وهو الى يومنا هذا باقي ، لكنه خالياً وقد اتوا شتى من غير المؤمنين لينقلوا حجارته فلم يتركهم الله .

« ثم ان البطريرك يوحنا لما قرب اجله جمع جميع كهنة البلد واقام لهم بطريركاً آخر باسمه من قرية دملصا »[2] .

ثم ان السعيد الذكر فقيد العلم والوطن والكنيسة المطران بولس شبلي قد عثر على اثر قديم العهد ، مكتوب باللغة السريانية بين اوراق الطيب

---

١) المرجع نفسه ، ص ١٧ .

٢) كان لدى الآباء برنديس نسخة من مخطوط تاريخ الازمنة نسخها الخوري الياس سركيس من عبيه سنة ١٧٨٠ . نجهل مصير هذا المخطوط الآن .

الذكر والاثار البطريرك بولس مسعد في خزانة الكرسي البطريركي في بكركي وهو من قبل الدويهي بكثير، وربما كان من بقايا الكتب التي استند اليها هذا العلامة. وفي هذا الاثر الداثر خبر مجيء البطريرك يوحنا مارون هذا الثاني الى لبنان وسكناه في يانوح في السنة السادسة لدرغول. اما السنة العمومية فطموسة فيه قليلاً. وبما ان احرف الغيم والجيم في السريانية هما واحد. قد كتب ناسخ تاريخ الدويهي في العربية اسم درغول باسم آخر هو درجول.

ثم ان السعيد الذكر شبلي ظن ان اسم درغول هو طغرلبك الذي حكم في اواسط القرن الحادي عشر. الا اننا لسنا من هذا الراي ذلك لان المخطوط القديم الذي اخذ عنه الدويهي روايته هذه يعيّن ويحدد السنة وهي ٩٤٩ اي ٣٢٧ هجرية. واذا كانت النسخة التي وجدها السعيد الذكر شبلي غير مفهومة فيها السنة العمومية فان الدويهي قد قرأها جيداً قبله بمائتي سنة. فلا سبيل الى الافتراض لدى وجود الحقيقة.

اما اسم درغول الذي كانت له السنة السادسة في الحكم لما نقل البطريرك يوحنا مارون من انطاكية الى لبنان فاننا رغماً عن كثرة البحث والتفتيش في المكاتب والكتب والتواريخ لم نهتد الى هذا الاسم الى ان نتجنا من تفتيشنا انه لقب للملك والسلطان الاخشيدي الذي حكم سوريا منذ سنة ٩٤٠ كأن هذا اللقب هو غير عربي ولربما انه اسم الجور اي انه كان هناك جور على النصارى وقد بقي مدة مستطيلة حتى اضطر البطريرك يوحنا مارون الى الهرب من انطاكية والالتجاء الى لبنان مخبأ الموارنة.

او انه لقب لاحد الحكّام الذي كان يعرف عند النصارى بالكذاب اي الدجّال في السريانية.

ولنا في حوادث اواسط القرن العاشر دليل على صحة خبر محجة يوحنا مارون الى لبنان تخلصاً من الظلم والاضطهاد. وذلك لان الروم تحت قيادة قائدهم الشهير يوحنا كوركوس كانوا منذ سنة ٩٤٠ قد استولوا على سوريا ومدنها العظيمة وكسروا العرب في جميع [ال]جهات. فحنق هؤلاء على النصارى الموجودين في سوريا واخذوا يضطهدونهم حيثما يجدوهم حتى اذا ما كانت سنة ٩٦٩ حرقوا بطريرك اليونان الانطاكي خريستفوروس تاوافانوس ولا بد انهم قد اضطهدوا النصارى وما بينهم الموارنة حتى هجر البطريرك يوحنا مارون انطاكية حيث كانت حياته في خطر والتجأ الى جبال لبنان حيث

الامن بين اولاده . ولم يكن المضطهدون ليعلموا مكانه لينالوا منه مرامهم .

اما قول النص ان البطريرك اراد الذهاب لزيارة القدس الشريف ولم يسمح له المسلمون فما ذلك الا لانه كان له هناك شعب يريد افتقاده لان الموارنة كانوا في القدس من زمان الخلفاء.

وقد اخبرني جورج بك زوين نائب كسروان الافخم ان لديه نسخة عن فرمان من احد الخلفاء العظام نسخه بيده عن نسخته الاصلية الموجودة في دير الروم في القدس فيه يأمر الخليفة ان يقدس في كنيسة القيامة كل يوم ثلاث كهنة : من الكهنة الحفاة ، وواحد من كهنة الموارنة واثنان من كهنة الجيورجيين .

اما يوحنا مارون هذا البطريرك فانه المذكور في ابتداء هذه السلسلة وليس الذي في آخرها والاخير فيها بل الاول . وقد اخطأ وتوهم من ظنّه الاخير فيها بدليل ان الدويهي صرّح وقال : « فهؤلاء البطاركة الخمسة المتقدم ذكرهم امرهم واضح انهم كانوا مقيمين في جبل لبنان »[١].

وحتماً ان الدويهي لم يقل ذلك الا لما قراه عنهم في المخطوط القديم العبد الذي نسخه داوود ابن ابراهيم في سنة ١٦٢٤ يونانية . اي سنة ١٣١٣ م. ويستدل ذلك ايضاً مما جاء في قصة البطريرك يوحنا مارون رئيس الامة المارونية التي ذكرها المخطوط القديم الذي كان في كنيسة دمشق وعنه اخذها الدويهي من ان هذا البطريرك كان ابن اغاثون ابن اليديبوس ابن اخت كرلومانيو ملك فرنسا . وبما ان هذا الملك كان في القرن الثامن وتوفي في سنة ٨٠٢ يكون زمان ابن اخته من القرن العاشر اي حوالي سنة ٩٤٩ التي فيها يقول النص ان هذا البطريرك جاء الى لبنان وليس من القرن الذي بعده وذلك لبعده الغير المعقول عن اصله الملك كرلومانيو.

اما هذه القصة المنسوبة الى رأس الطائفة المارونية الاول فانها ليست منطبقة على يوحنا مارون الاول الذي كان بين سنة ٥٦٠ وسنة ٦٥٠ وكان بطريركاً على جميع الخلقيدونيين من سنة ٦٣٠ الى سنة ٦٥٠ قبل انفصالهم الى طائفتين مارونية ومكسيمية وكان اول بطريرك خرج من دير مار مارون وينتمي اليه ، ومنه اشتهرت المارونية والدير وبه عرفت .

بل البطريرك الماروني الاول في لبنان الذي نقل كرسيه الانطاكي من

---

١) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للدويهي ، ص ١٧ .

انطاكية الى لبنان وذلك واضح مما جاء فيها من الامور التاريخية التي يتعذر تصديقها على شخص كان في القرن السابع ، اي قبل الملك كرلومانيو بقرن تام . وتصدق تماماً على آخر غيره قد عاش في القرن العاشر . وهذا البطريرك يوحنا مارون الثاني ما هو الا البطريرك الاول في هذه السلسلة الخماسية لبطاركة الذي جمع الطائفة في لبنان ورتبها ونظم ادارتها .

ونكرر القول ان هذه السلسلة انما هي تكملة وتتمة السلسلة السريانية الاولى التي ذكرناها . الا انها وجدت لوحدها ليس لانها غريبة عنها بل للدلالة على البطاركة الذين اقاموا في لبنان كما تصرح التواريخ التي خصصها الدويهي بقوله : ان هؤلاء البطاركة الخمسة امرهم واضح وانهم كانوا ساكنين في جبل لبنان .

والحال كيف يكونون قد اقاموا في لبنان ويكون الاخير منهم هو الذي نقل الى لبنان اولاً في سنة ٩٤٩ كما توهم بعض علمائنا للان ؟

وبناء عليه قد اصبح من المقرر عندنا ان السلسلة السريانية التي وجدها الدويهي في الكتاب الكبير جداً انما هي سلسلة البطاركة الموارنة بعد الانفصال منذ ٧٣٠ الى سنة ٩٤٩ ، وعددهم تسعة عشر بطريركاً وهم الذين كانوا من دير مار مارون وكانوا مقيمين في انطاكية وفي الدير .

ثم ان السلسلة الثانية السريانية الخماسية انما هي تتمة الاولى وهي تدل على البطاركة الاولين الذين كانوا مقيمين في لبنان واولهم يوحنا مارون الثاني الذي اقام الكرسي فيه بعد ترك انطاكية في سنة ٩٤٩ كما رأيت .

اما زمان تنصيب هؤلاء الخمسة فنجهله الا اننا استدللنا مما تقدم انهم كانوا من سنة ٩٤٩ الى حوالى سنة ١٠٨٨ التي فيها قام البطريرك يوسف الجرجسي وذلك استناداً الى الكراس السرياني الذي دوّن اسماءهم واقامتهم في لبنان ولان قلة عددهم غير كافية حتى يكونوا قبل السلسلة السريانية وزمان بطاركتها اي من سنة ٧٣٠ الى سنة ٩٤٩ .

اما ذكر هؤلاء البطاركة الخمسة في السلسلة الموجودة في الطائفة في اولها ، اي قبل اولئك الذين تذكرهم السلسلة السريانية ، فما هو الا خطأ وغلط . كما انه خطأ فاضح ترك او تسيان بطاركة السلسلة السريانية في السلسلة الموجودة للان . قلنا ومن هذا الترك والنسيان حصل الاشكال في صحة هذه السلسلة وضبطها والتشويش فيها .

اما الجمع بين هاتين السلسلتين السريانية الاولى والسريانية الثانية فانه يجعل عدد البطاركة اربعة وعشرين وذلك للزمان ، من سنة ٧٣٠ الى سنة ١٠٨٨ وهذا مطابقاً من جميع الوجوه ولا اشكالك فيه البتة واثبت تاريخياً لتوفر المستندات عليه ازاء السلسلة المشهورة لان التي كثر التعليل عليها وقلّت مستنداتها الراهنة .

اما اذا كان المجمع اللبناني[1] قد اثبتها فما ذلك الا ان اباءه قصدوا بها الدلالة على بطاركة الطائفة الذين اقاموا في لبنان فقط دون ان يتوخوا ذكر الذين منهم كانوا في انطاكية وفي دير مار مارون فضلاً عن ان الآثار التي بين ايدينا لم تكن متوفرة لديهم ولم يمحصوها كما يجب .

اما يوحنا مارون القديس الاول الذي كان من سنة ٥٦٠ الى سنة ٦٥٠ كما اثبتنا في مقالتنا فيه فانه كان بطريركاً على الاظهر على الموارنة والخلقيدونيين سوية قبل الانفصال . ولم تذكره السلسلات التي قدمناها لانها شاءت التصريح بالبطاركة الخاصين بها بعد استقلالها ازاء بطاركة الملكيين بعد الانفصال كما انهم لم يذكروا غيره لمن خدم البطريركية من سنة ٦٣٠ الى سنة ٧٣٠ كأن بطريركتهم لم تكن قانونية وشرعية امام القسطنطينية التي ما زالت تنتخب فيها بطاركة للكرسي الانطاكي ولم تعرف البطاركة السوريين الذين انتخبهم الاكليروس الانطاكي في تلك الحقبة من الزمان.

اما البطاركة الذين تقرروا وانتخبوا على انطاكية من حزب رهبان مار مارون ومن حزب الملكيين بعد انفصالهم فقد عرفوا وتقرروا واشتهروا لدى الجميع وقد حافظ كل من الفريقين على سلسلته الخاصة يعلن فيها ان حقه على الكرسي الانطاكي انما هو له كما انه لخصمه . وان البطريركية الانطاكية الخلقيدونية قد انقسمت الى شطرين : الاول لحزب مارون ؛ والثاني للملكيين وقد بقي كلا الفريقين يقابل خصمه بهذه السلسلة اثباتاً على حقه في البطريركية .

وقد رأيت في نص التلمحري ان النزاع بين الملكيين ورهبان مار مارون لدى انتخاب البطريرك تاوافيلكتوس كان من اخص اسبابه السلطة البطريركية حتى رفضه رهبان مار مارون وحزبهم « وبقوا ينتخبون لهم بطريركاً واساقفة من ديرهم »[2] .

١) المجمع اللبناني المنعقد في دير سيدة اللويزه سنة ١٧٣٦ .
٢) Michel le Syrien, *op. cit.*, t. III, p. 511; t. IV, p. 467.

فهذا هو السبب الذي من اجله لم تذكر سلسلة الموارنة القديمة القديس يوحنا مارون الاول : اول بطريرك كان من دير مار مارون .

وقد دلوا بهذه السلسلة على استقلالهم الديني والاداري وهذا الاستقلال لم يتم في زمان يوحنا مارون الاول هذا بل بعده بنحو ماية سنة اي في سنة ٧٣٠ .

ونحن نرى ان كل ما نسبه تقليد الموارنة الى يوحنا مارون الاول هذا انما يجب نسبته الى يوحنا مارون الثاني الذي جمع الطائفة في لبنان والتفها ورتب امورها وطقوسها وفصلها وميزها عن سائر الطوائف خاصة المكسيمينية منها لانه الى زمانه كانت الطائفتان واحدة خلقيدونية تحت ادارة بطريركين واساقفة خاصين بهما حتى اعلن يوحنا مارون اسم المارونية لطائفته مجدداً كما اعلن المكسيميون اسم الملكية لطائفتهم مجرّدة ورفع الالتباس وصارت كل طائفة مميّزة عن شقيقتها من ذلك الحين الى الآن .

ولا بد لنا هنا من زيادة الايضاح بان يوحنا مارون هذا الثاني لم يترك انطاكية ويجيء الى لبنان حيث يثبت كرسي بطريركيته الاّ لما كان يلحق رعيته المنتشرة في جهات انطاكية وحلب وسوريا الشمالية من الظلم والحيف من الاسلام بسبب محاربة الروم لهؤلاء وعداوتهم . وقد اشتد القتال بين الفريقين لما غار القائد يوحنا كركوس وهو على الاصح اسم درغول المصرّح به في نص الدويهي بجيوش الروم على سوريا وقتل الكثيرين من الاسلام واستولى على اعظم مدن سوريا الشمالية فما كان من الاسلام الا انهم كانوا ينتقمون من النصارى خاصة الموالين للروم .

ولما كان اسم الروم اي الخلقيدونيين الملكيين يُطلق على الموارنة سوية قد اخذ الاسلام هؤلاء بانهم من الروم ويشاركونهم ويتحدون معهم عليهم مساعدة لجيوش القسطنطينية . وكان بسبب هذا الجور قد التجأ معظم الموارنة من سوريا الشمالية الى جبل لبنان الحصن الحصين قد رأى بطريركهم يوحنا مارون ان يحمي طائفته من ذلك الجور ولم يجد سبيلاً الى ذلك الا بنقل كرسيه الى لبنان .

وهذا ما نوّه به النصّ بقوله : كانت نقلة يوحنا مارون من انطاكية الى لبنان من جور الاسلام . ولم نرَ في التواريخ جوراً من الاسلام مثل الذي حصل في القرن العاشر .

ثم اننا لزيادة الايضاح على ان السلسلة السريانية المذكورة هي لبطاركة الموارنة الذين كانوا منذ الاستقلال فصاعداً انما هو البطريرك الثاني المذكور فيها وهو غريغوري اي جرجس وهذا ليس الا رئيس دير مارمارون الذي ذكره الخطوط البريطاني انه كان رئيساً على هذا الدير في سنة ٧٤٥ واشار اليه نص التلمحري بقوله « اسقف ديره » .

ولما كان البطريرك الاول فيها تاوفيلي (وليس تاوفانوس الذين كان بطريرك انطاكية من سنة ٦٨١ الى ٦٨٥) قد عمّر الى نحو سنة ٧٦٠ وبما ان جرجس رئيس الدير هذا كان زعيماً عظيماً ومؤسساً لتعليم الموارنة واسقفاً وقد امتاز ببسالته في ذلك الاضطهاد الذي اجراه على رهبانه البطريرك تاوفيلكتوس وقد زادت شهرته في الطائفة وباتت قداسته لدى الخاص والعام خاصة بسبب تلك المعجزة الربانية التي اجراها الله في ديره اثباتاً لتعليمه الديني كان خليقاً باساقفة الموارنة وحزبهم بعد وفاة بطريركهم الاول تاوافيلي ان ينتخبوه بطريركاً على الكرسي الانطاكي خاصاً بهم واي أخق من كان احق واولى بهذا المنصب السامي من هذا الاسقف والرئيس العظيم في تلك الظروف ومما اجمع اراء الاساقفة الموارنة على انتخابه ليس ما رأوه من شهرة تمسكه بارائهم وغيرته على كنيستهم والزود عن استقلالهم فقط بل من محاماته عن عبادة الصور التي بسببها قد حرمه مجمع الزور الذي عقده الملك قسطنطين ابن لاوون الكافر في سنة ٧٥٤ مع حرمهم للقديس يوحنا الدمشقي وجرجس القبرسي كما برهنا .

ولما كان الثاني في السلسلة وكان قبله البطريرك تاوافيلي كان هذا الاخير قد انتخب بطريركاً على الموارنة قبل انتخاب تاوافيلكتوس على المكسيميين وذلك لانه كان اسقفاً ورئيساً لدير مار مارون في زمان تاوفيلكتوس كما صرّح التلمحري .

ومن ثم لو كان انتخاب بطريرك الموارنة بعد انتخاب تاوافيلقتوس لكنت ترى الاسقف جرجس هذا اول بطريرك في سلسلة الموارنة وهذا مما لا ريب فيه . ذلك لان رهبان مار مارون وحزبهم كانوا ينتخبون رئيس ديرهم بطريركاً عليهم وهذا مما لا يمكن الاعتراض عليه كما صرّح التلمحري بقوله انهم ينتخبون بطريركاً من ديرهم . ولا حاجة الى التكرار بانهم تمسكوا بهذا الانتخاب لانه كان حقاً مقدساً لديرهم منذ القديم اي منذ ايام هرقل ان كان جميع الخلقيدونيين الانطاكيين يخضعون لهذا الدير وعلى

رأي رهبانه ولم يكن تعليم مكسيموس قد دخل عليهم وسبّب انفصالهم وانشقاقهم حتى انشطروا الى كنيستين مستقلتين ببطريركها واساقفتها كما بآرائها الدينية وهذا ما صرّح به التلمحري من ان الخلقيدونيين المتجادلين في سنة ٧٢٧ كانوا الى ذاك الوقت كنيسة واحدة .

اما بعد زمان هاتين السلسلتين ولدى مجيء الصليبيين الى لبنان فكان بطريركاً على الموارنة يوسف الجرجسي الذي قال عنه الدويهي هكذا : « ويذكر ابن القلاعي في الرسالة التي انفذها الى البطريرك شمعون الحدثي في سنة ١٤٥٤ اما البطريرك يوسف الجرجسي كان قاطناً في قرية يانوح (حيث كان البطريرك يوحنا مارون الثاني قد نقل كرسية الانطاكي منذ سنة ٩٤٩ ويظهر ان يوسف هذا البطريرك هو الاخير من البطاركة الذين ثبتوا في يانوح وقد نزح منها الى جهات جبيل الساحلية بعد حلول الصليبيين حتى خالطهم وصادقهم وساعدهم) وان قصاده وصلوا الى رومية مع قصاد الملك غدفراد وانه قبل التاج والعصى من صاحب الكرسي الروماني مع التثبيت »[١] .

وعن هذا البطريرك وموالاته لرومية وما جرى بينه وبينها بواسطة الصليبيين روى تاريخ كنيسة الملبار السرياني المخطوط في مكتبة اوكسفورد[٢] وقد رأينا فقرته بخصوص الموارنة عند سعيد الذكر المطران بطرس شبلي وهذه هي : انه نحو سنة ١١٢٧ قد انفصل مارون وامته عن البطريركية الانطاكية وتبع الافرنج وكنيسة رومية » .

ان بطريرك اليعاقبة اغناطيوس الثالث لما ارسل صور اعتقاده الى البابا زخيا الرابع سنة ١٢٤٧ اشترط ان يستمر محافظاً على طقسه ولغته

---

١) ان المؤلف استند الى مخطوطه في نقل هذا النص . راجع تاريخ الأزمنة لبطريرك اسطفانوس الدويهي ، نشره الاب فرديناند توتل اليسوعي ، بيروت ١٩٥١ ، ص ١١ .

٢) Bod. Or. 667, cf. SMITH R. PAYNE, *Catalogi codicum manuscriptorum Bibliothecæ Bodleianæ*, codices syriacos, cuphunicos, mendaeos, Oxford 1864, coll. 264-268.

اما النص السرياني فهو التالي :

f. 25 r [illegible]

Revue de l'Orient Chrétien, XVII (1912), p. 78

وعوائده وان لا يخضع لبطاركة اللاتين ولا يودي لهم الريشيت وان لا يجبر مثله على اخذ سر التثبيت تكرارًا كما جاء في الزهرة الزكية و[جه] ٧٠ .

فمن هذا النص يظهر ان بطريك الموارنة في سنة ١١٢٧ قد تبع اوامر الافرنج اي رومية في جميع هذه الامور حتى تنبه اليها اليعاقبة ورفضوها لما خضعوا لرومية .

حقًا ان هذا النص هو اثمن ما وجد بحق الموارنة وكثلكتهم لانه من قبل رواية غليلموس الصوري بزمان . وفيه اثبات لكثلكة الموارنة الى اوائل القرن الثاني عشر وخضوعهم لرومية الى ذاك الزمان وذلك لانه لا يشير الى هرطقة جحدوها بل الى مجرد خضوعهم عفوا ومن تلقاء انفسهم الى الكرسي الرسولي الروماني حتى ان البابا عرف هذا البطريك الماروني واهداه تاجاً وعصاً وخاتماً دلالةً على رضاه عليه وعلى طائفته ومن ذاك الحين اخذ الموارنة باستعمال بعض امور في طقوسهم ورتبهم طبقاً لطقوس ورتب الكنيسة اللاتينية بعد ان رفعوا بعض الطقوس والرتب التي كانت عندهم من الزمن القديم . وما ذلك منهم الا لشدة تمسكهم بكرسي رومية وقد توهم بعض علماء الموارنة ان هذه الحادثة قد جرت ليوحنا مارون في ايام البابا انوريوس الثاني من ١١٢٤–١١٢٠ .

اما نحن فنرى من ذكر البابا انوريوس وهو الثاني في تلك القصة انها جرت في ايام البابا اوربانوس الثاني ، اي من سنة ١٠٨٨–١٠٩٩ في ايام هذا البطريك الجرجسي . ومما يثبت ذلك ان الدويهي قال ان براءة البابا اوربانوس الثاني لهذا البطريك كانت محفوظة في قنوبين الى ايامه . ويظهر ان هذه البراءة قد بقيت في الكرسي البطريكي ولم ترسل الى رومية مع غيرها من براءات الباباوات سهوًا ثم انها ضاعت بعد الدويهي حتى لم يعثر عليها احد .

ومن ثم ترى ان اسم البابا انوريوس مصحف من النساخ عن اسم اوربانوس نظرًا لترادف هذين الاسمين . وقد قال السعيد الذكر المطران يوسف دريان صفحة ٢٩٦ عن هذا البطريك : «ومما يروى انه كان بطريكاً على الموارنة في تلك الايام يوسف الجرجسي . وكان مقامه في يانوح من جبة المنيطرة في جبل لبنان وانه عندما ارسل غفريد بن ملك اورشليم وفود المبشرين بالنصر المبين الى رومية قد انتهز الفرصة هذا البطريك وارسل مع هذه الوفود رسولا يحمل رسائل الخضوع والطاعة الى الحبر الاعظم

ويطلب التثبيت . وكان البابا اربان الثاني قد رقد بالرب فاستقبل ذلك الوفد بسقال الثاني خليفته بكل ترحاب وارتياح وارسل لهذا البطريرك رسائل الجواب وتاجاً وعكازاً حبرياً على سبيل الهدية . ولكن هذا ليس يثبت . ويقال ايضاً ان هذا البطريرك قد توفي سنة ١١٢٠ وليس من اثر راهن يدل على ذلك »[١] .

اما نحن فنقول لا حق للسعيد الذكر دريان بان يرتاب في صحة حوادث البطريرك يوسف الجرجسي وذلك لان العلامة والمؤرخ الثقة قد شهد هو نفسه في مواضع عديدة من تاليفه ان جواب البابا اوربانوس الثاني ما زال في ايامه محفوظاً في الكرسي البطريركي المبين كما كان محفوظاً ايضاً جواب البابا زخيا الثالث وان هذا العلامة القديس لم يأت برواية ابن القلاعي بخصوص البطريرك الجرجسي الا بما انها كانت مطابقة لتلك البراءة الببوية فنعد من الجسارة تكذيب هذا البطريرك فيما رواه عن مشاهدة عينية للبراءة الجرجسية . اما اذا كان ابن القلاعي لم يذكر هذه البراءة مع سائر البراءات الببوية ، فليس ذلك برهان على عدم وجودها بل برهاناً على عدم اطلاع القلاعي عليها لانه لم يرها ولانها لم تكن في رومية بل في قنوبين في محل غير الذي كانت فيه تلك البراءات ولا ريب ان فقرة تاريخ كنيسة المُلبار تدل على البطريرك الجرجسي ومعاطاته مع رومية وليس على غيره . لان حادثة هذه الرواية هي وحيدة من جنسها الى تلك السنة اي ١١٢٧ التي لم يقرها المؤرخ بل قال نحو سنة ١١٢٧ ، كأن هذا الحادث قد حدث قبل تلك السنة وبدونه المؤرخ بضبط لانه لم يكن على معرفة تامة من السنة التي حصل فيها . ومن ثم كانت حادثة البطريرك الجرجسي برمتها مما لا ريب فيها .

ومما يثبت قولنا هذا انما هو التقليد الذي يروي ان بابا رومية قد ارسل الهدية المرسلة للبطريرك يوسف الجرجسي الى يوحنا مارون الذي من دملس الذي كان بطريركاً قبل الجرجسي توّا ، قبل وصول الصليبيين بقليل وفي ايام البابا اونوريوس الثاني لان هذه القصة المنسوبة الى يوحنا مارون رئيس الطائفة الأول لا يمكن ان تدل الى زمان سابق مجيء الصليبيين وبالتالي الى رئيس الطائفة الذي كان قبل ذلك التاريخ ، والفرق بين زمان

١) المطران يوسف دريان ، لباب البراهين الجلية عن حقيقة الطائفة المارونية ، بدون ذكر المطبعة والسنة ، ص ٢٩٦ .

البابا اونوريوس الثاني واوربانوس الثاني وبين البطريركين يوحنا مارون الذي من دملص الثاني ويوسف الجرجسي يكاد ان يكون لا عبرة له لانهم جميعاً قد وجدوا تقريباً في زمان واحد اي بين سنة ١٠٨٠ و ١١٣٠ . ولذا كان من السهل في التقليد عدم معرفة الحادثة بضبط وخلط الحوادث نظراً لقرب وقوعها وترادف اسماء اصحابها (اونوريوس واوربانوس ويوحنا ويوسف) وليس من المستحيل بل انه معقول جداً ان البطريرك يوحنا مارون الثالث الذي من دملص قد خابر رومية وكتب اليها مع من كتب من البطاركة والمسيحيين الشرقيين يطلب مساعدتها ويعترف بايمانها ويُعلم انه هو وطائفته منذ القديم خاضعين لها ومعتقدين اعتقادها .

ولما جاء الجرجسي وارسل قصاده الى رومية اجابه البابا على رسالة سلفه يوحنا مارون وعلى رسالته سوية فاعتبر ونسب التقليد هذا الجواب وتلك الهدية انها ليوحنا مارون لانه كان المباشر بطلبها كما ان الجرجسي كان المتمم لها .

اما يوحنا مارون هذا البطريرك الثاني في السلسلة اللبنانية فما هو الا الاخير من السلسلة الثانية الخماسية التي نسخها داود بن ابراهيم في سنة ١٣١٣ وليس غيره .

اما تقليد الموارنة الذي يروي قصة بطريركهم يوحنا مارون والتقاءه مع قاصد البابا في انطاكية وفي طرابلس في ايام البابا اونوريوس وان هـذا البطريرك ذهب مع القاصد الى رومية حيث ثبته البابا اونوريوس بطريركاً والبسه التاج والخاتم وسلمه عصى الرعاية فذلك كله لا ينطبق تاريخياً على زمان القرن السابع والثامن بوجه من الوجوه بل ان الآثار التي وجدت مؤخراً وقد محصناها تدل فانها تدل بظروفها وخاصة دلالةً واضحة من اسم البابا اونوريوس انها قد تمت فعلاً في زمان هذا البابا اي بين سنة ١١٢٤ و١١٣٠ وقد اثبت ووعى هذا التقليد مخطوط كنيسة الملبار وهذا الامر معقول جداً بل ثابت من ان الموارنة قد التصقوا بالافرنج فور وصول هؤلاء الى لبنان لانهم منذ القديم كانوا يعتبرون ذواتهم اخواناً للافرنج في الاعتقاد ولم يكن يمنعهم عن المعاطاة معهم الا ظلم الحكام وهذا جرى قريباً من ايام البطريرك يوحنا مارون الثالث الذي كان نحو سنة حلول الافرنج في لبنان .

اما خلفاء الجرجسي منذ سنة ١١٢٠ فقد دلت عليهم الآثار الراهنة كما ستروا وهم : البطريرك بطرس من سنة ١١٢٠ والبطريرك غريغوريوس .

الخلاني سنة ١١٣٠ والبطريرك يعقوب من رمات والبطريرك بطرس في سنة ١١٥٤ والبطريرك يوحنا اللحفدي والبطريرك بطرس في سنة ١١٧٩ ثم بعد هؤلاء البطريرك ارميا العمشيتي سنة ١١٨٣ والبطريرك دانيال من شامات سنة ١٢٣٠ والبطريرك شمعون سنة ١٢٤٥ والبطريرك يعقوب سنة ١٢٧٧ والبطريرك دانيال من حوشب سنة ١٢٨٠ الخ .

لقد سردنا هنا امام القارئ عدد هؤلاء البطاركة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تبياناً الى ان بطاركة السلسلة السريانية التي نحن بصددها لبس فيها من خدم البطريركية المارونية الانطاكية في هذين القرنين وذلك واضح من ان البطاركة المذكورين في هذه السلسلة هم غير الذين ذكرناهم هنا من انهم خدموها في القرنين المذكورين ولذا قلنا قبلاً مع الدويهي وبناء على البراهين التي اوردناها ان اولئك البطاركة هم من سنة ٧٣٠ — (الى) سنة ٩٤٩ . وهم من دير مار مارون قبل خرابه وممن سكنوا انطاكية ثم بعدهم سلسلة البطاركة الذين اقاموا في يانوح في لبنان من سنة ٩٤٩ الى سنة ١٠٩٠ اي الى مجيء الصليبيين كما رأيت .

ومن ثم لا يمكن ان يكون احد من السلسلة السريانية كان بعد مجيء الافرنج كما توهم الدويهي . وذلك لانه لا يقبل ان تذكر هذه السلسلة بطاركة القرون الاولى اي من سنة ٧٣٠ الى ٩٤٩ وتنتقل منها الى الذين خدموا البطريركية من سنة ١١٨٣ الى ١٢٧٧ تاركة جميع البطاركة من سنة ٩٤٩ الى سنة ١١٨٣ وهم الذين نقلوا واولهم يوحنا من انطاكية الى لبنان وكان آخرهم يوحنا مارون الثالث من حوالى سنة ١٠٨٠ ثم بطاركة القرن الثاني عشر من سنة ١٠٩٠ الى سنة ١١٨٣ الذين عددناهم هنا . فضلاً عن ان البطاركة الاربعة من السلسلة السريانية الذين ادعى الدويهي انهم كانوا في لبنان بعد مجيء الافرنج لا تنطبق اسماؤهم على اسماء بطاركة القرن الثالث عشر الذين لا ريب بوجودهم وزمان تنصيبهم . ولا يعارض قولنا قول الدويهي الا براءات الباباوات واخبارهم كانت مصونة عنده . لان اصحاب البراءات والاخبار هم ارميا وشمعون ... الخ . الا ان هؤلاء يسموا اولئك المذكورين في السلسلة بل غيرهم وهذا مما لا ريب فيه كابرهنا .

وسوف يرى القارئ قريباً كتاباً خاصاً منا في سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكيين مطولة ومفصلة باسهاب حيث زيادة شرح وايضاح لهذه المسألة وعلى الله الاتكال .

ونرى في هذه السلسلة ان لا ذكر فيها ليوحنا مارون الاول الذي يروي تقليد الموارنة انه قام بطريركاً بعد توفان نحو سنة ٦٨٦ وذلك دليل انه لم يكن بعد المجمع السادس بل من اواسط القرن السادس الى اواسط السابع كما برهنا. وانه كان بطريركاً على جميع الخلقيدونيين وليس على الموارنة لوحدهم.

اما يوحنا المذكور اولاً في هذه السلسلة فهو السادس فيها ومن ثم كان زمانه اقله في اواخر القرن التاسع. اي حوالي خراب دير مار مارون. ولم يكن هو المذكور في السلسلة الثانية لان البطاركة المذكورين بعده هم غير المذكورين في السلسلة الاخرى.

اما ما حدا بنا الى تقدير قضيتنا هذه انما هو قول المؤرخ التلمحري الذي عيّن ابتداء سلسلة بطاركة الموارنة من قبل سنة ٧٤٠ وانفصالها الى سنة ٨٣٣ لان هذا المؤرخ ختم حادثة دير مار مارون هذا بقوله: «وقد بقي الموارنة كما هم (كما كانوا من قبل) حتى اليوم. من انهم يسمّون لانفسهم بطريركاً واساقفة من ديرهم»[1].

ففي هذا الكلام يقابل المؤرخ من عمل تاوفيلوطا اي تسميته بطريركاً من الملك العربي مروان. وتبين بذلك ان تاوفيلوطا الذي اتهم بامر من مروان يعلن بطريركته ويأمر بالخضوع. له لم يستفد شيئاً ولم يجده ذلك نفعاً اذ ان الموارنة رفضوه وانكروا عليه البطريركية والسلطة عليهم وقد بقوا كما كانوا قبل ذلك على انتخابهم بطريركهم وما زالوا خاضعين له في هذه الحادثة وما بعدها. ولم يقبلوا غيره وما انفكوا على مبدإهم هذا حتى الى ايام المؤرخ اي سنة ٨٤٣ التي فيها كان ديرهم قائماً بعد.

اما هذا النص فانه ينفي بتاتاً ابتداء الموارنة بانتخاب بطريرك لهم منذ ايام تاوفيلوطا فقط بدليل وضعه «بقوا» اي ما زالوا كما كانوا من قبل ولا يمكن تفسير هذا الفصل هنا الا بما نقوله لانه لو كان المؤرخ وهو الخبير بوضع الكلام بمعانيه يريد بقوله ان الموارنة قد انتخبوا بطريركهم بعد انتخاب تاوفيلوطا لكان وضع فصلاً آخر يدل على ذلك كأن يكون: «اتخذوا» او «شرعوا» ويقول ومن ذاك الحين.

اما المطران يوسف داوود[2] فانه قد فهم ذلك المعنى وزوّره لينكر

١) Michel le Syrien, *op. cit.*, t. IV, p. 467.

٢) المطران اتيسيس يوسف داود، كتاب جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة، [القاهرة ١٩٠٨].

بطريركية الموارنة حيث قال في ذيله هكذا : « ان اساقفة الموارنة الى زمان ديونيسيوس اي الى سنة ٨٣٣ كانوا ينتخبون من دير مار مارون » . وقد رأيت في النص الاصلي ذكر (بطريركهم) مع الاساقفة . اما داود فانه حذف لفظة « بطريركهم » ثم قال مزوراً ايضاً :

« عدد ٦ . ان الموارنة شرعوا (وقد رأيت النص يقول بقوا) يقيمون لهم بطريركاً على حدة نحو ٧٤٥ » . وما ابدال المطران داود فعل « بقوا » بفعل « شرعوا » الا لانه تأكد ان الاول يدل على انتخابهم بطريركاً قبل تاوفيلكتوس . ولا حاجة للقول ان النص الاصلي صريح ويكذبه . لان البقاء يدل على مواصلة ما كان قد يجري من قبل . اما الشروع فلا يدل الا على الابتداء . ولا علاقة له الا مع ما بعده . وما زال المؤرخ يصرح ان الموارنة قد بقوا اي كملوا وتمموا ما كانوا يفعلونه من قبل . فما بالكم يا داود تنكر ذلك ضد الحق الواضح وتعاند بتعصبك الزميم الحقيقة الراهنة . فكان الاولى بك ان تسمي كتابك جامع البراهين الواهنة وليس الراهنة لما فيه من التزوير والتشويش المخجل لك .

ومن ثم كان بطريرك الموارنة الذي كانوا ينتخبونه قبل بطاركة الملكيين بعد الانفصال هو البطريرك الانطاكي الشرعي بالنسبة الى الموارنة . وان تاوفيلوطا لم يكن صاحب السلطة الشرعية عليه بل على متبعيه الملكيين لا غير . ولم يكن له حق بوجه من الوجوه بالتعرض بالموارنة . اما اذا كان مؤرخو اليونان قد ذكروه من انه الانطاكي فما ذلك الا انه كان موالياً لليونان . ومعتبراً انه بطريركهم بدليل ان المؤرخ النسطوري يسمي خلفه تاودوريطوس الذي كان محبوساً في بغداد بطريرك اليونان كما اثبتنا في هذا الكتاب . وكما انه لم يذكره احد من مؤرخي سوريا لا هو ولا غيره من البطاركة اليونانيين الانطاكيين . هكذا لم يذكر احدهم بطاركة الموارنة . وقد فقدت جميع الآثار بهذا الخصوص .

اما نص المؤرخ فله صداه العظيم في تقليد الموارنة الذي يقول انهم اخذوا ينتخبون بطريركاً لهم قبل القرن الثامن . اي قبل زمان تاوفيلوطا بمدة لا تقل عن الخمسين سنة . نعم انهم كانوا طائفة واحدة هم وسائر الخلقيدونيين ولم يقع الانفصال بين الطائفتين الا منذ سنة ٧٣٠ . ومن ثم قد تسمى بطاركتهم بطاركة الموارنة . ولما تضايق الملكيون من الموارنة ورأوا ذواتهم معزولين وبدون بطريرك اذاء الموارنة قد التجأوا الى الملك هشام فسمى لهم القس اسطفان . ولم يعطهم الحرية في انتخابه . ثم التجأوا بعد موت هذا

بخمس سنوات الى الملك مروان فسمّي لهم تاوفيلوطا ولم يدعهم ينتخبونه هم على هواهم لان هذين البطريركين كانا صديقين للملكيين .

فمن ثم كانت سلسلة بطاركة الموارنة الانطاكية المستقلة قد ابتدأت منذ سنة ٧٣٠ قبل سلسلة المكسيميين وهي الشرعية في نظر القانون والتاريخ .

اما سلسلة بطاركة المكسيميين فقد ابتدات بسنة ٧٤١ بعد انفصالهم. ومن ثم كانت الدخيلة على سلسلة الموارنة السابقة لها . وكان المكسيميون هم الذين انفصلوا عن البطريركية الانطاكية المارونية وليس الموارنة هم الذين قد انفصلوا عنه . الا ان المكسيميين كانوا اكثر عدداً ، وحزبهم في الشرق اقوى بسبب موالاتهم وخضوعهم لكنيسة القسطنطينية وملوكيا ومناصرة هؤلاء لهم .

اما الموارنة فتعلقوا منذ القديم : اي من عهد هرقل ، بالكرسي الروماني وبقيوا من ذلك الحين معترفين معه بالايمان القويم كما تدل اثارهم وبما انهم من ذلك الحين عادوا القسطنطينية وتباعها من الروم وقلبوا لهم ظهر المجن ؛ وكانوا تحت حكم الاسلام بعيدين عن رومية ولم يكن لهم من واسطة للوصول اليها قد بقوا من ذلك الحين منفردين في سوريا وخاصة في لبنان ومستقلين في كنيستهم الانطاكية في ايام الصليبيين .

وقد صرّح تقليد الموارنة واثارهم الخطية انهم منذ القديم كانوا موالين للافرنج اعني لكنيسة رومية وان أعتقادهم على اعتقادها وان بطريركهم الاول الانطاكي الخاص بهم قد اثبته بابا رومية . وهذا كان لثبوت معتقدهم الكاثوليكي وحقهم الشرعي على الكرسي الانطاكي .

اما اذا كان تقليدهم قد وقع فيه بعض اغلاط تاريخية فلا تأثير له على جوهر المسألة التي نحن بصددها ، اي حقهم الاول على الكرسي الانطاكي الذي يصرح التلمحري هنا ان سلسلتهم ما بقت من قبل انتخاب تاوفيلوطا الى ايامه سنة ٨٤٣ مستمرة ثابتة عليه . ومعلوم ان الكرسي الرسولي لا يولي حقاً شرعياً على الكراسي البطريركية الا من كانت سلسلته متواصلة وايمانه كاثوليكي بدون انقطاع .

اما الموارنة فترى ان سلسلة بطاركتهم مكملة لسلسلة البطاركة الكاثوليكيين الانطاكيين الذين كانوا على هذا الكرسي من قبل هرقل وبعده ولم يكونوا قد سقطوا في هرطقة لانهم كانوا كنيسة واحدة انطاكية مع الشعب الانطاكي وهي قسم منه .

اما منذ انفصالهم فقد النفوا كنيسة خاصة لوحدهم ما هي الآ قسم من الكنيسة الانطاكية لها حقيا بالكرسي الانطاكي اكثر من سواهم. اما ايمانهم فانه كان دائماً الكاثوليكي منذ نشأتهم الى الآن وما كتابنا هذا الا لاثبات هذه الحقيقة. وقد رأيت من الاثار والحجج الراهنة التي اوردناها انهم لم يتلطخوا ببرطقة ابداً. واذا كان بعض المؤرخين اخصامهم قد اتهموهم ببرطقة خاصة المونوثلية. فنحن قد اثبتنا انهم لم يعرفوها قط ولم يتلطخوا بها ابداً. وان قولهم بالمشيئة الواحدة انما هي الادبية لا المونوثلية. وما هي في عرفهم وحد ذاتها الا اتفاق المشيئتين الطبيعيتين اللتين كانوا يعترفون بهما بدون ادنى ريب. ومن ثم كان حقهم على الكرسي الانطاكي اولى من سواهم لان جميع الطوائف الشرقية التي انشقت عن هذا الكرسي قد سقطت في هرطقات شتى وسقوطها هذا ثابت ثبوت جبال لبنان ولم يبق [من] الطوائف الانطاكية من قد استمرت كاثوليكية على ايمان الكنيسة الرومانية الا الطائفة المارونية.

فمن جميع ما تقدم قد أتضح لك ايها القارئ ان الشعب الخلقيدوني الانطاكي الذي له الحق على الكرسي الانطاكي قد انقسم هو واساقفته الكاثوليكيون منذ سنة ٧٣٠ الى فئتين وكنيستين كاثوليكيتين بسبب ايضاح وتفسير تعليم المجمع الخلقيدوني فما يتعلق بالمشيئة والمشيئتين هما الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية، والكنيسة الانطاكية السريانية المكسيمية الملقبة باليونانية حتى اصبحت كل طائفة منها مستقلة عن الاخرى ببطاركها واساقفتها وادارتها. وبما ان الموارنة كانوا قد سبقوا وانتخبوا لذواتهم بطريركاً انطاكياً عليهم قد رسمه الاساقفة الانطاكيون ولم يقبله المكسيميون كما كانوا من قبل يقبلون بطاركة دير مار مارون بل انهم رفضوه لانه لم يقبل برأي المشيئتين اعتقاداً منه انهما المتضادتان بل رفضها وعلّم بالمشيئة الواحدة الادبية اعني باتفاق المشيئتين. ولم يكن لهم من سبيل الى انتخاب بطريرك غيره اذاءه بموجب القوانين الكنائسية التي تحذر وجود بطريركين في وقت واحد على كرسي واحد. قد التجأوا الى الحاكم الزمني الملك هشام فعيّن لهم توافيلكتوس دون غيره، وسمّاه بطريركاً عليهم لانه كان صائغه وصديقه وقد اثبته بامر خطي سلّمه اليه ملزماً الطاعة والخضوع لسلطته فتسلح بهذا الامر وبعسكر ليخضع الموارنة لسلطته فلم ينجح لانهم ردوه خائباً. ولم يرهبوا امر الملك واضطهاد وعذابات عسكره، وقد ساعدهم الرب عليه باعجوبة الهية. ومن ثم قد بقوا متمسكين كما كانوا من قبل

بطريركيهم مدعين بحق ان انتخاب البطاركة هو لديرهم ولاساقفتهم منذ القديم وليس للسلطة الزمنية . وهكذا قد انشق الكرسي الانطاكي الى ماروني وملكيتي : الاثنان خلقيدونيان ملكيان لا يمكن لاحد منهما انكار حق الآخر على هذا الكرسي .

اما السبب الاولي والجوهري للانفصال بين هذين الفريقين فقد اوضحه المؤرخ هنا اذ قال عن الموارنة : « وهم مميزون عن مكسيموس باعترافهم بمشيئة واحدة في المسيح وقولهم يا من صلبت لاجلنا لكنهم يقبلون المجمع الخلقيدوني ... وقد ردد المؤرخون في ذكرهم الموارنة نسبة هذه المشيئة الواحدة لهم كأنها خاصة بهم الا انه لم ينسبهم وينسبها احد منهم الى المونوثلية صريحاً الا سعيد ابن بطريق المتوفى سنة ٩٤٠ الذي ادعى ان هذه المشيئة قد علم بها مارون منذ ايام الملك موريق اي نحو سنة ٦٠٠ وان جميع الراطقة المونوثليين من ذاك الحين حتى اونوريوس بابا روميه كانوا موارنة[٢] . لكن المؤرخ التلمحري يفضح هنا في نصه السابق كذب ابن بطريق بتقريره ان دير مار مارون ورهبانه ما زالوا كاثوليكيين وعلى ايمان الكنيسة الكاثوليكية الخلقيدونية في سوريا مثل باقي الخلقيدونيين وفي كنيسة واحدة معهم سنة ٧٢٧ وهذا مما لا ريب فيه . فقد خلط اذا ابن بطريق لما رواه عن مارون ومن نسخ عنه قد لفقوا اخذاً عنه فيما رووه عن مارون ورهبانه وطائفته . اما الرد على هؤلاء الملفقين فقد كفانا التلمحري مؤنة الرد عليه لانه القمهم الحجر وافحمهم افحاماً .

اما نحن فلدى بحثنا عن حقيقة الموارنة منذ القديم الذي استقوه من دير مار مارون فاننا قد وجدنا ان تلك المشيئة الواحدة التي قال بها الموارنة وقد خصت بهم ليست الاراطقية ولا يمكن ان تكون المونوثلية بل هي الكاثوليكية وهي الادبية وليس الطبيعية وهي اتفاق المشيئتين الطبيعيتين اللتين علم بهما المجمع السادس وقرّر اتفاقهما وحرم تضاددهما وتناقضهما . وقد اوضح هذه المشيئة الواحدة الادبية القديس العلامة يوحنا الدمشقي المعاصر لجدال الخلقيدونيين وانفصالهم كما رأيت . ولزيادة تبيان هذه الحقيقة التي هي قضيتنا وغايتنا في هذا الكتاب نقول .

---

١) Michel le Syrien, *op. cit.*, t. IV, p. 467.

٢) Eutychii Patriarchae Alexandrini, *Annales*, éd. L. Cheikho, *CSCO*, scriptores arabici, t. 6, Louvain 1954, p. 210.

اولاً . ان اسم مونوثلي لا ينطبق لا لفظاً ولا معنًى على الموارنة . وذلك لانه مركب من لفظتين يونانيتين الاولى مونوس ومعناها واحد والثانية تليس ومعناها مشيئة طبيعية . وهي القوة التي بها انشأ الطبيعة وقد حدّد القديس يوحنا الدمشقي في كتاب الايمان الثاني صفحة ٤٧٦ هكذا :

فمن ثم قد حدد جميعهم هذه المشيئة الطبيعية (تليس) هكذا : هي الميل العاقل والحي الناطق بكل ما له طبيعة . ومن ثم ان تليس ما هي الا ذلك الميل الطبيعي ذاته الحي والناطق لجميع الذين يتألف فيهم طبيعة ، وهي القوة البسيطة اي المجردة عبر نفسها .

Unde voluntatem hanc naturalem °θέλησις° sic definiunt: voluntas est rationalis et vitalis appetitus, ex iis duntaxat quae naturalia sunt, pendens. Quocirca θέλησις quidem nihil aliud est, quam ipsemet naturalis, vitalis, ac rationalis appetitus eorum omnium quibus natura constituitur, et simplex facultas[1] .

ثم انه قد ميّز بين هذه اللفظة وغيرها مما يدل على المشيئة ايضاً حيث قال في الصفحة ٤٧٩ :

وبالحقيقة ان تليس انما هي قوة المشيئة البسيطة والمجردة ذاتها . اما بوليسيس فهي المشيئة المتعلقة بشيء ما . اما ثلتون فهي موضوع او مفعول المشيئة اي الشيء الذي نشاءه (...) اما الثليتون او الثليتيكون فهو ما كان مخولاً القوة المشيئة مثلاً الانسان . واخيراً ثلون اعني الشائي انما هو الذي يستعمل المشيئة (الاقنوم).

Siquidem Θέλησις, est ipsa simplex volendi facultas; Βούλησις, est defixa alicui rei voluntas; Θελητόν, est voluntatis subjectum, sen illud quod quod volumus °...°, Τὸ θελητόν. Θελητικὸν vero illud quod facultati volendi praeditum est, ut homo: Θέλων denique, sen volens, is qui voluntate utitur[2].

وقد حدد ايضاً هذه الالفاظ بمعانيه هذه في الصفحة ٥١٠–٥١١ .

ثم انه قد اوضح عن معاني المشيئة هذه في مقالته في المشيئتين صفحة ٨٤٦ وما يلي :

فبموجب هذا التعليم والتحديد الموضح من القديس يوحنا الدمشقي ذاته لا يكون مونوثليا الا من لم يعترف في المسيح الا بمشيئة واحدة طبيعية

١) P.G., t. 47, col. 476-477.

٢) P.G., t. 47, col. 479.

اي قوة المشيئة في الطبيعة ومن ثم ينكر وجود احدى قوتي المشيئتين الطبيعيتين في المسيح اي قوة المشيئة الالهية وقوة المشيئة البشرية . وبما ان الهراطقة المونوثليين قد انكروا وجود قوة المشيئة البشرية في المسيح وقالوا ان ليس فيه وله الا قوة مشيئة واحدة وهي المشيئة الالهية فقد لقبوا باسم جديد طبعاً خراطقتهم هذه . مشتقاً من معنى اعتقادهم الخاص وهو اسم مونوثلي الذي لا يدل الا على من لا يعتقد الا بالمشيئة الواحدة الطبيعية التي هي قوة المشيئة مجرّدة .

ولذلك انهم كانوا يجرّدون الطبيعة البشرية في المسيح من المشيئة البشرية التابعة لها ولا يقرون الا بالمشيئة الالهية التابعة لطبيعته الالهية مدعين انها قامت مقام المشيئة البشرية . ومما ادعوا به لاثبات هرطقتهم وانكارهم المشيئة البشرية في طبيعة المسيح البشرية انما هو مبدا المانوية الذي ينكر وجود مشيئة طبيعية في الانسان لزعمهم انه لا يوجد الا مشيئتان الواحدة صالحة وهي الالهية والثانية رديئة وهي شيطانية كما رأيت في نص القس انسطاسيوس السينائي وغيره هنا .

وهذا ما حدى بآباء المجمع السادس وبعض المؤرخين كما اثبتنا في مقالة خاصة من ان ينسبوا هرطقة المونوثلية الى المانوية حيث قال آباء المجمع عن قسطنطين فليكن محروماً المانوي . هذه هي هرطقة ماني . فليطرد خارجاً المانوي . وقد صرّح بذلك الدمشقي في الصفحة ٨٤٥ بقوله : «لكنهم (المونوثليون) يقولون ان ليس للانسان مشيئة طبيعية فانهم يقولون ذلك مثل المانويين الذين يقولون ان ليس الا مشيئتان الواحدة الهية وهي الصالحة والاخرى شيطانية وهي الرديئة .

ومن ثم لا يمكن ان يعد ويحسب هرطوقياً واراتيكياً وبالتالي مونوثلياً الا من انكر قوة المشيئة البشرية في الطبيعة البشرية ومن قال انه لا يوجد فيه الا قوة واحدة فيه للمشيئة خاصة بطبيعته الالهية فقط وهي المشيئة الالهية الطبيعية . اما من قال بمشيئة واحدة بغير هذا المعنى فلا يعــد مونوثلياً واراتيكياً قطعياً ولا يمكن تلقيبه باسم مونوثلي الذي لم يوضع في الاصل الا لمن دل عليه معناه الحصري اي من لم يقر ويعترف في المسيح الا بقوة واحدة طبيعية للمشيئة فيه . اما من قال بمشيئة واحدة ادبية رداً على تجنيات الهراطقة السوارنة والنساطرة الذين ادعوا ان القول بالمشيئتين انما هما المتضادتان او رداً على من ظن وتوهم عن غير فهم انهما متضادتان

وللدلالة على اتفاقهما هو الدليل على وجودهما لان الاتفاق لا يكون الا بين آخر وآخر اي بين المشيئة الاولى الالهية والمشيئة الثانية البشرية وينفي وجود اقنومين في المسيح الذي لا النساطرة من المشيئتين المتضادتين .

ومن جميع ذلك يتضح ان المونوثلي انما هو الذي يعرّي ويجرّد الطبيعة البشرية في المسيح خاصتها الطبيعة التي هي قوة المشيئة التي بها تشاء وينكر وجود هذه المشيئة بتاتاً ولا يقر بها ابداً . ولذا قد بنى جميع آباء الكنيسة خاصة القديس صفرونيوس والقديس يوحنا الدمشقي السورياني حقيقة وجود المشيئة الطبيعية البشرية في السيد المسيح له المجد على كمال طبيعته البشرية وعدم نقصها بشيء عن طبيعة الانسان الاول الذي خلقه الله على صورته ومثاله كاملاً وحراً . وقد انكروا تعليم المشيئة الواحدة الطبيعية اي قوة المشيئة في الطبيعة لطبيعتي المسيح لأنه يلاشي ويهدم الطبيعة البشرية فيه ويؤدي الى الابولينارية واليعقوبية اي الى هرطقة الطبيعة الواحدة في المسيح الا في المسيح .

نعم ان المونوثليين كانوا يقرون بالطبيعتين في المسيح الا انهم ينكرون بتاتاً المشيئة البشرية الخاصة بالطبيعة البشرية . وبهذا المعنى ايضاً قد فهم الهراطقة ذوو الطبيعة الواحدة تعليم المونوثلية اذ كانوا يعيّرون الخلقيدونيين الذين في ايام هرقل اعتقدوا بهذا التعليم اننا نحن لم نوافق المجمع الخلقيدوني . اي اننا لم نقل مثله طبيعتين في المسيح بل انه هو الذي قد وافقنا وقال معنا بطبيعة واحدة في المسيح لقوله مشيئة واحدة ، فيه يعنون بذلك ان تعليم المشيئة الواحدة يلاشي طبيعة المسيح البشرية حتى يرجع الامر الى القول بالطبيعة الواحدة فيه هي الالهية فقط . وما هو اعظم من ذلك انما هو ان تعليم المونوثلية انما صدر في اصله عن اليعاقبة ومبدأهم اذ ان بطريركهم اثناسيوس اخترعه وعرضه على الملك هرقل قصداً لعلمه انه يهدم طبيعة المسيح البشرية ويثبت هرطقة الطبيعة الواحدة .

وبناءً على ذلك قد وضع الآباء والمجامع المقدسة للهراطقة الذين انكروا قوة المشيئة البشرية في طبيعة المسيح البشرية وقالوا بقوة المشيئة الالهية لطبيعته الالهية فقط - اسم المونوثلية الدال على هذا التعليم كما كانوا قبلاً وضعوا اسم مونوفيستي الذي معناه طبيعة واحدة لمن انكر الطبيعة البشرية في المسيح ولم يعترف فيه الا بطبيعة واحدة وهي الالهية . والاسمان يدلان الاول على من لم يعترف في المسيح الا بمشيئة واحدة طبيعية في المسيح هي الالهية ،

والثاني على من لم يعترف فيه الا بطبيعة واحدة هي الالهية وكما ان الاول ينكر بتاتاً المشيئة البشرية هكذا الثاني ينكر بتاتاً الطبيعة البشرية في المسيح. والاثنان يلتقيان ويتفقان في القول بطبيعة واحدة فقط.

اما الموارنة فلا ينطبق تحديد المونوثلية هذا عليهم وذلك لانهم في جمع اثارهم والاثار التي تذكرهم التي اوردناها الى الآن يتخذون المشيئة بالمعنى الثاني الذي اوضحه الدمشقي وهو ثليتون Θελητόν اي الموضوع والشيء الذي تشاءه وهو مفعول المشيئة. وذلك انهم دون ان ينكروا قوة المشيئة التي لم يكن من خلاف عليها بين الخلقيدونيين من فسّروا واوضحوا هذا التعليم عملياً لا نظرياً فقط كما دخل عليهم وكما كان الهراطقة خاصة السوارنة والنساطرة يدعون ويتجنون بسبب تعليم المشيئتين من انهما المتضادتان المؤديتان الى الاقرار باقنومين وابنين ومسيحين.

اما تعليمهم هذا بالمشيئة الواحدة الادبية، اي ان موضوع ومفعول المشيئتين انما هو واحد فلا يمكن ان يكون بحد ذاته مونوثلياً وارتيكياً بل انه كاثوليكي صرف بدليل ما اوضحه القديس يوحنا الدمشقي في مواضع شتى من تآليفه وقد ذكرنا بعضها هنا من ان موضوع ومفعول المشيئتين في المسيح انما هو واحد فقط لان مرجعه الشخص والاقنوم وهو خاص بالاقنوم وليس بالطبيعة. وذلك لان المشيئة البشرية في موضعها ومفعولها اي عملياً تخضع للمشيئة الالهية وتطيعها دائماً حتى تصيران هاتان المشيئتان واحدة فقط. وما هذا الايضاح من العلامة الدمشقي الا ليبرهن عن عدم تضاد المشيئتين وعدم صحة زعم الهراطقة وتجنياتهم بحق المعترفين بالمشيئتين انهم يعترفون بالاقنومين بحسب اصطلاح الفلسفي من ان الافعال تنسب للاقانيم الذي لم يكن بامكان الخلقيدونيين ان ينكروه او يحيدوا عنه. ولذا كان من الواجب والضروري ان يبرهن ويوضح الخلقيدونيون هذا التعليم ليس بالنظر الى المشيئة بالقوة التي هي قوة المشيئة مجرّدة وعلى وجه الاطلاق لان ذلك لا يجديهم نفعاً فلسفياً بل بالنظر الى المشيئة بالفعل اي في مفعولها وبالنسبة الى الاقنوم ليس فيه تضاد او انقسام والمفعول ليس فيه تمييز في ذاته.

اما هذا الايضاح والتعليم الدمشقي ليس فقط انه كاثوليكي محض بل انه التعليم المخالف له في معناه انما هو اراتيكي لانه يقرر مشيئتين اقنوميتين لاعترافه بمشيئتين متضادتين منسوبة كل منهما الى اقنوم خاص لوحده. وهذا ما يوقع في النسطورية.

فهذا التعليم الدمشقي بعينه وهو اتخاذ المشيئة بانها موضوع ومفعول المشيئة اي الشيء الذي نشاءه واحدة وليس اثنتين قد علم واعتقد الموارنة القدماء وليس بالمشيئة الواحدة بالمعنى الآخر الموضح من الدمشقي للدلالة على قوة المشيئة بحد ذاته مجردة وهي المشيئة الطبيعية الخاصة بالطبيعة مبدئياً .

واذا كان لا بد من تسمية الموارنة باليونانية باسم يدل على تعليمهم هذا المخالف تعليم المونوثلية على خط الاستقامة كان من اللازم اللاذب ان يشتق هذا الاسم من مونوس ومن ثليتون ويقال مونوثليتونية الذي يعني صاحب مشيئة واحدة ادبية . لان المشيئة الواحدة الادبية التي هي موضوع ومفعول المشيئة بحسب تعليم وايضاح الدمشقي يجب ان يشتق هذا الاسم وليس من اسم مونوثلية . اما المشيئة التي هي قوة المشيئة الطبيعية بحد نفسها انما هي التي قد اشتق منها اسم المونوثلي في جميع اللغات .

ومن ثم لا يمكن تسمية الموارنة في اليونانية مونوثليين للدلالة على تعليمهم الخاص لانه مخالف لتعليم المونوثلية مخالفة كلية . ولذا اننا لم نر احداً من المؤرخين قد سماهم ولقبهم بهذا الاسم . اما تسميتهم باللغات الغير اليونانية بانهم اصحاب المشيئة الواحدة ܨܒܝܢܐ ܚܕ فلا يدل على انهم اصحاب المشيئة الواحدة المونوثلية الاراتيكية ؛ بل على المشيئة الواحدة الادبية اي اتفاق المشيئتين . ويستدل ذلك المعنى لبس من تعليمهم الخاص الذي اوردنا اثاره الخطية الى الآن والذي يصرح باعترافهم بمشيئتين طبيعيتين الواحدة الهية والاخرى بشرية وباتفاق هاتين المشيئتين حتى صارتا مشيئة واحدة في مفعولها وفي الاقنوم ؛ اللذين هما واحد فلسفياً بل من نصوص المؤرخين ذاتها التي تصرح دائماً عنهم بانهم يعتقدون « باقنوم واحد ومشيئة واحدة » ؛ وبهذا التعبير دليل على ان المشيئة الواحدة التي يعترفون بها ليست تلك الطبيعة التي هي قوة المشيئة بل الموضوعية والمفعولية والمنسوبة الى الاقنوم وهي واحدة فقط كما رأيت .

ولا يمكن القول ان نصوص المؤرخين السريان والعرب التي تسمي الموارنة اصحاب المشيئة الواحدة انها بمعنى المونوثلية او ترجمتها ؛ وذلك لان المؤرخين اليونان قد ذكروا الموارنة ولم يلقبوهم باسم مونوثلي قط . ولم يصرح احد من جميع المؤرخين القدماء شرقاً وغرباً بان الموارنة قالوا بالمونوثلية وانتموا اليها بل انهم يصرحون انهم قالوا بمشيئة واحدة كأن هذه المشيئة الواحدة

ليست المونوثلية . لانه لو كانت هي المونوثلية لكانوا قالوا عنهم انهم مونوثليون بالاسم الدال عليها دلالة واضحة كافية والخاص بها من وضعه . وهاك بعض الاثار التي تثبت ذلك وتوضح صحة قضيتنا .

قال النص المنسوب الى تيموتاوس القسطنطيني[1] الذي يصرّح ان الموارنة يرفضون المجمع الرابع والخامس والسادس ويزيد على قوله هكذا : « ويقولون بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح » . فيستدل منه ان المشيئة الواحدة والفصل الواحد اللذين قال بهما الموارنة انما هي غير المشيئة الواحدة والفعل الواحد اللذين حرمهما المجمع السادس واللذين ضمنهما بقوله عن رفضهم المجمع السادس كانه يقول ان قولهم بالمشيئة الواحدة انما هو غير رفضهم المجمع السادس .

ثم قال ساويروس اسقف الاشمونيين[2] في كتاب مختصر المجامع عن المجمع السادس : « في السنة الرابعة لمعاوية ... ونفوا كورس وبطرس و..... وكل من قال بمقالة اليعاقبة والموارنة ولعنوا اصحاب المشيئة الواحدة » . فمنه يتضح ان اصحاب المشيئة الواحدة الملعونين في المجمع السادس انما هم غير الموارنة ، وان الموارنة غير هؤلاء (وان يكن هذا النص ملفقاً) .

ثم ان المسعودي[3] قال عن مارون : « فما يذهب اليه من ان المسيح جوهران اقنوم واحد ومشيئة واحدة . فبهذا التصريح قد دل المؤرخ ان مارون قال بالمشيئة الواحدة بالنسبة الى الاقنوم الواحد وليس بالنسبة الى الجوهرين . وهذه هي المشيئة الواحدة الادبية اي اتفاق المشيئتين في اقنوم المسيح الواحد .

ولربما انه اخذ ذلك عن كتاب قيس الماروني الذي يذكره حتى اصلح ما لفقه سعيد بن بطريق بقوله عن مارون : « يقول ان سيدنا يسوع المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وفعل واحد واقنوم واحد » . كانه ينسب المشيئة الواحدة والفعل الواحد الى الطبيعتين . فخطأه المسعودي بذلك ونسب المشيئة والفعل الى الاقنوم كما رأى في كتب الموارنة وهو القول الصحيح

---

١) BIDAWID Raphaël, *Les lettres du Patriarche Nestorien Timothée I*, Studie e Testi 187, Città del Vaticano 1956.

٢) المطران داود ، ص ٢٢٣ .

٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، طبعة ده غيخ ، ليدن ١٨٩٤ ، ص ١٥٤ .

فيهم . وهذه هي المشيئة الواحدة الادبية وليس الطبيعة المونوثلية التي هي قوّة المشيئة .

ثم ان الجدال الذي جرى بين الموارنة والمكسيمينيين يدل ايضاً على ان المشيئة الواحدة التي علّم بها رهبان مار مارون لم تكن المونوثلية بدليل ان المكسيمينيين لم يسمّوا الموارنة بهذا الاسم المونوثلي الخاص بمن علّم بمشيئة واحدة في المسيح للطبيعتين ولم يكن المكسيمينيون ليجهلوا هذا اللقب ومؤداه . فحقاً لو كان الموارنة يعترفون بمشيئة واحدة بمعنى المونوثلية لما كان تأخر اخصامهم من تسميتهم باسم المونوثليين بعينه . بل انهم بقوا بعد ذلك الجدال يدعونهم بالاسم العام للنشتين : اي ملكيين وخلقيدونيين منسوباً للموارنة كما كان اسم ملكيين خلقيدونيين منسوباً للمكسيمينيين . وما ذلك الا اقرار صريح بان الموارنة لم يعلّموا في ذاك الجدال تعليم المشيئة الواحدة المخالفة لها على خط الاستقامة . وهي المشيئة الواحدة الادبية الخاصة بالاقنوم والمضادة والمناقضة لتعليم المشيئتين المتضادتين الذي كان السوارنة والنساطرة يتهمون بها الخلقيدونيين ظلماً ورداءة او جهلاً وتوهماً .

اما تعيرهم باسم السوارنة فيدل ان اعتراضهم هو ذات اعتراض السوارنة بتضاد المشيئتين لا غير .

ثم ان براءة البابا اينوشنسيوس الثالث[٢] الى البطريرك ارميا العمشيتي سنة ١٢١٥ تشير الى معنى المشيئة الواحدة الادبية عن الموارنة : وتنفي عنهم المشيئة الواحد[ة] المونوثلية بدليل انها تامر الموارنة ان يعترفوا بمشيئتين في المسيح وتضع هذا الامر بعد مسائل اخرى غير اعتقادية بل تهذيبية وطقسية فقط . وما ذلك الا بما ان هذه المسألة لم تكن ذات اهمية بالنسبة الى الموارنة الذين كانوا منذ القديم يعترفون بها الا انهم لا يعبرون عن اعتقادهم هذا مثل باقي الكاثوليكيين . ثم يتضح ذلك من عدم تنويه البراءة عن هرطقة المونوثلية وشرح خلالها كما كانت العادة جارية لدى البابوات الذين كانوا لدى قبولهم رجوع هراطقة يبينون لهم اولا ضلال هرطقتهم ويأمرونهم بان يجحدوها خطاً ويعلنون ذلك في البراءة الرسمية الدالة على رجوعهم .

١) Eutychii Patriarchæ Alexandrinæ, *Annales*, p. 210.

٢) تجد نص هذه البراءة في الشتيني ص ٢-٦ . Bullarium Maronitarum

وبما ان هذه البراءة هي على زعم الخصم ألاولى بحق الموارنة من لدن الكرسي الرسولي كان من الواجب على البابا كاتبها : وهو أعظم بابا عالم بالقوانين والشرائع في عصره ان يبرهن فيها عن بدعة المونوثلية وفسادها ويلزم البطريرك الماروني في المجمع اللاتراني الذي حضره هذا البطريرك ان يجحد هذه الهرطقة بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن شعبه ويعلن ذلك في براءته البابوية .

اما انه ولم يفعل شيئاً من ذلك بل حتم بالقول بالمشيئتين فقط بعد حتمه باتباعهم بعض طقوس وقوانين كنائسية فقط فلم يكن ذلك الا بما ان الموارنة لم يكونوا قبل ذاك الزمان ومنذ القديم مونوثليين : بل يعترفون بمشيئة واحدة دالّة على اتفاق المشيئتين . الا ان اعترافهم لم يكن مطابقاً في التعبير والظاهر لاقرار الكاثوليكين بالمشيئتين وان ضاهاه معنًى وضمناً .

ولذا حتم البابا عليهم ان يصرّحوا بتعليم المشيئتين بذات التصريح الذي رسمته الكنيسة الكاثوليكية . وان يعبروا عنه بتعداد الاثنتين بموجب تعبير الكاثوليكين . وان لم يكن الامر كذلك يُعد البابا مقصراً والبراءة غير وافية : ومعاذ الله من ذلك .

ومن الكذب والتجني القول قول الخصم ان البطريرك الماروني وبعض اساقفته كانوا قد جحدوا هرطقة المونوثلية امام الكردينال في طرابلس قبل ذهاب البطريرك الى رومية وكتابة هذه البراءة بدليل ان البراءة لا تذكر ولا تشير الى ذلك قط بل جلّ ما تعلنه وتوضحه هو ان البطريرك واساقفته كانوا في طرابلس قد حلفوا يمين الطاعة للبابا كما يحلف جميع الاساقفة الكاثوليكيون لا غير .

فلا يمكن للعقل البصير والمتنزه ان ينتج من ذاك اليمين والخضوع ان اصحابه كانوا هراطقة مونوثليين . ومما يدعم قضيتنا هو اعتراف البراءة واثباتها حقوق البطاركة الموارنة سلفاء اوميا على الكرسي الانطاكي الامر الذي لم يكن [ا] الكرسي الرسولي يعترف به لمن لم يكن كاثوليكياً . ولذلك نرى ان الموارنة كانوا يعبرون عن المشيئتين باتفاقها بواحدة ادبية وبذلك يختلفون عن سواهم من الكاثوليكين لفظاً لا معنًى بالقول وليس بالفعل بالعرض وليس بالجوهر وعن فلسفة سامية مثل الدمشقي وليس عن جهل او عن سوء تفاهم . بل عن شدة تمسك بتعليم المشيئتين وليس عن رفضهم له ثم عن رفضهم المضادة بين هاتين المشيئتين بحسب تعليم المجمع السادس

وليس عن عصيان عليه او عن انكار هاتين المشيئتين الطبيعيتين في المسيح. ولا يخلو اسم الموارنة في البراءة من الدلالة على انهم كانوا قبلها كاثوليكيين لانه لو كان هذا الاسم دالاً ومبنياً على هرطقة لما كانت البراءة ابقته ثم ولكانوا هم رفضوه.

ثم ان نص التلمحري في رهبان مار مارون وحزبهم لا يترك ادنى ريب بانهم كانوا الى سنة ٧٢٧ كاثوليكيين في الكنيسة الانطاكية على ايمان واحد مع سائر كاثوليكي هذه الكنيسة ؛ اي بعد المجمع السادس بنحو خمسين سنة ؛ وبعد ظهور واشهار اسم المونوثليين شرقاً وغرباً بنحو مائة سنة. فمن ذلك يثبت انهم لم يكونوا مونوثليين ولا يمكن اطلاق هذا الاسم عليهم باي وجه كان. ولم يطلقه عليهم هذا المؤرخ الذي هو الوحيد بايضاح تعليمهم وشرح احوالهم.

والحال ان تعليمهم بالمشيئة الواحدة الادبية كما يظهر من اثارهم ونص التلمحري انهم كانوا متمسكين به من قبل زمان ذلك الجدال سنة ٧٢٧ اي منذ ظهور اعتراض السوارنة والنساطرة على تعليم المشيئتين من انهما متضادتان ، وهذا الاعتراض قد نشأ منذ سنة ٦٤٩ ويليه تحديد المجمع اللاتراني الاول في ايام البابا مرتينوس القديس. وكان جميع كاثوليكي انطاكية قد اتفقوا على تقرير اتفاق المشيئتين خلافاً لمدعي الهراطقة حولهم وبينهم الذين كانوا يقولون انهما متضادتان. وقد بقوا على هذا القرار والتعليم الى ان جدد الهراطقة حملاتهم بخصوص تضاد المشيئتين بسبب نشر السابيين والجاليين لهذا التعليم المنسوب لرجل فرد هو القديس مكسيموس. دون ادنى اشارة الى السلطة الكنائسية السامية التي سنته وحددته في المجمع السادس.

ولما عرض هذا التعليم على هذا الوجه قبله بعض الكاثوليكيين في سوريا على علاته دون مبالاة الى تجنبات الهراطقة ؛ ونفر منه رهبان مار مارون لما راوا فيه وفي ايضاح اصحابه له من امكان اخذ المشيئتين بمعنى المفعول الخاص بالاقنوم وليس بمعنى القوة الطبيعية للمشيئة والاستنتاج منه المشيئتين في المفعول الى تقرير اقنومين في المسيح. وقد رفضاه ليس بما انه يقرر المشيئتين الطبيعيتين بل المشيئتين المتضادتين.

ويظهر من نص التلمخري ان اخصامهم لم ينكروا التضاد في المشيئتين ولم يثبتوا صحة معتقدهم بالمشيئتين. لان الموارنة اتهموهم بالنسطورية لتعليم

بمشيئتين متضادتين أي في الموضوع والمفعول بحيث يكون للمسيح مشيئتان اقنوميتان وبالتالي مشيئة غير مشيئة الاب كما يقول الموارنة والنساطرة .

ومن ثم قد حصل بين الموارنة والمكسيمينيين ما قد حصل بين جميع الخلقيدونيين حسب رواية القس انسطاسيوس السينائيتي من الخلاف والنفور والتشاحن والبغض حتى ادى بهم الامر الى تأليف كنيستين خلوصتين منفصلتين الواحدة عن الاخرى انفصالاً ادارياً تاماً . انفصل الكاثوليكيون في سائر المملكة الرومانية . اما هذا الانفصال فانه لم يكن عن هرطقة ؛ اي نكران وجحد المشيئة البشرية في المسيح : بل عن انكار مشيئتين متضادتين فيه .

ولما كان القس انسطاسيوس السينائيتي وهو المؤرخ الكاثوليكي الوحيد الذي بيّن عن الجدال بين الكاثوليكيين على المشيئتين المتضادتين خاصة في اوائل القرن الثامن لا ينحو باللائمة ولا يتهم بالهرطقة لا من انكر المشيئتين كما فعل الموارنة ، ولا من اقر بالمشيئتين كما فعل المكسيمينيون دلّ ان الانفصال بسبب الجدال على المشيئتين على هذا الوجه المشروع ولم يكن عن هرطقة وان اصحابه لم يكونوا هراطقة لانه صادر ومتأت عن سوء تفاهم وعن غيرة كاثوليكية للمحاماة عن صحة تعليم المجمع الخلقيدوني في الاقنوم الواحد والطبيعتين . ولذا ترى الدمشقي لا يذكر المشيئتين في جميع تآليفه بدون ان يلحقها بالقول انهما الطبيعتان وليس المتضادتين ومثله انسطاسيوس السينائيتي .

اما المكسيمينيون فانهم في جدالهم مع الموارنة لم يصرحوا بان المشيئتين التين يعترفون بهما انما هما الطبيعتان والغير المتضادتين . ويوم تصريحهم هذا وقع الريب والشك لدى اخصامهم في صحة تعليمهم فرفضوه وبقوا على التعليم الذي كان يعترفون به من قبل وبه وحده قد انتصروا في جميع جدالاتهم الفلسفية اللاهوتية على النساطرة واصحاب الطبيعة الواحدة . وبرهنوا عن صحة تعليم المجمع الخلقيدوني في الاقنوم الواحد والطبيعتين .

ولذا ترى الدمشقي لا يذكر المشيئتين في جميع تآليفه بدون ان يلحقها بالقول انهما الطبيعتان وليس المتضادتين ، ومثله انسطاسيوس السينائيتي .

اما المكسيمينيون فانهم في جدالهم مع الموارنة لم يصرّحوا بان المشيئتين التين يعترفون بهما انما هما الطبيعتان والغير المتضادتين . وبعدم تصريحهم هذا قد وقع الريب والشك لدى اخصامهم في صحة تعليمهم فرفضوه وبقوا

على التعليم الذي كانوا يعترفون به من قبل وبه وحده قد انتصروا في جميع جدالاتهم الفلسفية اللاهوتية على النساطرة واصحاب الطبيعة الواحدة وبرهنوا عن صحة تعليم المجمع الخلقيدوني من ان في المسيح اقنوم واحد وطبيعتين ومشيئة واحدة ادبية دالة على اتفاقات المشيئتين والاقرار بهما لانهما تجتمعان وتتحدان وتتفقان في مفعولها وفي الاقنوم الواحد في المسيح حتى سدّوا بهذا التعليم افواه الهراطقة والقسوهم الحجر حتى لم يتركوا لهم مجالاً للاعتراض والتشدق. وهذا هو سبب العداوة الشديدة بين الموارنة الاولين وسائر الطوائف المجاورة لهم. وهو لم يكن عن هرطقة وضلال كما ترى. بل عن غيرة منيّرة على المعتقد الكاثوليكي لم تدرك كنهها وحقيقتها غباوة وجهل اخصامهم ايا كانوا منذ ذاك الزمان الى الآن.

ومما يدل على ان الموارنة في زمان جدالهم مع المكسيميين وعدم قبولهم البطريرك تاوفيلوطا وبعد انفصالهم وتأليفهم كنيسة لوحدهم ببضع سنوات لم يكونوا هراطقة ولم تعتبرهم الكنيسة اراتيكيين بل انهم كانوا كاثوليكيين بتعليمهم المشار اليه.

حادثان جريا في سوريا وطهم المطرانين خصوصيين فردين قد اجتمعت الكنيسة جمعاء اي الانطاكية والاسكندرية والاورشليمية بشخص بطاركتها وحرموا هذين الاسقفين كلاً لوحده في ظرف خاص.

اما الحادث الاول فرواه تاوفانوس للسنة ٧٤٧ ؛ اي بعد تنصيب تاوفيلوطا بنحو سنة واحدة فقال :

ففي هذه السنة نيقيتاس اسقف بعلبك قد ضرب بالحرم من جماعة الكنيسة باسرها.

« Hoc anno Nicetas Heliopolos episcopus ab universo Ecclesiae cœtus anathemate percussus est »[1]

اما الثاني فقد روينا نصه في ما سبق وهو ان اسقف حماه قزما قد اختلس اواني كنيسة هذه المدينة فشكاه اهلها الى البطريرك الانطاكي تاودوروس فخابر هذا البطريرك تاودوروس الاورشليمي وقزما بطريرك الاسكندرية بأمر هذا الاسقف ، وانضمامه الى هرطقة الملك قسطنطين ضد الايقونات ، واتفقوا [في] ما بينهم على قطعه من الكنيسة الكاثوليكية فحرموه في يوم عيد العنصرة بعد قراءة الانجيل المقدس في سنة ٧٥٧ .

فنستدل من هذين الحادثين الخصوصيين في سوريا حيث كان رهبان مار مارون وقومهم بعد استقلالهم بسنين قليلة ان الكنيسة الكاثوليكية في

(1) P.G., t. 108, col. 866.

هذه الامصار لم تكن لتغفل عن حوادث فردية في امر الدين والاداب الا وتهتم لها وتتخابر بشأنها وتشهر الحرم على من يقترفها ويخالف الكنيسة بها . فيا ليت شعري لو كان الموارنة اونائذ وهم شعب عظيم لا يستهان به منتشر في جميع انحاء سوريا ولبنان له بطريركه الخاص واساقفته واديرته العظيمة في افاميا وحما والشام وحمص ومنبج ولبنان وقد حصل ذاك الخصام واشتد ذاك الخصام واشتهر ذاك الانفصال بينهم وبين الملكيين وقد عرف خاصة ما جرى بينهم وبين ذاك البطريرك تاوفيلكتوس في ديرهم العظيم وفي منبج حتى انقسم الشعب الكاثوليكي الانطاكي الى حزبين الواحد مع الملكيين والآخر مع رهبان مار مارون .

نعم لو كان الموارنة في ذاك الزمان هراطقة او يعلمون تعليماً فاسداً وغير كاثوليكي لماذا سكتت عنهم هذه الكنيسة ولماذا لم يتخابر بطاركة انطاكية واورشليم والاسكندرية بخصوصهم ويحتموا لامرهم ويشهروا حرمهم ويعلنوا للملا اجتنابهم وعدم مخالطتهم كما جرى قبل ذلك بسنين قليلة لقزما هذا بطريرك الاسكندرية الذي كان هو ومدينته مونوثليين وقد جحدوا المونوثلية في سنة ٧٣٤ كما يصرّح تاوفانوس . وايم الحق ان سكوت الكنيسة عن الشعب الماروني ما هو الا الدليل الصريح انه لم يكن هراطقياً بـل كاثوليكياً والا لكان هذا السكوت معجزة من الله تعالى واعجوبة من عجائب الدهر . بيد اننا نرى ان تاوفيلوطا كان قد اشتكى على رهبان مار مارون وبطريركهم واساقفتهم وحزبهم لدى سائر البطاركة . ولما لم تجبه البطاركة ولم توافقه على الموارنة كان هؤلاء كاثوليكيين ومحقين في بطريركهم ومعتقدهم ولا يحل شجبهم البتة والتعرض لهم . ولذا التجأ تاوفيلوطا الى سلطة الحاكم الزمني المسلم صديقه مروان ، حتى اخذ منه امراً خطياً وعسكراً ليضطهد الموارنة .

ولما لم يتعرض لهم سالفه اسطفانوس ، وخلفه تاودوروس ؟ اما اذا قيل ان قزما بطريرك الاسكندرية كان من الموارنة وعلى رأيهم بما انه مونوثليتي . نقول ان المؤرخ تاوفانوس يكذب ذلك وان التواريخ تكذبه ايضاً لانها لم تصرّح قط بمخابرة او علاقة بين هذا البطريرك وشعب الاسكندرية . بيد انها بالعكس تعلن جميعها باتفاق بطاركة الاسكندرية وانطاكية واورشليم الخلقيدونيين ومنهم قزما هذا قبل زمان الانفصال وفيه وبعده .

اما قزما مطران حماه ، ونيقيتاس مطران بعلبك ، فيشير النص الى انهما من حزب الملكيين واذا كان الخصم لا يقنع ببرهاننا هذا ويدعي

خلاف ما اثبتناه عن معتقد الموارنة الصحيح الكاثوليكي المحض . فليأتنا بنص واحد قد اشهرته الكنيسة الانطاكية لوحدها او الاشتراك مع سواها . واعلنت الحرم رسمياً وقانونياً وفي اجتماع قانوني بحق الموارنة واعتقادهم وغير ذلك مما يتعلق بهم .

ووجود البطريركية المارونية الانطاكية وشعبها العظيم في قلب سوريا بدون ان يتعرض لها بوجه قانوني من قبل سائر البطريركيات الا الدليل الواضح على صحة معتقدها وكثلكة ايمانها بدون ادنى تعليل .

ثم انه لا يمكن اتهام رهبان مار مارون وحزبهم من انهم قد عصوا السلطة الكنسية الشرعية بسبب هذا التعليم وهذا الاستقلال وذلك للاسباب التالية :

اولاً - لان تعليمهم بحد ذاته انما هو تعليم كاثوليكي محض ؛ وليس الا تعليم القديس يوحنا الدمشقي ذاته الذي قرر في نصين سابقين اي في الصفحة ٤٧٨ و٦٩٦ من المجلد ٤٧ ؛ اللذين اتينا بهما في كتابنا هذا من ان المشيئتين الطبيعيتين في المسيح تصيران واحدة فقط ادبياً في اقنوم المسيح الواحد وفي المفعول بخضوع وطاعة المشيئة البشرية دائماً للمشيئة الالهية .

وقد رأيت في جميع نصوص كتب الموارنة التي اوردناها انها كلها تدل على هذا التعليم بالمشيئة الواحدة الادبية في اقنوم المسيح الواحد وفي المفعول . وتصرح به على رؤوس الاشهاد وبدون ادنى تردد .

وقد دلت ايضاً على تعليمهم هذا جميع اثارهم القديمة والمؤرخين المدققين الذين اتوا بذكرهم . وحقاً ان من امعن النظر في تعليم الموارنة بالمشيئة الواحدة الادبية وقابلهم مع تعليم القديس يوحنا الدمشقي بها ؛ وجد اتفاقاً تاماً كان الاثنين قد اتفقا على تعليم واحد فضلاً عن ان المجمعين المقدسين اللاترانى الاول سنة ٦٤٩ والسادس سنة ٦٨١ قد حددا عدم تضادد المشيئتين اي اتفاقهما بمشيئة واحدة ادبية .

نعم ان الموارنة لم يعددوا في تعليمهم اثنية المشيئتين ؛ ويصرحوا انهما اثنتان عدداً . الا انهم لم ينكروا هاتين المشيئتين الطبيعتين في تعليمهم هذا ؛ بل انهم قد اضطروا بسبب الاراتكة وسبب دخول المشيئتين من انهما المتضادتان الى رفضها والاقرار باتفاقها . وهذا كان بوجودهما لانه مجموعهما في مفعولها وفي اقنوم المسيح الواحد . وحقاً انهم معذورون شرعاً في ذلك دفعاً للتضادد ولتجنبات الهراطقة الذين كانوا محاطين بهم .

ثانياً ثم انه لا يمكن ان يكون تعليم الموارنة هذا موافقاً للمونوثولية بل انه ايضاً يضادها على خط الاستقامة ، لان المونوثليين ينكرون المشيئة

البشرية في قوتها اي الطبيعية . والموارنة يعترفون بها . غير انهم ينكرونها في غايتها ومفعولها . اذ ان غاية ومفعول هذه المشيئة البشرية ليست الا غاية ومفعول المشيئة الالهية . وبعد ان رأيت نص الدمشقي عن تحديد المشيئة بقوتها : اي قوة المشيئة نجد نفسها حالك ما قاله عن فعل هذه المشيئة . اي مفعولها في الصفحة ٤٧٧ .

ان فعل المشيئة هو الغاية اي مفعول المشيئة . ان المشيئة اي فعل المشيئة تتجه الى الغاية وليس الى ما هو واسطة الغاية. اما الغاية فهي بالحقيقة ذلك الفعل الذي هو مفعول المشيئة مثلاً الملك والتعافي اما ما هو واسطة الغاية فهو ما تحصل المشورة عليه مثل نوع الوصول الى الصحة والى السلطة الملكية ويتبع فعل المشيئة البحث والتأمل . ثم اذا كان الكلام عمّ يمكن الحصول عليه فيحصل الرأي اي الاختيار اما الرأي فانه الميل الباحث عما يجب عمله من الاعمال التي هي باستطاعتنا لان الانسان يختار فيما اذا كان يقدم على عمل شيء او لا . وحينئذ يحكم فيما هو الافضل والانسب ويسمى الحكم (غنومي) اما اذا حكم بالا يتجه الى ما قد حكم به اي الا يعتقه بتاتاً لا يقال له حكم والحال ان الانتخاب يتبع اعني الانتخاب الذي ما هو الا تفضيل شيء من الشيئين المعروض على الشيء الآخر ...

Volendi actus est finis, voluntatis subjectum. — Voluntas, seu volendi actus finem spectat, non ea quæ sunt ad finem. Ac finis quidem est, id quod actus voluntatis subjectum est, v.gr., regnare, bona valetudine esse: ad finem autem, id de quo consultatur; puta modus consequendœ sanitatis, vel regiœ dignitatis. Voluntatis aetum sequitur inquisitio et consideratio. Deinde si de rebus quæ in potestate nostra sunt, agitur, consilium exsistit, seu deliberatio Est autem consilium appetitu. in quirens de rebus agendis, quarum potestas penes non est. Deliberat enim quispiam, num rem aliquam aggredi debeat, necne: tum id quod idoneum magis sit judicat, est judicium dicitur. Postea erga erga illud afficitur, et amplectitur quod consilium censuit; et tunc γνώμη, id est sententia vocatur. Nam si ita judicet, ut tamen erga illud quod judicatum est, non afficiatur; hoc est, illud minime amplectatur, sententia non . dicitur. Jam vero affectionem sequitur electio, quippe quæ nihil est aliud nisi e duabus rebus quæ proponuntur, alterius præ altera suspeeptio. o...o.

ثم اننا لا نضع في نفس المسيح الاختيار او الانتخاب او المشورة . لانه هو ذاته كان الاهاً وانساناً معاً . ومن ثم لم تكن له المشيئة التي هي من الحكم . اما المشيئة الطبيعية والمجردة والمعبّرة في جميع اشخاص البشر على حد سواء فكانت فيه ُيد ان الحكم اي الشيء الذي يشاءه المضاد للمشيئة الالهية ؛ فان نفسه قدوسة لم تقبله ولم تتخذه لان الحكم يتميز بتميز الاقانيم ما عدى في الالوهية القدوسة .

Quin ne in Chrsti quidem anima deliberationem aut electionem ponimus: neque enim ignorantia laborabat. °...°.

Idem enim ipse, et Deus, et homo erat, ac proinde voluntatem, quœ ex sententia est, non habebat. Naturaliis quidem et simplex voluntas, quœ in omnibus hominum personis perœque consideratur, ipsi inerat: cœterum sententiam, id est, rem quam vellet, divinæ voluntati conriam, et a divina sua voluntate alienam, sancta ipsius anima non admisit. Sententia quippe una cum personis discrepat, prœterquam in sancta °...° deitate »[1] .

ثم انه قال بالمعنى ذاته في الصفحة ٥١١ :

ان المشيئة في المسيح اثنتان اما الشائي بهما فهو واحد . وذلك بما ان المسيح هو واحد ؛ واحد هو اقنومه : فمن ثم واحد هو ايضاً الشائي بالعقل الالهي والبشري معاً . ثم بما ان فيه طبيعتين مخولتين قوة المشيئة لانهما عاقلتان - لذلك نقول ان فيه ايضاً مشيئتين طبيعتين لانه هو ذاته مالك قوة المشيئة من اجل الطبيعتين بما انه قد اتخذ قوة المشيئة هذه التي لنا من الطبيعة . وبما ان المسيح ذاته واحد وهو الذي يشاء بحق الطبيعتين معاً ثم نقول ان مفعول المشيئة فيه واحد هو ايضاً ليس بما انه كان يشاء الاشياء فقط التي يشاءها

Voluntas in Christo duplex, γνωμικὸν unum. Quoniam igitur unus Christus, unaque itidem ejus persona est, unus etiam proinde est volens, tam divina quam humana ratione. Rursus, quia duas naturas volendi facultate praœditas habet, utpote rationales, ideirco duas etiam in eo naturales voluntates dicemus. Idem enim ipse propter utramque naturam volendi facultate pollet; quippe qui eam assumpsit vim volendi quœ nobis a natura est. Et quoniam unus idemque Christus est, qui utriusque naturœ ratione vult, idem proinde voluntatis subjectum in eo dicemus: non quod ea sola vellet, quœ naturaliter uti Deus volebat (ne-

(١ P.G., t. 47, col. 477-478.

كالاكل والشرب طبعاً لانه لا يناسب الالوهية ان تشاء الاكل والشرب وما يشبهها بل الاشياء ايضاً التي تتقدم بها الطبيعة البشرية. لكن ذلك ليس بمضادة الحكم بل بخاصة الطبائع.

que enim divinitati convenit, ut edere velit, et bibere, aliaque id genus), sed etiam ea quœ naturam humanam constituunt: istud vero non sententia contrarietate, sed naturarum proprietate »[1].

فهذا التعليم الدمشقي هو ذاتــه الذي علم به الموارنة بدليل قول المكسيميين فيهم هكذا: « انكم تعتقدون ان في المسيح اقنوماً واحداً... وسلطاناً واحداً وامراً واحداً. اذ ان لفظة سلطان او سلطة وامر في هذا النص لا تدل الا على فعل ومفعول المشيئة وليس على قوة المشيئة بحد ذاتها اي انها متخذة بالفعل وليس بالقوة ومعناها هو معنى كفو ويكون التي وضعها الدمشقي ومؤداها صاحب الحكم والامر والسلطة اي ان مشيئة الحكم والسلطة والامر في المسيح ترجع الى اقنومه. ولذا لم يكن له حكمان وسلطتان وامران، بل حكم واحد، وسلطة واحدة، وامر واحد. لانه حاكم واحد وسلطان واحد وامر واحد، ليس بمضادة الحكم بل بخاصة الطبيعتين. ففي قول المكسيميين هذا القول للموارنة تصريح لا يشوبه ريب بان الموارنة لم يكونوا ينكرون في المسيح الا مشيئة الحكم التي نفاها الدمشقي وينفيها ايضاً بقوله:

فانه هو ذاته كان الاهاً وانساناً معاً.

ومن ثم لم يكن له المشيئة التي من الرأي والحكم.

Idem enim ipse, et Deus, et homo erat ac proinde voluntatem, quæ ex sententia est, non habebat[2].

وبما ان المسيح هو ذاته واحد يشاء بحق الطبيعتين نقول لذلك ان مفعول المشيئة فيه هو واحد... وهذا ليس بتضاد الحكم بل بخاصة الطبائع. وبما انه كان يشاء ذلك طبعاً اذ ان كانت المشيئة الالهية تشاء بنوع ان تسمح للجسد ان يحتمل ويفعل الاشياء التي كانت خاصة به.

Et quoniam unus idemque Christo est, qui utriusque naturæ ratione vult, idem proinde voluntatis subjectum in eo dicemus °...° istud vero non sententia contrarietate, sed naturarum proprietate. Tum demum enim naturaliter hœc volebat, cum divina voluntas ipsius ita volebat, et carnem ea quae sibi propria erant, pati et agere permittebat »[3].

١) P.G., t. 47, col. 511.

٢) P.G., t. 47, col. 478.

٣) P.G., t. 47, col. 511.

ومن ثم كان الموارنة يعتقدون ان المشيئة المتسلطة والحاكمة والامرة في افعال المسيح ، انما هي واحدة في المفعول ، لان المشيئة البشرية ، فيه لم يكن لها السلطان والحكم والامر ، بل الخضوع والطاعة واشباه ما هو طبيعي لها من ذات طبعها . اما الطبيعي لها من ذات طبعها فهو ان تميل الى الاكل والشرب وغيرهما مما تتنزه عنه الطبيعة الالهية . وفي ذلك لا حكم لها ولا امر ولا سلطة على افعال المسيح ، بل كل السلطة والحكم والامر في هذه الافعال يختص باقنومه المقدس الفاعل والسابق الواحد في الطبيعتين بخاصتيهما . وهذا ما تدل عليه عبارة المؤرخ عن الموارنة : « انكم تعترفون ان في المسيح اقنوماً واحداً وان له فعلاً واحداً وسلطة واحدة وامراً واحداً ، ولا ريب ان التسلط والحكم والامر تختص بالمفعول وتتعلق به . وكما ان المفعول به والمحكوم به والمتسلط عليه في المسيح هو واحد فقط ، هكذا المشيئة في المفعول فيه هي واحدة ، والفعل فيه هو واحد مؤلف من قوتي المشيئتين .

ومما ينفي كل ريب عن معنى معتقد الموارنة من انهم يرفضون وينكرون مشيئة الحكم والامر التي ينكرها الدمشقي على الطبيعة البشرية في المسيح في المفعول ، وليس المشيئة الطبيعية للطبيعة ، انما هو نص المؤرخ في استتاجه من الجدال ذاك الاستنتاج الذي يدل صريحاً ان الذين كانوا يقولون فيه بمشيئتين وفعلين لا يعنون بهما الطبيعتين بل الاقنومين اللتين لها سلطان وحكمان وامران في اقنومين لهما سلطتان وامران وحكمان وفيهما متسلطان وحاكمان وامران ، وذلك بقوله « والحال ان هؤلاء (المكسيميين) كانوا يقولون حسناً باولئك (الموارنة) اي انه كان المسيح بحسب طبيعتين وفي طبيعتين حافظتين خاصتيهما وفعليهما مثل رسالة لاون وتحديد المجمع الخلقيدوني . فمن الضرورة يجب ان يعتقدوا بمشيئتين وفعلين بل اقنومين فاعلين ومتصلطين ، اعني ابنين ومسيحين» .

فلا ريب ان الجدال هنا كان على المشيئة في المفعول وليس بالقوة وعليه ان المسيح هل له مشيئة واحدة امرة ومتسلطة ام مشيئتان امارتان ومتسلطتان وهل له في الحكم مشيئة واحدة حاكمة ام مشيئتان فقال الموارنة في ذلك بمشيئة واحدة آمرة وفعل واحد آمر . وقال اخصامهم بمشيئتين آمرتين وفعلين آمرين كما يقول النص . ولذا كان الموارنة يعيرون اخصامهم بقولهم : « انكم نساطرة » ، اي تعترفون باقنومين لان قولكم بمشيئتين آمرتين وفعلين آمرين تدلون على اقنومين في المسيح وهذا هو ضلال النساطرة .

فمن جميع ما تقدم يتضح ان المشيئة الواحدة التي امتاز بها الموارنة عن المكسيميين كما يقول النص ليست تلك المونوثلية . بل تلك التي شرحها وعلّم بها الدمشقي الا وهي مشيئة الحكم والمشيئة في المفعول والمشيئة الادبية المؤلفة من قوتي المشيئتين الطبيعتين في اقنوم المسيح الواحد وهي واحدة فقط . ومن ثم رفضوا ليس احداهما الطبيعية بل تلك المضادة والمخالفة للمشيئة الالهية فيما تشاءه في المفعول الخاص بالاقنوم وليس بالطبيعة والتي لم تكن في المسيح بتاتاً كما يصرّح الدمشقي . ولهذا لا يمكن اتهام الموارنة وتسميتهم بالمونوثلية لا سوريا [صوريا] ولا مادياً ، لان تعليمهم هذا يضادد هرطقة المونوثلية في مبدائها وقوها ونتائجها المضادة التامة .

ومن ثم لا يخلو تصريح المؤرخ من اثبات قضيتنا بقوله : « بانهم الموارنة يعترفون بمشيئة واحدة في المسيح لكنهم يقبلون المجمع الخلقيدوني» . ذلك لان المؤرخ اليعقوبي كان يزعم ان الاعتقاد في المجمع الخلقيدوني انما هو [ا]لاعتقاد في المشيئتين والفعلين ضمناً . ومن ثم لا يمكن فهم عبارته هذه عن الموارنة والتوفيق في اعترافهم بمشيئة واحدة من جهة وبالمجمع الخلقيدوني من اخرى ، الا بان المشيئة الواحدة التي كانوا يقولون بها تنطبق على تعليم وتحديد هذا المجمع المقدس . اما هذا التطبيق فلا يمكن ان يكون بالمشيئة الواحدة المونوثلية التي كان اليعاقبة يعتبرونها موافقة لهرطقتهم ، لانها تهدم الطبيعة البشرية وتخالف المجمع الخلقيدوني بل تلك الواحدة الادبية التي ما لفظة الوحدانية فيها الا للدلالة على اتفاق المشيئتين في المفعول ، فتكون من ثم واحدة ومطابقة تماماً لروح تعليم المجمع الخلقيدوني .

ومن ثم لا يمكن ان الموارنة قد اعترفوا وعلموا الا بهذه المشيئة الادبية نظراً لتمسكهم بالمجمع الخلقيدوني وعداوتهم لاصحاب الطبيعة الواحدة التي ينفرون ومنها لانها تلاشي تعليم هذا المجمع . ثم لما عرفوه في جميع الطوائف من ان المشيئة الواحدة المونوثلية تلاشي وتهدم الطبيعة البشرية في المسيح لا يعقل انهم حاولوا جمع الطوائف من نساطرة ويعاقبة ومكسيميين بهذه المشيئة الواحدة ، وقد انتصروا عليهم ، والّفوا كنيسة خاصة بهم ما لم تكن هذه المشيئة هي غير المونوثلية التي كان قد اجمع الغرب والشرق على رذلها وحرمها وما لم يكونوا قد استندوا تعليمهم هذا الى تعليم الدمشقي وتعليم الكنيسة الرومانية وكيف يكون ذلك وهم المعتقدون كما تصرح تقاليدهم ان تعليمهم هو تعليم الافرنج وجميع الشعوب ما عدا المكسيميين .

هل يا ترى كانوا يجهلون ان الافرنج ، اي كنيسة رومية ، لم تعلّم قط بالمشيئة الواحدة المونوثلية او كيف يكون ذلك وهم اعداء لولاة القسطنطينية والبطاركة المونوثليين الذين لم نجد لذكرهم اثراً في تقليد الموارنة او في اثارهم. اما الذي حدى بهم بعض [بعد] تقرير المشيئتين الطبيعيتين في المجمع السادس واعترافهم بهما الى ذاك الزمان ، زمان الجدال سنة ٧٢٧ كما يشير نص المؤرخ الى رفض هاتين المشيئتين والتمسك بتعليم المونوثلية الذي لم يكن معروفاً لديهم . ولم يخصهم احد على التعلق والتشبه به لان انصاره كانوا بعيدين عن سوريا وقد دخلوا في خبر كان حتى لم يبق من قوة على وجه الارض تعضده فبالحالة هذه هل يعقل ان رهبان دير مار مارون ، وهم العلماء والفلاسفة ، قد تمسكوا بضلال يعزلهم عن جميع الكنائس ويجر عليهم الوبال وعلى كنيستهم التلاشي ان لم يكن لهم من سلطة لا زمنية ولا كنائسية فهل يصدق ذلك ولا ذكر في آثارهم لأحد انصار المونوثلية قط.

اما اذا قيل انهم رفضوا تعليم مكسيموس وضادوا وجادلوا اصحابه ، اجبنا انهم لم يرفضوا تعليم مكسيموس الصحيح كما عرفته وعلّمت به الكنيسة الجامعة بل بما انه دخل عليهم مشوهاً وملتوياً وفاسداً لتفسير اصحابه له في وجهيهم من انه يحتوي المشيئتين المتضادتين وعلى هذا الوجه فقط وبحسب هذا التفسير المخالف للحقيقة لا غير قد نفروا منه بل رفضوه وقرفوه وقرفوا اصحابه . وحقاً لو كان المكسيميين يعتقدون ويعلمون تعليم مكسيموس الذي قرّره واثبته وحدده المجمع السادس لمـاذا لم يحججهم [يحاججهم] اصحابه بسلطة هذا المجمع وبانه تعليم الكنيسة بل نسبوه اليه وحده وما ذلك الا لانهم فسّروه واوضحوه خلافاً لتقرير الكنيسة وعلى هواهم ونسبوا ذلك الى مكسيموس وحده ولم يتجرأوا على نسبته الى المجمع السادس لانه حرمه لكونه يقرر المشيئتين المتضادتين .

وعلى كل حال ان تعليم الموارنة بهذه المشيئة الواحدة لا يمكن ان يكون مونوثلياً وذلك للاسباب التالية :

اولاً لانه يصرح بالاعتراف بالمشيئتين الطبيعيتين في المسيح كما رأيت في نص ايمانهم السرياني .

ثانياً لان المشيئة التي يذكرها تعليمهم هي بالنظر الى المفعول وباعتبارها في معنى المفعول وليس بالنظر الى قوتها وطبعها فقط .

ثالثاً لانه مطابق لتعليم القديس يوحنا الدمشقي كما رأيت .

رابعاً لانه لا ينكر في المشيئتين الا التضاد بينهما الذي انكرته الكنيسة ومجامعها .

خامساً لان تعليم المشيئتين لم يُعلن لهم ، ويُذع عليهم ، ويتصل اليهم بواسطة السلطة الكنائسية الشرعية السامية .

سادساً لان الكنيسة لم تحرم او ترذل في مجمع .

سابعاً لان الكنيسة اليونانية الانطاكية لم تجسر على حرمه رسمياً وقانونياً بل جل ما هنالك جدالات ومشاحنات ومنازعات وحرومات خصوصية من الطرفين لا عبرة لها .

ثامناً لم يسمهم احد من المؤرخين باسم مونوثليين المعروف بالضلال والخاص بالهرطقة .

تاسعاً لان قول المؤرخين عنهم انهم يعتقدون بالمشيئة الواحدة يدل على المشيئة الادبية وليس المونوثلية .

عاشراً لان كتبهم القديمة تصرّح ان اعتقادهم انما هو اعتقاد الافرنج : اي كنيسة رومية ، التي لم تعلم بالمونوثلية قط .

الحادي عشر لانهم لم يعلموا بهذا التعليم لعصيانهم على سلطة الكنيسة الشرعية ، وهذه لم تكن بسوريه بل عن غيرة على تعليم الكنيسة الكاثوليكية ودفعاً لتجنبات الهراطقة ، وتفريقهم لهم : وهم الذين ذكرهم انسطاسيوس السينائيّ الساويريون والنساطرة .

الثاني عشر لان الجدال الذي حصل منهم للمكسيميين لم يكن خاصاً بهم لوحدهم : بل ان مثله قد حصل منذ اوائل القرن الثامن بين جميع الخلقيدونيين في المملكة الرومانية وفي الشرق كما يصرّح نص انسطاسيوس السينائيّ حيث انقسمت الكنائس والكهنة والاساقفة والحكام بسبب تفسير وايضاح المشيئتين ، وقد اعتنق كل من الفريقين رأياً خاصاً به : منهم على رأي رهبان مار مارون : ومنهم على رأي المكسيميين ولم يدّع احدٌ ولم يتهم المؤرخ احدهما بالهرطقة المونوثلية ، وذلك لان رأي الفريقين كان حاصلاً عن سوء تفاهم وبسبب الهراطقة ولم يكن الاختلاف بينهم الا في التعبير والتفسير والايضاح وليس في الجوهر والمعنى والحقيقة التي كان كلٌ منهما يعتقد بها

الثالث عشر لان المؤرخ يصرّح انهم كانوا معروفين بانهم

كاثوليكيين الى سنة ٧٢٧ وبهذا التعبير دلالة على قبولهم تعليم الكنيسة الكاثوليكية الى ذاك الزمان وعدم عصيانهم عليها قبله .

رابع عشر لان المونوثلية كانت قد انتشرت منذ ماية سنة في المملكة الرومانية ولم يتمسكوا بها ولا عرفوها البتة .

خامس عشر لان القديس يوحنا الدمشقي المعاصر لزمن الجدال بين الموارنة والمكسيميين لم يتصدى لهم ولم يتهمهم بالمونوثلية وقد دبّج مقالة شايقة في المشيئتين في دمشق امام دير مار مارون فيها ، وامام رهبانه ، وفي وسط شعب عظيم ماروني كان في هذه المدينة ، وهو لم يوجهها ضدهم ولم يشر اليهم بشيء منها بل انه ذكر فيها المونوثليين باسمهم هذا مرتين كأنهم قد دخلوا في خبر كان ، كما انه على زعم الخصم قد ذكر في غيرها الموارنة مرتين ايضاً ، وما ذلك الا ان هذين الشعبين المونوثليين والموارنة هما مختلفان في الاعتقاد وحتى يكون الواحد منهما هو الآخر كأن الشعب المونوثيلي ليس بالماروني ولا الماروني بالمونوثيلي مع ان عدم توجيه مقالته هذه ضد المونوثليين دلالة واضحة على انهم كانوا ومضوا ومحيت اثارهم ، ولو كان الموارنة من بقيتهم لم يمنعه احد من الاشارة الى ذلك .

سادس عشر ان النصوص التي من قبل سنة ٧٤٠ تذكر على زعم الخصم الموارنة بهرطقة المونوثلية مثل تيموتاوس القسطنطيني وجرمانوس القسطنطيني لا نصيب لها من الصحة لانها مزورة كما برهنا ، ولأن الموارنة بموجب نص التلمحري لم يشهر انفصالهم الا بعد سنة ٧٤٦ .

السابع عشر ان جميع النصوص التي [هي] من القرن العاشر تتهم الموارنة برفضهم المجمع الرابع والخامس والسادس دلت على جهل فاضح عن حالة الموارنة الذين ما زالوا كاثوليكيين يعتقدون بهذه المجامع الى سنة ٧٤٦ كما صرّح التلمحري المؤرخ الثقة . فضلاً عن ان هذه النصوص ، ما عدى نص التلمحري ، هي ملفقة من يد اثيمة بعد القرن السادس عشر ، لاننا لم نجد فيها نصاً واحداً مكتوباً او منسوخاً عن نسخة قديمة لصاحبه من قبل ذاك القرن رغماً عن ان عبارات تلك النصوص هي منزلة كجملة معترضة ، لا صلة لها مع ما قبلها وما بعدها ، وهي مرتجة اي ارتجاج . وذلك دلالة على غباوة وخبث منزلها بدلا من غيرها مما كان في الاصل كما رأيت في نصوص الدمشقي وابي قرّه وغيرهما . ولا يمكن القول ان الموارنة قد زوّروا هذه النصوص وذلك لانها جميعها كانت بيد اخصامهم وخرجت من عندهم وهي في اللغة اليونانية التي يجهلها الموارنة .

اما نصوص كهذه عند اخذ النقد والبصيرة فلا اعتبار لها : بل يضرب بها عرض الحائط . وكم وكم مثلها في التواريخ الشرقية قد كانت زمناً الشغل الشاغل للمؤرخين المدققين .

ثامن عشر ان سكوت المؤرخ اغابيوس المنبجي بنوع اخص يثبت كثلكة الموارنة في منبج في زمانه : اي سنة ٩٥٣ : اذ انه كان مطراناً على مدينة منبج التي كان الموارنة فيها شعب عظيم : وكنيسة كبرى منذ ايام الجدال والانفصال . فأيّم الحق لو كانوا مونوثليين في ذاك الزمان كما يريد الخصم : وليس كاثوليكيين . لماذا لم يذكرهم في هرطقتهم هذه : او يشير اليهم خاصة لدى ذكره احدهم تاوفيلوس الرهاوي الماروني والمجمع السادس لا بل انه ذكر ان الذين قد قبلوا المجمع السادس هم الملكيين فقط . ومن ينكر تسمية الموارنة بالملكيين في زمان المجمع السادس هم ولا ريب عندنا انه لو كان من تأليفه نسخة بين ايدي اخصام الموارنة لما كانوا تأخروا عن تزويرها ودس تهمة الموارنة فيها .

دير مار الياس — انطلياس الاب انطوان ضو الانطوني

كتاب كشف الغايات

في شرح ما اكتنفت عليه التجليات

(شرح) تجلي عمل في غير معمل[٧٨٣]

LXXX

بقلم عثمان اسماعيل يحيى

---

(٤٠٨) العمل على ضربين: عملٌ صالح، وعمل غير صالح.

---

٧٨٣) املاه ابن سودكين. ومن تجلي «عمل في غير معمل». وهذا نصه. «كم ماش على الارض .... ويخلع على هذا!». — قال جامعه: سمعت شيخي، سلام الله عليه! يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه وأصله. حاصل هذا التجلي، ان الله — تعالى! — جعل الاعمال، على تنوعها من الخير والشر، مراتب معلومة؛ تطلبها تلك الاعمال بذواتها. فيرى العامل الخير فيما يبدو للناس، وهو معيب عند الله. يعمل اعمالاً كثيرة من البر [الاصل: اكبر]، لكنها تشوبها سمة من باطن العمل تناقض ذلك العمل بالذات. فلا يصح لذلك العمل ان يساكن صاحب تلك السمة. فيرى العمل يطلب محلاً يناسبه ولا يكون لتلك السمة فيه أثر ألبتة. فيرى العامل الممكور به، الذي هذا نشأته من الشر، يقتضي رتبة تناسبه. وهو فيما يجري عليه من اعمال البر كالساعي من التجار في رزق غيره، ينقله من موطن الى موطن. فعمله عنده عارية، يطلب محلاً يناسبه. ويكون ذلك المحل الذي يناسبه هو البر المنقول، الطالب مرتبته بالذات، لعبد من عمال الشر فيما يبدو للناس. إلاّ ان الله كتبه (لأحد) من احبابه واوليائه [الاصل: واوليايه]، يظهر أثر سعادته عند خاتمته. فيرى محل هذا السعيد طاهراً عن [عنه: نسخة ثينا] تلك السمة التي تنفر عنها عمل الأول من البر. فيجعل الله — تعالى! — عمل ذلك الشقي منثوراً على هذا المحل السعيد. ويطلب عمل هذا الآخر من الشر، عند ورود الخير على محله، لذلك المحل الخبيث الذي استدعاه من وجود تلك السمة فيه منه. فاذا بلغ الكتاب اجله، تاب الله على عبده وختم له بالخير واظهر عليه حلة السعادة؛ وجعل جميع حسنات الأول في ميزانه، تطلب محله بالخاصية كما تطلب الطيور اوكارها فتسارع اليه وتتناثر عليه. وهذا معنى قوله، تعالى: «وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً [الاصل: هبا] منثوراً». اي نثرناه على غيرهم. — واعلم ان لكل عبد، من (اهل) الجنة، في الجنة مرتبتين [الاصل: مرتبتان]، ولكل عبد من اهل النار في النار مرتبتان. فالمرتبة الواحدة اقتضاها عمله، والمرتبة الأخرى (هي) موروثة له من بدله الذي أبدله الله — تعالى! — مكانه في الجنة، وابدل الآخر مكان هذا في النار. فصار لكل واحد منهما منزلتان (الاصل: منزلتين] في موطنه؛ وورث هذا حسنات هذا، وهذا سيئات [الاصل: سيات] هذا. — فهذ[ه هي] خاصية هذا التجلي. وهذا معنى قوله: «كم ماش على الأرض ... الى آخر التجلي». — قوله: «اهلك الكون الخلع والسلخ»، فتحقق بالتقوى وتطهر من خفي الآفات والهوى. «ومن يهد [الاصل: يهدي] الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً». «والله يقول الحق، سبحانه!» [مخطوط الفاتح ورقة ١٢٩ا — ١٢٩ب]. —

فالعامل بالعمل الصالح : قد ينطوي استعداده على (مثقال) سمسمة من الشقاوة : وهي تأبى العمل الصالح . والعامل بالعمل الغير الصالح : قد ينطوي استعداده على (مثقال) سمسمة من السعادة : وهي تأبى العمل الغير الصالح . فكل واحد : من هذين العملين : عمل في غير معمل . ولذلك اذا بلغ الكتاب أجله . جعل الله العمل الصالح «هباءًا»[ا] عن صاحب سمسمة الشقاوة . «منثوراً» على صاحب سمسمة السعادة : فاذن . يسبقه الكتاب فيموت سعيداً . وجعل العمل الغير الصالح «هباءًا»[ا] عن صاحب سمسمة السعادة . «منثوراً» على صاحب سمسمة الشقاوة : فاذن . يسبقه الكتاب فيموت شقياً[٧٨٤]. فيرث كل منهما : مع ما لها في الجنة والنار : ما للآخر [f. 82a].

(٤٠٩) قال : قدس سره : « كم[٧٨٥] ماش على الارض والارض » تلعنه كم ساجد عليها وهي لا تقبله . كم داعٍ لا يتعدى كلامه لسانه ولا » خاطره : محله . كم من ولي حبيب في البيع والكنائس[ب] . كم من عدوٍ » بغيض في الصلوات والمساجد يعمل هذا في حق هذا ، وهو يحسب انه » يعمل لنفسه » .

مثله كمثل من يسعى في تحصيل رزق الغير . فاذا حصل : كان عارية يطلب محلاً قدر له . والرزق قد يكون حلالاً وقد يكون حراماً . فكل منهما يطلب محلاً يناسبه . « فمن يهدي الله ، فهو المهتدي ومن يضلل ، فلن تجد له ولياً مرشداً »[٧٨٦] .

(٤١٠) » حقت الكلمة ووقفت[ت] الحكمة ونفذ الامر : فلا نقص »

---

٧٨٤) جاء في الحديث الشريف المروي عن ابن مسعود : « ... ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين ليلة ؛ ثم يكون علقة مثل ذلك ؛ ثم يكون مضغة مثل ذلك ؛ ثم يبعث الله – عز وجل – اليه ملكاً . فيؤمر بأربع كلمات : فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي ام سعيد ؛ ثم ينفخ فيه الروح . فان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب : فيعمل بعمل اهل النار ، فيدخل النار . وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب : فيعمل بعمل اهل الجنة : فيدخل الجنة » (كتاب الشريعة ١٨٢) .

٧٨٥) «كم» اسم ناقص مبهم ؛ يبنى على السكون دائماً . وله موضعان : الاستفهام والخبر . يقال في الاستفهام : كم رجلاً عندك ؟ فينصب ما بعده على التمييز . ويقال في الخبر : كم درهم انفقت ! يراد بذلك التكثير . وما بعد « كم » الخبرية « يكون مجروراً بحرف «من» البيانية ، سواء اكانت مقدرة كما في المثال المتقدم ، أو ظاهرة كما في قوله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ! » –

٧٨٦) اية رقم ١٧ سورة رقم ١٨ . –

ا الاصل : حباء . – ب والكنابس PW ، والكنايس . – ت ووقعت HK . –

عما قدر «ولا مزيد» عليه. وقد ضرب: قدس سره! مثلاً لطلب الرزق محله: حيث قال: «**بالنرد كان اللعب**» ولذلك انتقال مال الراهن الى اللاعب: الذي هو محله المناسب، بما جاء على الراهن في لعبه من نقوش الكعبتين: من غير ان يكون لتدبيره واختياره في دفعها اثر: ولا لقصد اللاعب في اتيانها حسب مراده اثر. وهذا نظير انتقال العمل الصالح من صاحب سمة الشقاوة الى صاحب سمة السعادة من غير اختيارهما: او بالعكس. «**ولم ث يكن ج**» — اللعب «**بالشطرنج ح**» ليكون للفكر والتدبير. في الدفع والجلب: مجال. ولما كانت نقلة اعمال البر والشر: من كل واحد من العاملين الى الآخر: من غير تدبيرهما — قال في تلك النقلة إنها:

«**قاصمة الظهر وقارعة الدهر**، **حكمٌ نفذ خ**» في عرصة التقدير الازلي: حسب اقتضاء الاستعدادات الاصلية: «**لا رادّ لامره ولا معقب لحكمه. انقطعت الرقاب. استقط د في الايدي ذ**» طبق الحكم الازلي، «**تلاشت الاعمال**» حيث صارت «هباءًا ر منثوراً». — «**طاحت ز المعارف**» — حتى انسلخ بَلْعام[٧٨٧] من آيات الله: في تحقيق الاسم الاعظم، فعاد جاهلاً به. قد «**اهلك الكونَ السلخ والخلع: يسلخ من هذا ويخلع على هذا**» كما خلعت خلع الحياة من الابناء المذبوحين لموسى — عليه السلام! وخلعت عليه تأييداً وامداداً له[٧٨٨]، باجتماع روحانيتهم عليه.

٧٨٧) او بلعم بن عوراء (واسمه العبري: بلعم بن بيعور، انظر سفر العدد، من اسفار العهد القديم، فصل: ٢٢—٢٤؛ ٣١/٨). لم يأت ذكره في القرآن الكريم صراحة، بل ايماءاً، كما تدل عليه بعض الآثار: سورة ٧/١٧٥، ١٧٦. انظر تفسير الطبري ٩/٧٦ وما بعدها وتاريخ الطبري ١/٥٠٨—٥١٠ ومروج الذهب للمسعودي ١/٩٩—١٠٠ والرعاية للمحاسبي ٢٥٦ وما بعدها وعرائس المجالس للثعلبي ١٣٢، ١٩٦ والاحياء للغزالي ٤/٢٩٣ ودائرة المعارف الاسلامية، مقالة: بلعم بن باعوراء ١/١٠١٤ (الطبعة الثانية، النص الفرنسي) للمستشرق الفاضل جورج فاجده. —

٧٨٨) يقول ابن عربي في مستهل الفصل الخامس والعشرين: «حكمة قتل الابناء من اجل موسى ليعود اليه بالامداد حياة كل من قتل من أجله: لانه قتل على انه موسى. وما ثم جهل. (اي ليس في قتل الابناء على هذا الوجه جاهلية: بل هو مقصود الحكمة الالهية التي لا تنجلي اعلامها الا بعد حين وحين). فلا بد ان تعود حياته (= حياة الابن الاسرائيلي المقتول) على موسى ... وهي حياة طاهرة على الفطرة، لم تدنسها الاغراض النفسية ... فكان موسى مجموع حياة من قتل على انه هو: فكل ما كان مهيأً لذلك المقتول — مما كان استعداده روحه له — كان في موسى، عليه السلام ... فما ولد موسى إلاّ وهو مجموع أرواح كثيرة». (فصوص الحكم ١/١٩٧). —

ث لم W، — HK. — ج — HK. — ح لا بالشطرنج HK. — خ من K. —
د سقط HKPW. — ذ من P. — ر الاصل: هباء. ز لطاحت H. —

(شرح) تجلي الكمال[٧٨٩]

LXXXI

(٤١١) لسان هذا التجلي : لسان الحق من حيث أحدية جمعه . فانه : من هذه الحيثية : بكل شيء[ا] عينُ كل شيء[ا] . فالتجلي : من هذه الحيثية . اذا ظهر في شيء[ا] ظهر بكل شيء[ا] فيه . والانسان المتحقق بالوسطية الكمالية ، القاضية بتمانع القيود الجمة فيها : قابل [f. 82b] لتجلي الحق من حيث احدية جمعه . ففي قابليته ، بل في قابلية كل جزء من أجزائه[ب] : قابلية كل شيء[ا] . فاذا تجلى الحق : من حيثية أحدية جمعه — كان التجلي عينَ قابلية كلّ جزء : فيها قابليةُ كلّ شيء[ا] . كبصر الانسان مثلاً . كانت في قابليته قابلية كل الابصار وكل الاسماع وكل الاذواق والشموم واللموس . فكما ان عمل بصره عملُ سائر اخواته حالتئذ — كان التجلي : الذي هو عين بصره ، عين المبصرات والمسموعات والمذوقات والمشموشات والملموسات الجسّة ونحوها . هكذا اعتبرْ في كل جزء من أجزاء الانسان . وقِسْ حال « الانسان[٧٩٠] الكبير » على حاله . فالانسان حالتئذ يشهد كل شيء[ا] بشهود أحدية جمع الحق في قابلية كل جزء فيها قابلية كل شيء[ا] .

(٤١٢) وهذا المدرك لا يعطيه الا الشهود الاقدس[٧٩١] في طور هو وراء طور العقل . كما اشار اليه العارف بقوله :

---

٧٨٩) املاه ابن سودكين : « ولما انتهى هذا التجلي في الشرح (= اي شرح تجلي رقم ٨٠ : المتقدم) وقرأنا بعده « تجلي الكمال » و « تجلي خلوص المحبة » — انبسط الشيخ ، رضي الله عنه ! معنا ؛ وعظم [fol. 30a] به شأن تجلي الكمال . فقال : ما يشرح هذا إلا لاستمداد خاص يطلبه : او ما هذا معناه . — رضي الله عنه وارضاه ، وحشرنا معه ! » [مخطوط الفاتح ورقة : ٢٩ب — ٣٠ا] . —

٧٩٠) « الانسان الكبير » هو العالم بمجموعه و « الانسان الصغير » هو الانسان العادي ؛ اما الانسان الحقيقي فهو الانسان الكامل . انظر لطايف الاعلام ورقة ١٢٩ا . واول من استعمل هذا اللفظ في العربية اخوان الصفاء فقد ذكروا : « ان العالم انسان كبير له نفس (وهي النفس الكلية) وله طبائع سائرة وله جسم (كرة واحدة) فيفصل احد عشر طبقة... » (رسائل اخوان الصفاء ٣ / ٣١) . والانسان الكبير او العالم الكبير هي الترجمة العربية لكلمة الاغريقية Μακρόκοσμος ؛ وراجع ما تقدم تعليق رقم ٣٩ .

٧٩١) « الشهود الاقدس » هو اعلى مراتب الشهود ، « وهو شهود المتّبين وهو رؤية

ا الاصل : شي . — ب الاصل : اجزآه . —

وثمّ وراء النقل علمٌ يدق عن مدارك غايات العقول السليمة[٧٩٢]

ومع هذا لا تدرك القابليات . من حيث خصوصياتها التعينية : الحق . من حيثية احدية جمعه : إلا بكون الحق : من هذه الحيثية : عينَها . فافهم ! فان هذا المدرك شديد الغموض .

(٤١٣) وقد ذكر الشيخ اسماعيل السودكين ان المحقق : قدس سره : عظّم « تجلي الكمال » و « تجلي خلوص المحبة » : عند قرآءته[ت] عليه . فقال : « ما تشرح هذين التجليين الا لاستعداد خاص يطلبهما » . وفي الحقيقة : نطاق البيان انما يضيق عن تحقيقها بطريق البرهان . والمرام فيهما : لا بقدم الكشف[٧٩٣] الاوضح : صعب المرتقى . لا : بل في الكشف الأعلى : متعذر الوجدان للسوي . اذا رمى الكون بسهم ايمائه[ث] نحو هذا الغرض : لا يقع ايضاً الا على قرطاس الكون . ولكن لك ، في هذا المطلوب : بحر هو عين الامواج : فلا تحقق لها إلّا به . فهي ، بدونه ، « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءًا[ج] حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً[ح] ووجد الله عنده[٧٩٤] » !

(٤١٤) قال : « اسمع يا حبيبي » هذه مخاطبة فهوانية ، ظهرت في عنوان غيب الجمع والوجود للسر الوجودي[٧٩٥] ، المنفوخ بصورة روح الحياة

المجمل في المفصل والمفصل في المجمل بحيث يرى كل شيء في كل شيء فلا ينحجب (صاحب هذا الشهود) برؤية الحق عن الخلق ... ولا ينحجب برؤية الخلق عن الحق » (لطايف الاعلام ١٩٨) . —

٧٩٢) التائية الكبرى لابن الفارض .

٧٩٣) « الكشف هو رفع حجاب القلب ، والاطلاع على المعاني الغيبية والامور الحقيقية وجوداً وشهوداً . وسببه ان الروح اذا رجع عن الحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال الحس وقويت احوال الروح وغلب سلطانه (انظر شفاء السائل : فهرس الاصطلاحات ، مادة : الكشف ، كشف الحجاب ، كشف حجاب الحس ، الكشف والاطلاع ؛ وتعريفات الجرجاني ١٢٤ ومقدمة ابن خلدون ٤٦٩) . —

٧٩٤) آية رقم ٣٩ من سورة رقم ٢٤ . —

٧٩٥) السر الوجودي ، او سر الوجود او السر بمفرده ، يعني بذلك كله في عرف الطائفة « حصة كل موجود من الحق (او وجه الحق في كل موجود) بالتوجه الايجادي ، المنبه عليه بقوله تعالى : « انما امرنا لشي (اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) ... فقولهم : لا يجيب (الاصل : لا يجب) الحق الا الحق ولا يطلب الحق الا الحق ولا يعلم الحق الا الحق ، انما اشاروا بذلك الى السر (الوجودي) ، المصاحب من الحق الى الخلق ... » (لطايف الاعلام ١٩٠ وانظر ايضاً اصطلاحات الصوفية لابن عربي واصطلاحات الفتوحات ٢ /١٣٢ والفتوحات ٢ /٤٧٨—٤٨٠ وتعريفات الجرجاني ٨٠ وشفاء السائل : فهرس الاصطلاحات الصوفية ، مادة : سر ومنازل السائرين للهروي ١٧٨—١٨١) . —

ت الاصل : قرآته . — ث الاصل : ايمامه . — ج الاصل : ماء . — ح الاصل : شياء . —

في تسوية المسمى بالصورة[٧٩٦]. وهو مع كونه متصلاً بالمحل المنفوخ فيه: غير منفصل عن غيبه. وهذه المخاطبة: في الحقيقة: من باطنية احدية الجمع مع نفسها في ظاهريتها. فقوله: يا حبيبي! من طريق حب الشيء نفسه. وهذا الحب. اصل المحبات كلها. فان الشيء ا يحب ذاته أولا ثم يحب ما به يظهر كمال [f. 83a] ذاته.

ثم قال ايضاً: حاكياً عن الحق – تعالى!: «انا خ **العين المقصودة في الكون**» إذ انا الذي يطلب ان يشاهد إنائيته في مرايا الأنيات. والكون نِسَب تتحقق بي: فتظهرني لي بحسبها. وهي تخفى عندما تظهرني. –

«انا د» في الحقيقة «**نقطة الدائرة ومحيطها**» اي أنا حاق وسط كل جمع، وتسوية كل قابل: وقلب كل شيء ا. فأنا قيوم: بي قامت المحيطات. فكما انا الباطن في النقطة: انا الظاهر في محيطها اتم الظهور. بل انا النقطة الباطنة والمحيط الظاهر. وانا الذي له الحضور مع نفسه في باطنيته وظاهريته: من غير ان تختلف عليه جهة الباطنية عن الظاهرية والظاهرية عن الباطنية. وعلى هذا المهيع: «**انا ذ مركبها وبسيطها**».

«انا ذ **الأمر المنزل بين السماء ذ والارض**» اي في الثلث الاخير من الليل[٧٩٧].

(٤١٥) «**ما خلقت لك الادراكات الا لتدركني بها**» – حيث كنت أنا عينها: – «**فاذا أدركتني بها ر**» أدركتني بي، وإذا أدركتني بي: – «أدركتَ» بي «**نفسك**» ومن أدرك نفسه بي: أدركني. ولذلك قال: «**لا تطمع ان تدركني بادراكك نفسك**» – بل «**بعيني تراني وترى ز نفسك لا بعين نفسك**» تراها «**وتراني س**» – فان عينها محصورة في الجهة والجهة لا تحصرني ولا تحصر عيني. –

---

٧٩٦) اي المسمى بالانسان، والانسان الكامل بصورة خاصة، من حيث هو خلق على «صورة الرحمن».

٧٩٧) اشارة الى الاحاديث العديدة المروية عن ابن هريرة وغيره، وفيها: «ينزل ربنا – عز وجل! – كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الأخير، الى سماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟ ...» (انظر كتاب الشريعة ٣٠٦–٣١٤ وعقيدة ابن حنبل ١/٢٩ وطبقات الحنابلة ٢/٣٣ والمعتمد د٤ والعقيدة الواسطية ١٧ والشرح والابانة ٥٧د (نص عربي)؛ وانظر ما تقدم تعليق رقم ٤٤٩.

خ انت H، ابا K. – د انت H. – ذ السما W. – ر – HKW. –
ز – HKW. – س تراني HKW. –

(٤١٦) «حبيبي ! كم اناديك» من مكان قريب . وانا أقرب اليك فيه من حبل الوريد[٧٩٨] : «فلا تسمع» ندائي . ولكن التقرب المفرط حكمه فيك كحكم البعد المفرط ! — «كم اتراآى لك» في الحسن البديع في مظهر : «فلا تبصر» فلو أزلت غشاوة الكون عن عينيك : لرأت فيه العين بي رخكم له . ومن هذا المنبع : «كم اندرج لك في الروائح ص . ف[illegible] سم وفي الطعوم ، فلا تطعم لي ذوقا . مالك لا تلمسني في الملموسات ؟ ، لك لا تدركني في المشمومات ؟ مالك لا تبصرني» في المبصرات ؟ — «مالك لا تسمعني» في المسموعات ؟ «مالك ، مالك ، مالك» (لا) تنتبه ؟ انا ظاهر الوجود . انا باطنه . انا عين الجمع بينهما !

(٤١٧) «أنا ألذ لك من كل ملذوذ . انا أشهى ض لك من كل مشتهى . انا أحسن لك من كل حسن . انا الجميل . انا المليح» بي كمال كل شيء ، اذ الكمال الوجود ؛ ووجوده بي لا بنفسه . —

«حبيبي ! حبني لا تحب غيري» فان الحب من احكام ما به الاتحاد. فاذا أحببتني — تقربت الي بحبك . واذا تقربت الي بحبك — احببتك. واذا أحببتك — كنت لك سمعاً وبصراً[٧٩٩] ويداً . فكنت واجدى فيك بي ، لا بك . واذا احببت غيري — انحصرت في نسب تطلب الغير من حيث هو به لا بي . [f.83 b] فكنت لا تهتدي إلاّ الى عدميته ؛ التي هو — بدوني — باق عليها : فتهمت في ظلمات لا نور فيها . ومن هذا المنبع قوله : «اعشقني . هم في» = — من هام ، يهيم . «لا تهم في بسواي» — فتنتهي الى «ظلمات بعضها فوق بعض» . — ثم قال : «ضمني . قبلني» تقبيل من يقبل شفته بشفته ! «ما تجد وَصولاً» — بفتح الواو وضم الصاد . — «مثلي . كلّ يريدك له» اذ كل جزء يريد كُلَّه ليتصف فيه بأحدية جمعه . وانت الكل الذي أحاطت هيمتك الوسعى

---

٧٩٨) اشارة الى آية رقم ١٦ سورة رقم ٥٠ . —

٧٩٩) اشارة الى الحديث القدسي ، الذي ذكر مراراً : «... فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ...» راجع ما تقدم تعليق رقم : ١٨٦ ، ٤١٠ ، A٤١٦ ، A٤٣٧ ، ٤٧٩ ، ٦٩٣ . —

٨٠٠) جزء من آية رقم ٤٠ ، سورة رقم ٢٤ . —

ش اتراآى W ، اترآلى P ، اترآى ، اتراى H . — ص الروانح W ، الروانح P ، الروانح K . — ض اشهى H . —

بكل شيء ! . والشيء ! اذا اتصل بك فاز بكماله المطلوب منه . فان المطلوب اتصاف كل شيء ! ؛ من مجموع الامر كله ؛ بكل شيء ! . ولذلك كل جزء فيه ؛ حالةَ اطلاق حقيقتك ، يعطي حكم اخواته ويقوم بعملها . — « **وانا أريدك لك** » لتكون بي وتتحقق بأحدية جمع كمالي ؛ فيكون لك شأن ط في الخلافة : من غير افتقاري اليك في تدبير الكون الاعلى والاسفل . « **وانت تفرّ ظ مني** » الى مرغوباتك الشهية وانا معك فيها اذ ذاك ولا تدري !

(٤١٨) « **يا حبيبي ! ما تنصفني** » وانا حاملك اليّ في مشتبياتك .

« **ان تقربتَ اليّ ، تقرّبتُ اليك اضعاف ما تتقرب به اليّ** »

. كما قال (— تعالى ! في الحديث القدسي) : « من تقرّب اليّ شبراً ، تقربت اليه ذراعاً . ومن تقرب اليّ ذراعاً ، تقربت اليه باعاً . ومن آتاني مشياً ، أتيته هرولة[٨٠١] » . — « **وأنا اقرب اليك من نفسك** » اذ لولا انت بي لما كنتَ انت بنفسك . فكونك بنفسك مسبوق بكونك بي . — « **و** » — انا اقرب اليك من « **نفسك** » — بفتح الفاء — اذ بي نفَسك حامل لمواد الحياة لك . فانه بي ، في مَدّه ، يأخذها من باطن وجودي الى ظاهره ؛ وفي جَزْره ، من ظاهر وجودي الى باطنه . وانت ، في مقام الجمع بينهما ، موجود بي ، حي بحياتي ، مشحون بأحدية جمع كمالي . — « **من يفعل معك ذلك غيري من المخلوقين ؟** » — وهل لهم ان يخرجوا من مضايق الحصر والتقييد الى فضاء الاطلاق ، من حيث هم ، حتى تكون انت وغيرك بهم لا بي ، أو هم اقرب مني اليك ؟ . —

(٤١٩) « **حبيبي ! أغار عليك منك . لا احب أن أراك عند الغير ولا عندك** » قوله : « ولا عندك » ، يعني ان يعطيك شهودُك سقوط اضافة « العند » الى نفسك ، من حيث هي (بي) لا بها . فانه — تعالى ! — يغار ان يضاف « العند » الى نفسك ، من حيث لا تحقق لها بنفسها . — ثم قال : « كن عندي بي ع ، أكن غ عندك » أي كن ، بتحققك في

. ٨٠١) حديث مذكور في الشرح والابانة ٥٩ (نص عربي) وعقيدة ابن حنبل ٣/ ٢٤١–٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٤ ؛ ٤/ ٢٩٥ ؛ ٥/ ٣١١، ٣١٢، ٣١٣. وطبقات الحنابلة ٢/ ٣٩–٤٠ ؛ والعقيدة الواسطية ١٦–١٩ ؛ والاحياء ٣/ ٩ وينص العراقي مخرج احاديث الاحياء على ان الحديث متفق عليه من طريق ابي هريرة .

ط الاصل : شان . — ظ تنفر KH . — ع — WP . — . — غ — HKW . —

وسطية تنطلق في تنيدك وتتنيد في انطلاقك فيها . مظهرًا لظهور ذاتي بأحدية جمعها ؛ أكن مظهرًا لظهور ذاتك [f. 84a] بأحدية جمعها . اذ لولا تقيد وجودي بتعينك لما وُجدتُ ولا ظهرتُ . — « كما انت عندي ولا ف تشعر ف » فالمطلوب منك : اطلاعك شهوداً على كونك « عندي ». ولا يحصل لك ذلك إلاّ بي . ولا يتم كمالك إلاّ ان تعلم هكذا شهوداً . —

(٤٢٠) « حبيبي ! الوصالَ ، الوصالَ » على تقدير : اطلُبْ . أي اطلُبْ شهود ما هو حاصل لك . فان وصله — تعالى ! — في نفس الامر ، حاصل لكل شيء ا ، من حيث وجوده . ولكنما الكمال في شهوده على أتم الوجوه بحسبه . ولذلك قال :

« لو وجدنا الى ق الفراق سبيلاً لاذقنا الفراق طعم الفراق ! »

يقول : لا فراق ، في الحقيقة ، حتى نجد اليه سبيلاً . ولو وجدناه فرضاً لأذقناه ، بوجداننا الوصل الدائم ، طعم الفراق .

(٤٢١) ثم قال : « حبيبي ! تعال ك ، يدي ويدك ، ندخل ل على الحق م ليحكم بيننا حكم الابد ».

اعلم ان السر الوجودي ، المنصبَّ على القابلية الانسانية ، المتقيد بها ، بسراية حكم الايجاد ، انما يطلب دوام تقيده بتعينه الوجودي ، القاضي ببقاء وجوده الخاص به . والحق المشروع له : بنسبة : « كنت له سمعاً وبصرًا ويدًا » ، انما يطلب سراحه واطلاقه عن قيده اللازم له : ليرجع بانقلاعه عن ذلك ، الى أصله المطلق . فوقعت : باعتبار الطلبين ، المجاذبة المعنوية . فنزّلها — قدس سره ! — منزلة المخاصمة . فقال ، مترجماً عن الحق المشروع له : « تعال ، ندخل على الحق — تعالى ! — المطلق ، الذي فيه يظهر كل شيء ا ، بصورة مجموع الأمر ووصفه وحكمه ليحكم بيننا على مقتضى حكم الاطلاق الذاتي . فيعمنا حكم اطلاقه شمولاً الى الأبد .

(٤٢٢) والاختصام قد يكون بين المتعاشقين . فيتلذذ العاشق اذن بمحاورة معشوقه . فترجم — قدس سره ! — عن هـذا المقام فقال : « حبيبي ! من الخصام ما يكون الذ الملذوذات . وهو خصام الاحباب . فتقع ن اللذة بالمحاورة ه » ثم قال : متمثلاً بما يناسب المعنى :

ف وانت HKW .— ف يشعر K .— ق ال W .— ك تعالى K .— ل تدخل H .— م + تعل W ، تعالى HK .— ن فيقع K .— ه + قال الشاعر H ، قال الشاعر وهو مس ن الملوح K .—

«ولقد همت بقتلهـــا من حبها كما تكون خصيمتي في الحشر و»

وقد يكون (الاختصام) بين العاشقين : وهما يطلبان لذة محاورة الحاكم المحبوب. وقد ترجم — قدس سره ! — عن هذا المقام فقال : «« قل ها عندكم من علم بالملأ ي الأعلى اذ يختصمون[٨٠٢] ؟ » لو لم يكن من فضل آ المخاصمة : الا الوقوف بين يدي الحاكم » المحبوب : حالة حكومته : « فما أللذها من وقفة مشاهدة محبوب . — يا جان ! يا جان ! » جان ، بالفارسية : الروح .

(٤٢٣) هذا آخر « تجلي الكمال » : الذي ترك المحقق شرحه عند قراءته عليه : لاستعداد يطلبه . ولم أكن انا ممن يخوض هذه اللجة العمياء بقوته . ولا ممن يرغب في خطبة البكر [f. 84b] الصهباء (= الشقراء) بوجود كفاءته ؟ . ولكن اخذت : في شروعي الملتزم : من بحره رشحاً . وصببت عليه من مائه ؟ صباً . والمعترف بالقصور — ان شاء الله — مغفور له ؛ وشينه : مستور عليه . والله أعلم بما أودع في اسرار اوليائه ح !

---

٨٠٢) آية رقم ٦٩ سورة رقم ٣٨ . —

و + حتى يطول على الصراط وقوفنا وتلذ عيني من لذيذ النظر K . — ي بالملا W ، بالملإ K ، بالملإ P . — آ فصل H . — ! الخصام HK . — ة الاصل : كفائة . — ؟ الاصل : ماءه . — ح الاصل : اوليامه . —

(شرح). تجلي خلوص المحبة
LXXXII

(٤٢٤) «حبيبي ! قرة عيني» : انت الذي به انظر في كل شيء ا . — «انت مني بحيث انا» : فانك انت بي بحسبي لا بحسبك . فان علمتَ او نطقت او تصرفت ، فأعطيتَ ومنعت : فأنا الذي علم ونطق وتصرف : فأعطى ومنع . أنا : في قربك . سمعُك وبصرك ويدك . وانت . في قربي ، سمعي وبصري ويدي . فتارةً : «انا» : بحسبك ، مقيد . وتارةً : «انت» بحسبي ، مطلق[٨٠٣] . —

أأنتَ «لزيمي ؟» (أأنت) «قسيمي ؟ — تعالى الله !» ان يكون له لزيم وقسيم وند ونظير ! — «بل انت ذاتي» — تسميته ذاتا : باعتبار ظهوره في حالة من احواله المتبوعة الباقية . كظهوره — تعالى ! — بتعينه الأول الذاتي[٨٠٤] ، الذي تتبعه الاحوال الذاتية الجمة . وهذا التعين هو حقيقة الانسان الأكمل : المسماة بحقيقة الحقائق[٨٠٥] . —

---

٨٠٣) يقول ابن عربي في الفتوحات : «... وذلك انه (تعالى) كما نعتبه لوجود اعياننا (فهو) يعتبنا (ايضاً) لظهور مظاهره . فلا مظهر له الا «نحن» . ولا ظهور لنا («نحن») الا به («هو»). فبه (سبحانه !) عرفنا انفسنا وعرفناه ؛ وبنا تحقق عين ما يستحقه الاله .

فلولا «ه» لما كنا	ولولا «نحن» ما كانا
فان قلنا : بانا «هو»	يكون الحق ايانا
فابدا«نا» واخفا«ه»	وابدا«ه» واخفا«نا»
فكان الحق اكوانا	وكنا نحن • اعيانا
فيظهرنا لنظهره	سراراً ثم اعلانا

(فتوحات ٢ /٥٤) . —

وانظر الفصوص ١ /٨٠–٨٤ ؛ ٩٣ ؛ ١١١–١١٢ ؛ ١٤٣ الخ .. وانظر بصورة خاصة التحليل الرائع لهذا الجانب الهام من مذهب ابن عربي في

L'Imagination Créatrice dans le soufisme d'Ibn ʿArabī, de H. Corbin. pp. 86-193.

٨٠٤) «التعين الأول يعنون به الوحدة التي انتشأت عنها الاحدية والواحدية . وهي اول رتب الذات وأول اعتباراتها . وهي القابلية الأولى ؛ لكون نسبة الظهور والبطون اليها على السواء . ويعبر (ايضاً) بالتعين الأول عن النسبة العلمية الذاتية باعتبار تميزها عن الذات الامتياز النسبي لا الحقيقي ...» (لطايف الاعلام ٤٦ب–٤٧أ) قارن هذا بالفصوص (قسم التعليقات ٢ / ٢٩١–٢٩٢) . —

٨٠٥) «حقيقة الحقايق يعنون به باطن الوحدة وهو التعين الأول الذي هو اول رتب الذات الاقدس ... وذلك لكليته وكونه اصلاً جامعاً لكل اعتبار وتعين وباطناً لكل حقيقة الهية

ا الاصل : شي . —

(٤٢٥) ثم قال ، على المنبع المذكور في « تجلي الكمال » : «هذي ب يدي ويدك ، ادخل بنا الى حضرة الحبيب الحق» المطلق : « بصورة الاتحاد » اي بمعنى ان يكون المحب مخلوع النعوت والصفات وتعينه منها. فمقتضى خلوص المحبة ان ينقام المحب فيها بما يريد له المحبوب من النعوت والصفات ، اذ لا نعت لذاته ولا صفة هنالك . كما ان المحبوب فيها (= في خلوص المحبة) ، بنسبة « يحبهم[٨٠٦] » مخلوعُ النعوت والصفات (ايضاً) . فان كماله ، في رتبته الذاتية المطلقة ، ليس بأمر زائد عليه . فلا نعت له : من هذه الحيثية الذاتية ، ولا صفة : « ليس كمثله[٨٠٧] شيء » . فالمحب اذا دخل على الحق ، وهو مخلوع التعين ، لم يخرج الا مكتسباً بتعين المحبوب . وهو قوله : « حتى لا نمتاز فنكون في العين واحداً » فان خلوص المحبة خلع من عين المحب ، اذ ذاك ، ثوب تعينه القاضي بتميز عينه عن عين المحبوب . وهذا من ألطف اثار المحبة وأحوالها . ولذلك قال : « ما ألطفه من معنى ، ما أرقه ت من مزج ! » = فهنا يظهر المحب بصفات المحبوب . بل الخطّ الفاصل بين قوسيْ المحبية والمحبوبية ، بخلع تعينه ، يرتفع : فتظهر العين بصورة الدائرة ، من غير قسمة عينية . —

ثم قال تقريباً :

«رق الزجاج وراقت الخمر ث [f. 85a] فتشاكلا « ج فتشابه ج » الأمر !
» فكأنما ح خمر ولا قدح وكأنما خ قدح ولا خمر[٨٠٨] ! »

وكونية واحدة انتشأ منه كل ذلك ... وقد يقال في تفسير حقيقة الحقايق : ان ذلك هو اعتبار الذات الموصوف بالوحدة ... من حيث وحدتها واحاطتها وجمعيتها للاسماء والحقايق . وتسمى ايضاً مرتبة الجمع والوجود وحضرة الجمع والوجود . وفي اصطلاح المحققين : هي الهيولى الخامسة .... وفي التحقيق الأوضح : ان حقيقة الحقايق هي الرتبة الانسانية الكمالية الالهية الجامعة لساير الرتب ، وهي المسماة بحضرة احدية الجمع وبمقام الجمع وبها تم الدايرة ... » (لطايف الاعلام : ٧٠ا–٧٠ب وانظر الفتوحات ١/٧٧ والفصوص ١/١٨؛ ٣٨، ٤٩؛ ٤ ٢/١٠ وانشاء الدواير ١٧، ١٩؛ ٢٤–٢٥ الخ ..)

٨٠٦) اشارة الى آية رقم ٥٧ من سورة رقم ٥ . —

٨٠٧) آية رقم ١١ سورة رقم ٤٢ . —

٨٠٨) بيتان خالدان لتواسي الظريف وقد اصبحا مثلاً ، في البيئة الصوفي ، لرمزية الحب الالهي وتوحيد العارفين ، انظر الفتوحات ١/٦٤ ؛ ٣/٢١٤ ، ٢٩٠ ، والاحياء ٣/٤٠٧ . —

ب هذا HKPW . — ت ما أدقه K . — ث ورقت HKPW . — ج — « فتشابها وتشاكل KH . — ح فكأنها K . — خ وكأنها K . —

اذ انقلب الباطن ظاهرًا ، والظاهر باطناً : فالظاهر العينُ ، والباطن الحُكم . — ولما كان بروز المحب ، بصفات المحبوب ونعوته ، موقوفاً على فناء فعل المحب في فعل المحبوب ، وفناء صفاته في صفاته ، وذاته في ذاته ، وكان هذا الفناء مستلزماً لانقلاب ما للمحب باطناً في المحبوب عند جلائه د — قال ، قدس سره ! رايماً عموم هذا الحكم للفطر الزاكية ، المهيأة لهذا الكمال :

(٤٢٦) «عسى تعطل العشار»[٨٠٩] بطلوع شمس الحقيقة . — و«العشار» ، النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر ، وهي جمع عُشَرَاء . «عُطِّلَتْ» ، اي تركت مهملة . وهي ، هنا ، كناية عن القابليات حين انطماسها في جلاء الحق . فلا يحملن اذن من فيض الوجود شيئاً ذ . «وتمحى الآثار» الكونية من سبحات شمس الحقيقة اذا ظهرت جلاءًا ر . «وتخسف الاقمار»[٨١٠] اي القوى النفسية ، المستمدة من روح الحياة ، المنورة زوايا الصورة الحسية في سواد الليالي الامكانية . «وتكور شمس[٨١١] النهار» اي الروح المشار اليها ، القائمة لابداء شعائر الاسماء ز «الالهية في المشاعر التي هي مواقع نجومها» ز . «وتنطمس نجوم الانوار»[٨١٢] اي التجليات الاسمائية ، الواقعة على المشاعر التي هي معالمها ، في غيابة غيب الذات وسواد كمونها . —

(٤٢٧) «فتفنى ثم تفنى ثم تفنى»

(الفناء) الأول ، فناء الفعل ؛ الثاني ، فناء الصفة ؛ الثالث ، فناء الذات في الذات[٨١٣] . —

---

٨٠٩) اشارة الى آية رقم ٤ من سورة رقم ٨١ «واذا العشار عطلت» .

٨١٠) اشارة الى آية رقم ٨ من سورة رقم ٧٥ «وخسف القمر» .

٨١١) اشارة الى آية رقم ١ من سورة رقم ٨١ «اذا الشمس كورت» .

٨١٢) اشارة الى آية رقم ٨ من سورة رقم ٧٧ «فاذا النجوم طمست» . انظر الفتوحات ١ /٩٨ . —

٨١٣) قارن هذا بما يذكره ابن عربي في الفتوحات ٢ /١٢د—١٥د وفي اصطلاحات الفتوحات ٢ /١٣٣ وفي اصطلاحات الصوفية والفصوص٢ /٤٠، ٤٢، ٤٣د، ٢٣٢ ؛ ومما يذكره ايضاً صاحب لطايف الاعلام : ١٣٧أ ١٣٨ب والمنازل للهروي ٢١٢—٢١٥د وتعريفات الجرجاني ١١٣ وشفاء السائل (فهرس الاصطلاحات) ؛ وكتاب الفناء للجنيد ، مخطوط شهيد علي باشا رقم ١٣٧٤ /٤د ب—٧د ب.

د الاصل : جلاء . — ذ الاصل : شياء . — ر الاصل : جلاء . — ز—ز (وضع الناسخ الاصلي رقم ٢ تحت كلمة «الاسماء» وكلمة «نجومها» ليشعر ان الضمير في الكلمة الاخيرة يعود على الكلمة الأولى) . —

« كما يفنى الفناء س بلا فناء ش »[٨١٤] .

اي نفنى كفناء ما هو فان في نفسه : لا يطرؤ الفناء عليه . فان الفناء . اذا لم يكن طارئاً : لا يزول بتصادم المانع . كفناء حقيقتنا : الباقية على عدميتها : في نفسها مع ظهور الوجود بها . وهذا الفناء هو المسمى بالفناء المحقق . والبقاء انما يكون على منوال الفناء . — فقوله :

« ونبقى ثم نبقى ثم نبقـــى كما يبقى البقاء ص بلا بقاء ض »

يريد بقاءنا ط لا يكون طارئاً عليه . فان البقاء بعد الفناء انما هو بالحق الظاهر في الثاني عن فعله وصفته وذاته[٨١٥] . وبقاؤه ظ — تعالى ! — ليس بطارئ ع عليه ، بل هو لذاته . —

---

٨١٤) يقول الجنيد ، ناقلاً عن غيره ، في صدر كتابه : « دواء التفريط » :

نفنى ثم نفنى ثم نفنى وكان فناؤه عين البقاء

(ك. دواء التفريط من كلام سيد الطائفة ابي القاسم الجنيد بن محمد البغدادي ، مخطوط مصور في معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية رقم ٣٧٣ تصوف) . —

٨١٥) قارن هذا ايضاً بالفتوحات ٢ /٥١٥—٥١٦ واصطلاحات الفتوحات ٢ /١٣٣ وفصوص الحكم ٢ /٧٢، ٨٣ والاربعين مرتبة للجيلي ١٣ وشفاء السائل (فهرس الاصطلاحات) ومنازل الهروي ٢١٥—٢١٦ والاملاء في اشكالات الاحياء ١٧ وعوارف المعارف ٢٤٧ .

س الفنا W . — ش فنا W . — ص البقا W . — ض بقا W . — ط الاصل : بقاه . — ظ الاصل : وبقاه . — ع الاصل : بطار . —

(شرح) تجلي نعت الولي[٨١٦]

LXXXIII

(٤٢٨) قد يُنَزَّل الولي ، بما فيه من الجمعية المستوعبة عمومَ احكام الجمع والوجود ، منزلة كل شيء[1] : فيعطي حكمه ، ويوصف بصفته ، وينعت بنعته ، كما قال ، قدس سره :

٨١٦) املاه ابن سودكين . ومن تجلي « نعت الولي » . وهذا نصه . « حبيبي ! ولي الله . . . . فيهم لا يرجعون ! » . — قال جامعه : سمعت شيخي وامامي ، مظهر الكمال ومحل الجمال والجلال لاستوائه [الاصل : لاستوطيه] على خط الاعتدال ؛ ولذلك لم يلتفه في محبته الا القليل من السايرين لانحراف الاكثر من التابعين ؛ كما لقيه بمكة بعض الصدور من علماء الرسوم ، فقال له : يا شيخ ! احمل الناس على الجادة ؛ فقال له ، رضي الله عنه : يا هذا ! كن حنبلياً لنعلم هل حنت الناس حنبلياً ام لا ؟ فمن علا علا ؛ ومن اشرف عز ان يشرف عليه او يوصل اليه ؛ واكثر الناس انما يطلبون من العارف علامات وهيئات ، تقرر في مبلغ علمهم انها شرط في صحة الولاية ؛ فاين هم من [الاصل : عن] قوله ، تعالى : «وفوق كل ذي علم عليم » ؟ وانما تظهر الأوصاف ، التي يشتهر الموصوف بها عند غيره ، على الضعفاء الذين غلبتهم احوالهم ، فظهر عليهم منها ما وسمهم عند الناظرين . واما من علت احواله وتمكن مقامه ورسخت قدمه ، فانه انما يظهر عليه ما يقتضيه حكم الموطن ، فيما الناس عليه من المباحات ؛ فلا تظهر عليهم زيادة ولا شهرة تمتد بسببها الاصابع اليهم او ترمقهم الأعين : تلك اصباغ وحلل وقشور غير ذاتية للمتوسم [او المتسم ، والاصل : للمترسم] بها ؛ واما المعتمد على الحقايق والمتحلي بمكارم الخلايق (فليس كذلك) اذ الاخلاق حلل القلوب التي نسجها الوهاب في الغيوب : حققنا الله بلباس التقوى الذي هو خير لباس ، وجعلنا من اسس بنيانه على خير اساس ، بمنه وفضله ! — ولقد قال لي إمامي وقدوتي الى الله — تعالى ! — ذات يوم : يا ولدي رأيت البارحة كأني اعطيتك هذه العمامة التي على رأسي ، واصبحت عزمت ان اعطيكها ، ثم احببت ان يكون تأويل ذلك ما يقتضيه باطن الرؤيا [الاصل : الروريا] وحقيقتها ، فتركت ايصالها لك ظاهراً : يا ولدي ، لهذا السر . فانظر رحمك الله — تعالى ! — الى هذه التربية والى هذا المنع الذي (هو) [الاصل : بل ومخطوط فيها : بلا] عطاء ! فانظر الى مقاصد الاكابر في اللباس ، كيف يطلبون اللباس الذاتي الذي يكون حلية للنفس دائماً ابداً ؟ فارق من هذا المثال ، الذي ضربه لك الحق بسلوك شيخي معي ، الى ما نعله [fol. 31b] — سبحانه ! — بعباده الذين حماهم [الاصل : احماهم] عن الدنيا ليحققهم [الاصل : لتحققهم] بروح النعم الحقية ، الخالصة من المزج ، العلية في اصل نشأتها ، المعدة للطيبين ! لا جرم انه اقتضت [الاصل : بها وكذا مخطوط فيها] الحقايق ان تؤجل (روح النعم) الى النشأة الاخيرة ، التي يقال فيها : « طبتم ! فادخلوها خالدين » ؛ وعند ذلك ، تكون « الطيبات للطيبين » ! جعلنا الله من الطيبين ، الطاهرين ، المقتدين بنوره المبين ! — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ! —

وصل ، سمعته — رضي الله عنه . — يقول في اثناء شرحه لهذا التجلي ما هذا معناه . قال :

[1] الاصل : شي . —

« حبيبي ! وليّ الله » المتحقق بوسطية كمالية : اليها حكم الوجود على السواء : [E.35b] « مثل الارض مدت وألقت ب ما فيها وتخلّت » [٨١٧] اذ الارض . من حيث إنها منتهى تنزل الوجود : هي محط الامانة الالهية . وهي عين احدية« ب الجمع الظاهرة . في مسافة تنزلها . استجلاءا ت وفي الحقيقة الارضية جمعاً . وفي الانسان الذي هو من بني ثراها . بحكم كمال محاذاته إياها ب » . جلاءا . — و « مدّها » استواؤها ث عن التشعيرات الجبالية ونتوءات ج التجاج العميقة والأودية . عند انقلاب باطنها ظاهراً وعند إخراجها أثقال الأمانة وردها الى مالكها . فان الجبال . من الارض . مظاهر تجليات« ح ظاهر الوجود ومخبأ أماناته . وهو قاض بترفع مظاهرها ح » واختلائها خ . والتجاج العميقة والأودية . منها . مظاهر تجليات باطن الوجود

هذا التجلي هو اختيار خاصة الله ، تعالى ! نور ترك الانبياء — عليهم الصلاة والسلام ! — بغير تكليف الرسالة — لاختاروا ان يكونوا هكذا . فولي الله مثل الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت . اي بقي مع الله منفرداً : قد سلم اليه جميع الاشياء . ومتى مدت الارض — ألقت ما فيها بالضرورة : لكونها تبقى سطحاً [الاصل : سطحها والتصحيح ثابت في مخطوط فيينا] واحداً . وانما تمسك (الارض) الاشياء اذا كانت متراكمة [مخطوط فيينا : متراكبة] . — قوله : « وانشقت سماء العارفين » أي عقولهم وقلوبهم . اي ذهب أمرهم ، لان الله — تعالى ! — اوحى في كل سماء أمره . فما دام العبد في سمائه [الاصل : سمايه] فهو ينظر بعقله . فاذا انشقت سماؤه ذهب ذلك الامر المخصوص : الذي له ، من كونه سماءاً [الاصل : سما] . لا من كونه شيئاً [الاصل : شي] آخر . فاذا صار العارفون كذلك ، عاشوا عيش الابد . لانه لم يبق عندهم امانة ليحسنوا انفاذها ويتكلفوا توصيلها . بل بقوا مع الله بالله لله . قد سلبوا عن [الاصل : من] أمور التكليف التي [الاصل : الذي] (حد) طورها [الأصل : طهورها] العقل . فهم في صورة الموت . فاذهم خاطر الناس : لكيلا يتنازوا [الاصل : يتنازون] عليهم بأمر تمتد به الاعين اليهم . فلا يعرفون [الاصل : ولا يعرفوا] ابداً . عاشوا مع الله ونسيهم [الاصل : ونسوهم] الخلق في جنب الله . فلا يعرفهم : في مقامهم ، جميع العالمين لا الناس ولا الملايكة . اذ الملايكة انما تطلع على خاطر العبد وما يبرزه من سره الى جهره ، سواء (أ) كان ذلك الامر ظاهراً او باطناً ، فحينئذ يكشفه الملايكة . وهؤلاء اسرارهم مصونة ومحلاتهم فيما استودعته مأمونة . فهم رجال الصون . وهم وراء طور العقل . — كتبنا الله ، تعالى ! بمنه ، منهم . — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ! » [مخطوط الفاتح ورقة ٣٠—٣٠ب] . —

٨١٧) اقتباس من الآية الكريمة : « واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت » سورة الانشقاق (رقم ٨٤) آية رقم ٣ ، ٤ . —

ب فالقت W : فالقت HK . — ت الاصل : استجلاء . — «ا — ب» (وضع الناسخ الاصلي رقم ٢ تحت كلمة « احدية الجمع » وكلمة « إياها » ليشعر بذلك ان الضمير في « اياها » يعود على « احدية الجمع ») . — ث الاصل : استواءها . — ج الاصل : نتوات . — « ح — ح » (وضع الناسخ الاصلي ايضاً رقم ٢ تحت كل من كلمتي « تجليات » و « مظاهرها ») . — خ الاصل : واختلاءها . —

ومخبأ ودائعه. وهو قاض بتغيب مظاهرها وخفائها د. «فاذا مُدَّتْ (الأرض) والقت ما فيها وتخلت» — ظهرت صورةً وحدانيةً. «لا عوج فيها[٨١٨] ولا امتا».

(٤٢٩) فالولي. المشبه بها ايضاً. حالة اخراج اثقال الامانة من بطائن حقيقته وردها من طريق: «كنت له سمعاً وبصراً ويداً» الى شمس الحقيقة. الطالعة من مغرب صورة عليها تدور افلاك الجمع والتفصيل — انما يظهر بسر وحداني: تنشمر[٨١٩] اليه رقائق القوى المدركة: الباطنة والظاهرة: تشمّر الظلال الى النور حالة استوائه ذ. فيعطي حكم الجمع والوجود في مقامه المطلق: ويقوم: بداية ر، مقام كل شيء ا. ومع ذلك يظهر للحق. بالذلة الظاهرة: عبودةً. كالأرض الذلول: المقول عليها: ﴿فامشوا في مناكبها[٨٢٠]﴾. ولذلك قال: «وأذنت لربها[٨٢١] وحقت» اي انقادت بكمال الطواعية، في إلقاء ما فيها الى ربها. و«حقّت» اي صارت حقيقة بالانقياد والطاعة. — هذا حال الولي، حيث نزّل منزلة الارض: وحيث نُزّل منزلة السماء: يقال:

(٤٣٠) «انشقت[٨٢٢] سماء ر العارفين» اي عقولهم وقلوبهم الحاملة ثقل الامانة انشقاق السماء «فذهب أمرها» بغشيان البارقات[٨٢٣] الذاتية. وامر كل سماء، ما اوحى اليه من اسرار الجمع والوجود، وكلف بحمله. وذهابه: عند انشقاقها: انطواؤه ز في الحق الظاهر عليها بالتجلي الصادع:

---

٨١٨) اقتباس مع تبديل يسير من آية رقم ١٠٧، سورة رقم ٢٠. —

٨١٩) تنشمر اليه رقائق القوى المدركة اي تتخذه وجهها وغايتها. يقال: شمر الى ذي الحجاز اي توجه نحو غرضه مباشرة؛ ويقال ايضاً: انشمر للامر وتشمر له يمنى تهيأ؛ كما يقال: شمر السفينة اي ارسل قلاعها، وشمر السهم اي ارسله.

٨٢٠) آية رقم ١٥، سورة رقم ٦٧. —

٨٢١) آية رقم ٥، سورة رقم ٨٤. —

٨٢٢) اقتباس من آية رقم ١، سورة رقم ٨٤. —

٨٢٣) البارقات او البوارق مفردها بارقة وهي «لايح اطلاقي يرد من الجناب الاقدس الفرداني فيلوح ثم يروح. فالبارقة وان لم تكن كشفاً تاماً (فهي) مبدأ كشف: لاح ثم راح! (وهي، أعني البارقة) اذا اتفقت أثبتت في المحل، الذي هو القلب، جمة تصونه عن التفرقة وتثبت له الجمعية لكونها بوارق التوحيد» (لطايف: ٣٦١)؛ وانظر المنازل الهروي ١٦٧ — ١٦٨). —

د الاصل: وخفايها. — ذ الاصل: استوآه. — ر سا W. — ز الاصل: انطواه. —

فكان العارف. قبل انشقاق سماء«س عقله. ناظرًا اليها س». مكلفاً بحمل اثقال ما اوحي اليها؛ وبعد انشقاقها، باقياً بلا امر مع الله بالله لله؛ مسلوباً عما كُلّف بحمله في طور العقل. ولذلك قال: «فبقوا بلا أمر فعاشوا عيش ش الابد» فانهم، [f. 86a] اذ ذاك. على ما يعطيه ايامهم شأن ص الحق. الظاهر بالتجلي عليهم. —

(٤٣١) فهم مع الله على حال «لم تتعلق ض بهم همم الأكوان فتشوّش ط عليهم حالهم» فان هممهم انما تتعلق بما حملت عقولهم من اثقال الأمانة. وقد ذهب ذلك عن العارفين بالانشقاق وذهاب الأمر. فليس بهم ما يدخل تحت تكييف هم الأكوان وتعينها. وحيث خفيت المناسبة بينهم وبين الأكوان: «نَسُوا في جنب الله فلا يُعرَفون» بما لهم من المكانة الزلفى. وذلك لظهورهم في كل حال بالأحوال المختلفة. فالمقول بلسان مقامه في كل حالة راهنة: أنا (أ)بو قَلَمون[٨٢٤] في كل لون اكون! فهم مع الحق. والحق في ﴿كل يوم[٨٢٥] هو في شأن ص﴾ وأصغر هذه الأيام: الزمن الفرد. — «طوبى لهم[٨٢٦] وحسن مآب ظ»! » فمآبهم ظ في كل آن: الحق في كل شأن ص. — «ما أحسنه من مآب ظ»

(٤٣٢) ومن هذا المهيع، قوله: «لم يعرف لهم غنى، فيقال لهم: اعطونا. ولا يعلم لهم جاه، فيقال لهم: ادعوا لنا. اخفاهم الحق في خلقه بأن أقامهم في صورة الوقت» الحاكم على الخلق حتى تلبسوا على حكمه: بلبوس العادات: فكانوا كأحد من الناس؛ «فاندرجوا» — فيهم «حتى درّجوا سالمين ع» عما يعطيهم النباهة والتعلية على أمثالهم. — «ما رزئوا غ في اوقاتهم» الرزء ف، بضم الراء وسكون الزاء، المصيبة. فانهم أحيوها (= الاوقات) في صحبة الحق ولم يميتوها في شغلها بصحبة السوى. —

---

٨٢٤) مثل لبديع الزمان الهمذاني في بعض مقاماته (مجاني الأدب، د/٦٦). وأبوقلمون: دابة صغيرة تترك وبراً ذهبياً، كان الاندلسيون يجمعونه وينسجونه ويبيعونه بأثمان باهظة. (الرحلات بين المشرق والمغرب: محمود علي مكي): مجلة البينة، ٢/١؛ عام ١٩٦٢ (يونية؛ رباط الفتح).

٨٢٥) سورة ٥٥/٢٩. —

٨٢٦) سورة ١٣/٣١. —

«س—س» (وضع الناسخ الاصلي رقم ٢ تحت كل من كلمتي «سماء عقله» و«اليها»). — ش عيش K. — ص الاصل: شان. — ض يتعلق K. — ط تتشوش K، فيشوش H. — ظ ماب KW؛ مآب. — ع سالمين. — غ رزءوا W، رزأوا P، رزو K، رووا H. — ف الاصل: الرزاء. —

(٤٣٣) «هم المجهولون في الدنيا والآخرة» اذ لا تظهر النفوس في الآخرة الا بما تحققوا به من الاخلاق والأوصاف في الدنيا. وكان تحققهم فيها بالتستُّر والخفاء. و«هم ق المسودة وجوههم عند العالمين لشدة القرب واسقاط التكلف لـ» — اذ وجوه قابلياتهم المستفيدة، بحكم كمال المحاذاة: الأنوارَ الالهية المبيضة اياها: حالة القرب المفرط — كحكم القمر المستفيد نور الشمس ليلة السِّرار. فهم، في هذا القرب: دائمون: عاجلاً وآجلاً. فقربهم المفرط يعطي سواد الوجه في الدارين[٨٢٧]. و(هم) المقول بلسان مقامهم، حالئذٍ ل:

تسترت عن دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الايام اسمي ما درت وأين مكاني ما دَرَيْنَ مكاني[٨٢٨]

وهمْ ايضاً، في سقوط تكلفهم: مبتذلون بين ارباب العادات، لا يعبأ بهم بينهم. ومن هذا المنبع: «لا في الدنيا يحكمون ولا في الآخرة يشفعون» سلبهم غشيان الحق عن شعورهم. فيقال فيهم: «صم، بكم، عمي، ! فهم لا يعقلون، [f. 86b] صم، بكم، عمي ! فهم» لا يرجعون[٨٢٩]».

٨٢٧) كل هذه السمات والشمائل والنعوت التي اضفاها ابن عربي على الولي المقرب: هي عينها اوصاف الملامتية في نظره؛ انظر ما تقدم، تعلي رقم ٥. — ولكن ما معنى كون العارف، عنده، اسود الوجه في الدنيا والآخرة؟ يجيبنا على هذه المسألة الشيخ الاكبر في فتوحاته: «قال بعض الرجال، لما سئل عن العارف (انه) مسود الوجه في الدنيا والآخرة... يريد باسوداد الوجه استفراغ اوقاته كلها، في الدنيا والآخرة: في تجليات الحق له» (١/١٨١). ويذكر ايضاً في كتاب «العبادلة»، الذي هو من انشائه: «وانما كان الكامل اسود الوجه في الدنيا والآخرة لانه دائم المشاهدة؛ فيرى ظلمة الكون في نور مرآة الحق. ومن دونه من السعداء، بالعكس: فانه ابيض الوجه في الدنيا والآخرة، لانه مرآة الحق: فتنفر ظلمته بنور حقه. وهو قوله (في الحديث القدسي): كنت سمعه وبصره... وهو قرب النوافل؛ والأول قرب الفرائض» (مخطوط شهيد علي باشا رقم ٢٨٢٦/١١ب). — وجاء في كتاب «كشف المعنى عن سر اسماء الله الحسنى» لابن عربي: «قال بعضهم: العارف مسود الوجه في الدنيا والآخرة. (هذا) مذكور في «كتاب البياض والسواد» (مخطوط يحيى افندي ٢٠٩٤: ٧ب). — وينقل صاحب «لطائف الاعلام» عن صدر الدين التونوي: «قال صدر الدين الرومي، قدس الله سره! وقد سئل عن معنى سواد الوجه في الدارين، فقال: سواد وجه الكامل: كلونه مواجهاً حضرة الغيب وهي تشبه الظلمة» (لطائف الاعلام، ورقة ٥٩١). — وانظر ما قاله الشارح هنا وقارنه بقوله في خطبة الكتاب (فقرة ٨٥): «فاذا سقط ياء الاضافة من هذا الانسان، بتحققه بسواد الفقر المطلق، يلزمه الفقد الكلي بفناء ياء الاضافة فيه وفناء نسبته ايضاً الى كل شيء، في تحقيق توحيد العين، الذي هو عين «الظاهر والباطن»؛...

٨٢٨) بيتان يتردد ذكرهما مراراً على لسان ابن عربي، على انهما لغيره انظر كتاب الازل ص ٥ (ط. حيدرباد) وكتاب الاسراء ص ٦٠، نفس الطبعة. —

٨٢٩) سورة ٢ /١٧، ١٨. —

ق — HKW. — — ك التكليف W، التكليف HK. — ل الاصل: + شعر. —

(شرح) تجلي بأيّ عين تراه ا ؟[٨٣٠]

LXXXIV

(٤٣٤) الرؤية[٨٣١] ب : في هذا التجلي : قد تضاف الى المحب وقد تضاف الى المحبوب. فان اضيفت الى المحب — فهو : إما يراه بعينه، أو بعين المحبوب. والرؤية ب انما تصح بحكم المحاذاة وبحسبها. بين الرائي ت والمرئي ث. ولا بقاء لعين المحب إلاّ اذا كانة الرؤية ب بعين المحبوب. على مقتضى : « كنت له بصراً[٨٣١A] ». فان رأى ج المحب. في هذا التجلي :

---

٨٣٠) املاء ابن سودكين. « ومن شرح تجلي بأي عين تراه ؟ — نصه.

« اذا تجلى الحبيب . . . .

. . . . « . . . .

« . . . . وانكون كونه »

— قال جامعه : سمعت شيخي يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه. قوله : « بأي عين تراه ؟ ». (هذا) استفهام. فاذا قرأته (= أجبت :) تراه بعين الحق ؛ كما قال — تعالى ! — « كنت سمعه وبصره » فحينئذ يعلم انه ما رأى الحق الا الحق ! قوله : « المحب يرى... محباً. » [fol. 31a] وانظر الى قوله (— تعالى ! —) « كنت بصره » (أي) بنسبة خاصة كذا العبد علينا اقتضت تلك النسبة ان يكون الحق بصره. واعلم اني اذا رأيتك لا بعلمي [الاصل : لا بل علي والتصحيح من مخطوط ثينا] منك — فقد رأيتك بعيني ونفسي ؛ واذا رأيتك لنفسي منك انك تحب ان اراك — فقد رأيتك بعينك لا بعيني. وكذلك الحق معك : انما يراك بعينك لا بعينه. لانه لو تجلى لك : كما ينبغي لجلاله، لتدكدك وجودك وانعدمت ! وانما يتجلى لك — تعالى ! — بأمر يناسب وجودك ويوافق ذاتك. فما رآك الحبيب ايضاً الا بعينك ؛ كما رأيته بعينه : بنسبتين مخصوصتين بكل واحد من المحب والمحبوب ؛ على ما يليق به. — وقوله : ؛ في آخر التجلي : « فكان عيني فكنت عينه » (اي) لكون كل من المحبين تعرف على مراد محبوبه. — والسلام ! » (مخطوط الفاتح ورقة ٣٠ب–٣١ا). —

٨٣١) « الرؤية يعنون بها المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة : وعلى هذا يحملون (اي الصوفية) معنى قوله — تعالى ! « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » ومعنى قوله ، صلى الله عليه وسلم ! « انكم لترون ربكم ». فان اهل الطريق يثبتون الرؤية بالعين لا بالقلب فقط وان ذلك في الآخرة منه من غير خلاف بين اهل الحق واما جواز رؤيته بالبصر في الدنيا فان الخلاف فيه ... » (لطائف الاعلام ٨٥ا) قارن هذا بما يذكره علماء السلف بموضوع الرؤية والتجلي الالهي في الآخرة : عقيدة ابن حنبل ١/٢٩ ؛ كتاب السنة ١٧٧–١٧٨ ؛ طبقات الحنابلة ٢/٥٣ ؛ ١٨٣ – ١٨٤ ؛ الشرح والابانة ١٥ (نص عربي) ؛ ك. الشريعة ٢٥١–٢٥٩ —

٨٣١A) انظر ما تقدم تعليق رقم ١٨٦، ٤١٠، ٤١٦A، ٤٣٧A، ٤٧٩، ٦٩٣A، ٧٩٩، ٨٣٠. —

ا + شعر (في وسط السطر الجديد) W. — ب الاصل : الروبه. — ت الاصل : الراى. — ث الاصل : والمرى. — ج الاصل : راى. —

بعين نفسه شيئاً ح — فهو رآه خ نفسه بصورة الوقت[٨٣٢]. في[٨٣٣] مرآة د المحبوب.

وان اضيفت (الرؤية) الى المحبوب — فهو: اما أن يرى بعينه او بعين المحب. فان رأى بعينه فلا بقاء لعين المحب معه؛ كما سبق. وان رأى بعين المحب، فتثبتْ عينُه ولا تزول. — قال، قدس سره! مستفهماً:

(٥٣٤) «اذا تجلّى الحبيب بأي عين تراه؟»

فأجاب عن نفسه فقال: «بعينه لا بعيني فما يراه سواه»[٨٣٤] اذ لا بقاء للسوى معه في رؤيته بعينه. — «فمن زعم انه يدركه ذ» بقوته الحادثة: الواهية «على الحقيقة فقد جهل» إذ لا محاذاة ولا مقارنة بين الحادث والقديم. وعلى تقدير ثبوتها: لا بقاء له فيما مع القديم: فلا إدراك. فان الادراك فرع بقائه ر.

«وانما يدركه ز المحدث من حيث نسبته اليه» في كونه موجوداً (به): مدركاً به — تعالى! — لا بنفسه. «كما علمه» تعالى! «من حيث نسبته

---

٨٣٢) «الوقت عبارة عن حال في زمن الحال: لا تعلق لك فيه بالماضي ولا الاستقبال» (لطايف الاعلام ١٨٠ا). فحيث كان الوقت يرمز لهذه الحالة الروحية التي يحيا بها صاحبها في «لحظة خالدة»، فهو صورة مثالية معلقة بين طرفي زمان الوجود. — قارن هذا بما يذكره صاحب «لطايف الاعلام» عن صورة سرائر الآثار (ورقة ١٠٣ا) وصورة الشئون (١٠٣ب) وصاحب الوقت (٢٠٠ا). —.

٨٣٣) يصطنع كثيراً ابن عربي رمزية «المرآة» للتعبير عن حقيقة الصلة الحية بين الله والانسان انظر الفتوحات ١/١٦٣؛ ٣/٨٠ وفصوص الحكم ١/٦١-٦٢ الخ... وانظر ايضاً «لطايف الاعلام» مادة «مرآة الكون» ١٥٨ا؛ ومرآة الحضرتين: ١٥٨ب. —

٨٣٤) البيتان واردان في الفتوحات ١/٣٠٥ في صدد البحث عن الصور المثالية والخيال المتصل والمنفصل. — ونجد في مخطوط شهيد علي باشا رقم ١٣٤٤/١٨٠ب هذه الزيادة، بعد البيتين: • ولذي ان اراه واخترت اسقاط حظي من غيري في هواه

والفكرة البادية من هذين البيتين تنتقد الحلاج في قوله المشهور:

رأيت ربي بعين قلبي فقلت من انت قال انت!

وابن عربي كان اصرح من ذلك في نقده المشهور:

يت ربي بعين ربي فقلت ربي فقال انت

(فتوحات ١/٥٧٥)

ح الاصل: شياه. — خ الاصل: رأى. — د الاصل: مراه. — ذ يدرك HKW. — ر. الاصل: بقائه. — ز يدرك H. —

اليه » في عرصة غيب علمه . بكونه تعيناً من تعيناته وشأناً س من شؤونه ش . —

(٤٣٦) « فالمحب ص يرى محبوبه بعين محبوبه . ولو رآه ض بعينه ما كان محباً » — اي لم يبق له وجود حتى يتصف بكونه محباً . — « والمحبوب يرى محبه بعين المحب لا بعينه » اذ لو رآه بعينه — لانعدم وجوده . — « وربما ط يقال في هذا المقام » الأنزه :

« فكان عيني فكنت عينه وكان كوني وكنت كونه »

فانه اذا ثبت انه عين وجودي — فأكون انا عين كونه . اذ ليس لي وجود يغاير كونه . —

« يا عين عيني يا كون كوني الكون كونه والعين عينه »

يقول : ليس لي وجود ولا عين . فما يضاف اليّ : كوناً وعيناً : هو في الحقيقة : كونه وعينه . وانا باقٍ على عدميتي دائماً ظ : لا محيد لي عنها !

س الاصل : شانا . — ش الاصل : شوونه . — ص المحب HKW . — ض رآه KW ؛ + بعين K . — ط فربما K . — ظ الاصل : دايما . —

(شرح) تجلٍّ[ا] من ب تجليات الحقيقة[٨٣٥]

LXXXV

(٤٣٧) وهي (= الحقيقة) سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه[٨٣٦].

---

٨٣٥) املاه ابن سودكين . « ومن تجليات الحقيقة . وهذا نصه .

« اذا ما بدا لي تعاظمته . . . .

« .... فسبحان من يرى ولا يعلم ! » . — قال جامعه : سمعت شيخي ، رضي الله عنه ! يقول في اثناء شرحه لهذا التجلي ما هذا معناه . « اذا ما بدا لي تعاظمته » : لظهور سلطانه علي . فالبس الذل والتواضع . « وان غاب عني » : لبست حلته التي كساني عند التجلي ، لكوني خليفة اظهر بحلية المستخلف . فأكون عظيماً عند الاكوان التي عدت اليها ، لكوني القادر عند الكون بصورته . فغيبة الولي ههنا [الاصل : هاهنا] انما هي عن تجل خاص وحضور في تجل آخر ، شأنه فيه اظهار هذا الوصف . وقوله . « فلست الخصيم ولست .... القسيم » ، اي قاسمته فيما ظهر لي به . فوجبي ما ظهر لي به ؛ فكنت قسيمه بهذا الاعتبار . وقوله : « فلا تحجبن بعين الحديث » البيت ، اراد الحديث ههنا الحدوث . اي لا تقل [الاصل : تقول] انا محدث : ومن اين يكون للمحدث عظمة ؟ فاعلم ان العظمة حصلت لك من تجلي « العظيم » لك لا منك . وايضاً . فان المحدث هو الدليل على القديم . وتارة يكون مدلولاً ، اي بالقديم ظهر المحدث . فهل جعلتني ، يا الهي ! دليلاً عليك ؟ او جعلت نفسك دليلاً علي ؟ اذ قد ثبت قدمك وحدوثي . فهل عرف [الاصل : عرفت] حدوثي من قدمك ؟ او من قدمك (عرف) حدوثي ؟ فذهب الحكماء الى انه من قدمه (تعالى !) عرف الحدوث ؛ وذهب المتكلمون الى انه بالحدوث عرف القدم . — وقوله : « اذا كنت بك ، فلا اعرف » ، اي انت حينئذ عيني . واذا كنت بي ، (ف) لا اعرف (ايضاً) . لانني اذا كنت بي ، كنت مشهوداً لنفسي غايباً عنك ؛ في الحالتين انا مسلوب عن المعرفة . فاذ ولا بد من الجهل . فكن (يا الهي !) عيني حتى أراك بك ! — وقوله : « فسبحان من يرى ولا يعلم » : اي تشهده [الاصل : يشهده] ولا تنضبط لك كيفية ما رأيت . بل تبقى [fol. 31b] حايراً . وبهذا القدر ، تعرف تجلي الحق خاصة ، لانك عند انفعالك مما تشاهده وتراه ، ان رأيت عندك علماً بذلك المشهد او بسكت منه صورة : فبما مسكته تعرف حكمه ؛ وان لم تقدر على تحصيل اثره ، جملة واحدة ، فحينئذ تعلم انه تجلي الحق . فهذا ميزانه . فاعلم وتحقق . « وقل : رب ! زدني علماً . » » [مخطوط الفاتح ورقة ٣١ا–٣١ب] .

٨٣٦) نفس التعريف للحقيقة نجده في اصطلاحات الفتوحات ٢ / ١٣٢ واصطلاحات الصوفية لابن عربي والفتوحات ٢ / ٥٦٢–٥٦٣ د ، ولكن لطايف الاعلام يعرف الحقيقة على النحو الآتي : « مشاهدة الربوبية ، بمعنى ان (تشاهد) الله — تعالى ! — هو الفاعل في كل شيء والمقيم له ، لان هويته قايمة في نفسها مقيمة لغيرها » [ورقة ٧٠ا] . وكلنا يذكر المقطع الأخير من تحديد « الحقيقة » كما ورد على لسان الامام علي — كرم الله وجهه ! — : « ياغلام ! اطفىء المصباح فقد طلع الصباح » . ومهما يكن في الامر ، فجميع هذه الحدود او التشريحات متداخل بعضها في بعض ومتمم بعضها بعضاً : فسلب آثار اوصاف العبودية لا يتحقق الا بمشاهدة الربوبية ، ومشاهدة الربوبية تعالى ان ترى بعين « المسكن الفاني » !

ا تجلٍّ P ؛ — HKW . — ب ومن HKW . —

إذ من آثار وصف حدوثك : الافتقار والذلة ؛ وهما مسلوبان عنك بظهور غنى الحق وعزته فيك : حالة كونك بالحق لا بنفسك . بخلاف نفس الحدوث : فانه ؛ بظهور القديم فيك . غير مسلوب عنك [f. 87a] فاذا تجلى هو بنفسه ؛ في غناه وعظمته ؛ لك — ظهرتَ انت ؛ في محل التقابل ؛ بافتقارك وعبوديتك . واذا غاب عنك ، في صورة مظهريتك — كان هو العظيم فيك : وهو الفاعل بك منك في الكون ؛ و(كنت) أنت العظيم به ؛ في ولاية خلافته . كما قال :

(٤٣٨) «اذا ما بدا لي تعاظمته»

اي باظهار افتقاري اليه وعبوديتي له . «وان غاب عني فاني العظيم» = اي بكونه هو فاعلاً بي مني في الكون ، وأنا لابس حلة خلافته ، ظاهر فيه بصورته ، مسلوبة مني ؛ بأوصافه . آثارُ حدوثي وعدميتي . —

«فلست الحميم ولست النديم ولكنني ت — ان نظرت — القسيم»

اي شأني ث فيما ظهر لي منه ؛ في هذا التجلي ؛ أن أكون قسيماً لا صاحباً ولا نديماً . فانه تصرف في الكون على مقتضى الربوبية ؛ وتصرفتُ انا فيه ؛ به ؛ على مقتضى الخلافة ؛ وكوني على الصورة . —

«فلا تحجبَنَّ بعين الحديث»

اي لا تحجبَنَّ عن كوني في محل تراني فيه بصفة الحدوث وآثارها ؛

«فان الحديث بعين النديم»

يقول : حدوثي ، الذي تراني فيه ، انما هو قائم بعين القديم[٨٣٧]

٨٣٧) من غير ان يصير القديم حادثاً والحادث قديماً : فكل من القديم والممكن باق على حقيقته . وقيام الحادث بـ«عين» القديم وظهور القديم في صورة «الحادث» هو احدى الجوانب الاساسية لفكرة الاطلاق المطلق للذات الالهية ، اي اعتبار الذات الالهية مطلقة لا بشرط شيء . والواقع ، انه يمكن ان نعتبر الذات الالهية مطلقة على نحوين : ذات مطلقة بشرط لا شيء ، وفي هذه الحالة اطلاق الذات الالهية يقابل تقييد الذات الممكنة الحادثة ، اني هي بشرط شيء ؛ فهذا الاطلاق هو اذن مقيد على وجه ما ، وبالتالي لا يليق بجناب الحق ، تعالى ! — النحو الثاني من الاطلاق الذاتي وهو اطلاق لا بشرط شيء ، وفي هذه الحالة ، اطلاق الذات لا يقابلها شيء : مقيد او غير مقيد ؛ وهذا هو الاطلاق الذي يليق بالله تعالى ! (انظر لطايف الاعلام ٢٢٢ا — ٢٢٣ا ومقدمة شرح القصيدة التائية للقيصري مخطوط ايا صوفيا رقم ١٨٩٨ / ١ب — ٣ب وكتاب في علم التصوف له ، نفس المخطوط ورقة رقم ٩٤ا — ٩٦ب ومقدمة شرح الفصوص له ايضاً ، نفس المخطوط ورقة رقم ٢٧ب — ٣٩ا) . — اما علماء الكلام وغيرهم الذين لم يعتبروا الاطلاق الذاتي للحق الا انه اطلاق بشرط لا شيء ، اي اطلاق في مقابلة التقيد —

ت ولاكني W ، ولكني PK . — ث الاصل : شاني . —

الذي له ولاية الربوبية في العالم بالمحو والاثبات والحل والعقد. فقربني اليه أعطاني التصرف به. وقربه الي أعطاني تصرفه بي. فافهم! — ثم قال:

(٤٣٩) «حبيبي! قِدَمُكَ أظهر حدثي أو حدثي اظهر قدمك؟»

هذا لسان من قام، في هذا التجلي، على مشاهدة الحقيقة من حيث تعارض المتقابلات عليها، ولم يسنح له من الحق ما يعطي التحقيق ويزيل الشبهة. ولذلك لم يعلم ان القديم دليل على الحادث. كما هو رأي البعض، وهو رأي من قال: بدلالة المؤثر ح على أثره. او بالعكس. كما هو رأي ج من قال: بدلالة الأثر على المؤثر ح. فقال: «لا أعرف ح» اي شأني خ ان لا أعرف بي شيئاً د، — «فعرّفني ذ إذا كنت بك» فان العلم. الكاشف عن حقيقة كل شيء ر كما هي، مساوق لوجودك: الظاهر بي. فعرفني بتجلٍ خاص: علمي حتى أعلم الحقيقة واحكامها المتقابلة، من حيث ما علمتها انت. فيكون علمي بها، اذن، علماً لدنياً، خالصاً عن تعارض الشبهات فيه. — ثم كرر فقال:

(٤٤٠) «حبيبي! لا اعرف» وشأني ان لا اعرف شيئاً. فان علمتُ، فعلمي من لَدُنْكَ ومعرفتي بك. وليس لي أن أعرف، في مرتبة انا فيها على عدميتي، شيئاً. — «فان ما ثَمَّ من أعرف. واذا كنت بي ز» فلا أكون. واذا لم اكن، لا اعرف. «فان حقيقتي» الباقية على عدميتها، من مقتضاها: «ان لا تعرف فاذ ولا بُدَّ من الجهل» الذي هو مقتضى حقيقتي. —

«فكُنْ عيني حتى اراك» بك. — ولما كان الحق، مع كونه مشهوداً في كل شيء ر، غيرَ محصور في تعينه — قال: «فسبحان س من يُرَى ولا يُعلَم!» فانه — تعالى! — لا تعيّنَ فيه، من حيث محض ذاته. [f. 87b] فلا ينضبط في تعين الا بقدر ما به تعينَ من المراتب والاعيان والصور والاحوال والصفات ونحوها. فلذلك لا يعلم، وان كان مشهوداً من حيث تعيُّنه. —

فنفوا ظهور القديم في صورة الحادث وقيام الحادث في «عين القديم»، لان ذلك يلزم عنه تغير جوهري في طبيعة الحادث، حين قيامه في القديم، وتغير جوهري في طبيعة القديم، حين قيامه في صورة الحادث.

ج الاصل: راى. — ح الاصل: المؤثر. — ح لا ادري KH. — خ الاصل: شانى. — د الاصل: شياء. — ذ عرفني HKW. — ر الاصل: شى. — ز + لا اعرف HKW. — س فسبحن W. —

(شرح) تجلّي تصحيحُ المحبة[٨٣٨]

LXXXVI

(٤٤١) «من صحت معرفته صح توحيده» فان العارف اذا عرف الشيء[١] بعينه — عرف ان له توحيداً ذاتياً به يتميز عمّا سواه. بل عرف ان توحيده اذا كان ذاتياً — لا يقابل الكثرة ولا يتوقف على تعقلها. كما ان الاطلاق اذا كان ذاتيـاً — لا يقابل التقييد ولا يتوقف على تعقله. هذا توحيد الحق الذي هو «إياه توحيده». وأما توحيد العارف. فهو تعقله بكون معروفه واحداً بالوحدة الذاتية في نفسه. فمن صح له هذا التعلق. العلميّ. العرفاني — صح توحيده.

«ومن صح توحيده» بهذا التعلق ، «صحت محبته» فان المحبة[٨٣٩] هي تعلق خاص موافق ، تستتبع التعلق الخاص العرفاني.

(٤٤٢) «فالمعرفة لك» اذ بها انسلخت عن الجهالة. «والتوحيد له» اذ به تنزه عن الكثرة والتركيب في ذاته.

---

٨٣٨) املاه ابن سودكين. «ومن تجلي تصحيح المحبة. و (هذا) نصه. «من صحت معرفته صح توحيده ... بين العبد والرب». — قال جامعه : سمعت شيخي يقول ما هذا معناه. التعلق بكون المعلوم واحداً في نفسه هو المعبر عنه بالتوحيد. فهذا تعلق خاص يحويه العلم ؛ اذ العلم واسع وله متعلقات كثيرة. فهذا [الاصل : بهذا ؛ والتصحيح من مخطوط ثيينا] النوع الخاص احدها (وهو) معنى قوله : «من صحت معرفته صح توحيده». فاذا اعطتك المعرفة صحة التوحيد انفردت المحبة له. فالمعرفة لك ، والتوحيد له. والمحبة هي المنازلة بينك وبينه. فالمحبة هي التعرف بطريق خاص موافق ، والمنازلة تكون بينكما ؛ اذ كل منكما يوصف بها. — والمنزل هو ما ينزل فيه. فاعلم !» [مخطوط الفاتح ورقة ٣١ب]. —

٨٣٩) «المحبة ، فسرها شيخ الاسلام في كتاب المنازل : بانها تعلق القلب بين الهمة والانس في البذل والمنع. اي في بذل النفس للمحبوب ومنع القلب من التعرض الى ما سواه. وانما يكون ذلك بافراد المحب بمحبوبه : بالتوجه اليه والاعراض عما عداه ؛ وذلك عندما يفنى اوصاف نفسه في ذكر محاسن حبه ؛ فتذهب ملاحظة التثنية ...» (لطايف الاعلام ١٤٩ا— ١٤٩ب). وليميز صاحب اللطايف بين المحبة الذاتية والمحبة الاصلية والمحبة الفعلية والمحبة الحاليـة (نفس المصدر والورقة). وانظر الفتوحات ٢ /٣٢٠—٣٦٤ والفصوص (فهرس الاصطلاحات : مادة الحب الالهي ، المحبة) ومنازل السائرين ١٤٩—١٥٤. — وانظر ايضاً دراسة فكرة المحبة عند ابن عربي واتباعه في كتاب الاستاذ هنري قربان *L'Imagination Créatrice dans le Soufisme d'Ibn 'Arabī*, pp. 104-132.
اما ما يخص فكرة المحبة من الوجهة الشرعية فانظر التعليق القيم على كتاب الشرح والابانة للاستاذ هنري لاووست : *La profession de foi d'Ibn Baṭṭa*, p. 160-161. —

---

[١] الاصل : الشى. —

« والمحبة علاقة بينك وبينه ، بما تقع [١] المنازلة بين العبد والرب » اذ مقتضى المحبة ، تقرُّبُ المحب الى محبوبه ؛ ومقتضى تقربه : تقرب المحبوب اليه : على حكم التضاعف . فالمنازلة . التقرب من الجانبين . والمنزل : محل الاجتماع الأقدس . —

---

[١] يقع . —

(شرح) تجلي المعاملة[٨٤٠]

LXXXVII

(٤٤٣) «قلتُ: رأيتُ ا اخواننا يأمرون ب المريد بالتحول عن الاماكن» التي وقعت لهم فيها ت المخالفات ث» أخذًا بقول من قال[٨٤١]: ان حقيقة التوبة «نسيان الذنوب»؛ وملازمة مكان المخالفة من المذكرات. «— فقيل لي: لا تقل بقولهم: قل للعصاة: يطيعون الله على الأرض التي وقعت لهم فيها المخالفة ج وفي الثوب وفي الزمان» الذي هو نظير زمان المخالفة. وهذا يُشْبِه قول من قال: ان حقيقتها (= التوبة). «ان لا تنسى ذنوبك[٨٤٢]». فان الرجوع الى محل المخالفة مذكرها. وايضاً: «فكما يشهد عليهم» يعني مكان المخالفة. «يشهد لهم ثم بعد ذلك» — اي بعد اقامة الطاعة. في مكان المخالفة — «يتحولون عنه ان شاءوا ح[٨٤٢A]» وقد أيّد: قدس سره!

٨٤٠) املاه ابن سودكين. (وهذا) نصه. «قلت: رأيت اخواننا . . . . «واتبع السيئة الحسنة تمحها.» — قال جامعه: سمعت شيخي يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه. رأيت اخواننا يأمرون المريد بالتحول عن اماكن المعصية. واستنادهم في ذلك الى الخبر، لكون النبي — صلى الله عليه وسلم —! تحول عن المكان الذي نام فيه عن الصلاة». فهؤلاء [الاصل: فهولا] معهم الصواب باتباع ظاهر السنة. ونحن اشهدنا حقيقة الشهادة: فكان قصدنا ان البقعة كما شهدت عليهم: تشهد لهم بطاعة يوقعونها فيها في وقت ما. وكذلك حكم الثوب. وقد يجمع بين الأمرين؛ وهو ان تفارق البقعة ثم تعود اليها وقتاً آخر، فتوقع فيها الطاعة. وقد قال [الاصل: قالوا والتصحيح في مخطوط ثيننا] ايضاً في الرسالة: «ان حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك». فمن عمل على هذا قال: لا تعد الى موضع معصيتك. ومنهم من قال: «ان حقيقتها ان لا تنسى ذنبك». فهؤلاء [الاصل: فهولا] تتوجه [الاصل: يتوجه] اشارتهم الى ما ذهبنا اليه.» [مخطوط الفاتح ورقة ٣١ب]. —

٨٤١) هذا التعريف للتوبة منسوب الى الجنيد، انظر جذوة الاصطلاح ورقة رقم ٤٣ب. —

٨٤٢) هذا التعريف للتوبة منسوب الى سهل التستري؛ انظر جذوة الاصطلاح؛ ورقة رقم ٤٣ب. —

٨٤٢A) يقول ابن عربي في احدى وصاياه: «واذا عصيت الله، تعالى! في موضع فلا تبرح من ذلك الموضع حتى تعمل فيه طاعة وتقيم عبادة. فكما يشهد عليك (الموضع) يشهد لك» (وصايا ابن العربي، مخطوط شهيد علي باشا، رقم ١٣٨٢/ ٧٨؛ والفتوحات ٤/ ٤٤٥). —

ا رأيت KW. — ب يأمرون HKW. — ت فيها K. — ث المخالفة HK؛ + وفي الثوب وفي الزمان K. — ج المخالفة K. — ح شاؤا W؛ شاوا K؛ شاءوا H. —

ما اختار من القولين بدليل : « « اتبع خ السيئة د الحسنة تمحها[٨٤٣] » » .

٨٤٣) جزء من حديث شريف مطلعه : « قال رجل لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم : اوصني . فقال : اتق الله حيثما كنت . قال : زدني . فقال : اتبع السيئة الحسنة تمحها . قال : زدني : قال : خالق الناس بخلق حسن . » اخرجه الترمذي من حديث ابي ذر وقال : حسن صحيح (المغني عن حمل الاسفار على هامش الاحياء ٣/٥٠ رقم ٣٤٤٣/١٠ رقم ٢) . — هذا ، والابحاث الصوفية الخاصة بالتوبة تراجع في الفتوحات ٢/١٣٩—١٤٤ والاحياء ٤/١—٦٠ وجذوة الاصطلا ورقة ٢٤ب—٥٤! ولطايف الاعلام : ٣٥ب—٦٥ب ومنازل الهروي ١٩—٢٥ ؛ اما الابحاث الفقهية والكلامية (السلفية) فتراجع : عقيدة ابن حنبل ١/٣٤ ؛ ٥/٣١١ ؛ طبقات الحنابلة ٢/٤١، ٢٦٦ ؛ المعتمد ٢٤٢—٢٥٠ ؛ اما في ابحاث المستشرقين فيراجع :

— «EI. IV, 740» (par R. A. Nicholson) ;»
— «*La passion d'al Ḥusayn... Al Ḥallāj*» (à l'index) ;
— «*Lexique technique*» (à l'index).

خ واتبع HK . — د السيئة W ، السية PK . —

(شرح) تجلي كيف الراحة[٨٤٤]

LXXXVIII

(٤٤٤) (كيف الراحة) في أمر ، إن أتى به ، قيل : لِمَ أتيتَ به ؟ وان تركه ، قيل : لِمَ تركت ؟ كما قال[٨٤٥] :

« اذا قلتُ : يا اللهُ[ا] ! قال : لمَا تدعو ب ؟ »

هذا الخطاب انما يَرِدُ على المقرَّبين . فان الدعاء [f. 88a] والنداء مؤذنان بالبعد ، وهم في مقام القرب الأقرب .

« وإن أنا لم أدع – يقول : الا تدعو ب »

– فالترك ايضاً ، مشعر بعدم الاطلاع على سر المقام . وذلك ان القرب المفرط ، في حكم البعد المفرط . فمقتضى المقام ، ورود الاعتراض من وجهين . فاذا وقع التجاذب الى الوجهين المتقابلين ، ارتفعت الراحة . فارتفاعها ، مقتضى المقام . فلا راحة لصاحبه ما دام هو فيه . ولذلك قال :

(٤٤٥) « فقد فاز باللذات من كان أخرساً »

اي من حكم عليه حاله ان لا ينطق . فتُسْلَبُ عنه ، بمقتضى حاله ، قوة النطق ؛ كما في مقام الكشف[٨٤٦] الحيواني . فان نطق الانسان

---

٨٤٤) املاء ابن سودكين . « ومن تجلي « كيف الراحة ؟ » . ونصه هذان البيتان :

« اذا قلت يا الله . . . .

. . . . »

قال جامعه : سمعت شيخي ، رضي الله – تعالى ! – عنه ، يقول (في اثناء شرحه) ما هذا معناه . ان الدعاء يؤذن بالبعد وهو – تعالى ! – « القريب » ، واذا كان « القريب » . فلم تدعو ؟ [الاصل : ندع] . وان سكت ، قيل لك : لم لا تدعو [الاصل : تدع] ؟ هل استكبرت ؟ فلم تبق النبعة الا للأخرى وهم « البكم : الصم ، العمى » : « طوبى لهم وحسن مآب ! » » . [مخطوط الفاتح ورقة ٣١ب .] .–

٨٤٥) هذان البيتان واردان في الفتوحات بنصها (١ /٤٣٦) ويحسن الرجوع الى السياق والسباق لهذين البيتين وهما ينيران جوانب هذا الفصل في املائه وشرحه .

٨٤٦) الكشف او « طريق الكشف وهو علم ضروري .... يجده الانسان في نفسه ولا يقبل معه علة ولا شبهة ولا يقدر على دفعه ولا يعرف لذلك دليلا يستند اليه سوى ما يجده في نفسه ... » (فتوحات ١ /٣١٩) والكشف في الحيوان اتم لخلوه عن عمل الفكر او تدخله . وانظر كتاب المسائل ، مسألة رقم ٣٩ وانشاء الدوائر ص ٣٥–٣٦ .

ا يا الله W .–   ب تدعوا K .–

يُسْلَب عنه ، اذا انكشف له ما انكشف للحيوانات الخرس : ككشف أحوال الأموات في قبورهم . —

« وخُصِّصَ بالراحات مَنْ لا له سمع »

وكل هذا : من اوصاف الأخفياء وأحوالهم : المقول فيهم ، من قبل : « صم : بكم : عمى ! فهم لا يعقلون[٨٤٧] » .

---

٨٤٧) سورة رقم ٢ /١٨ ؛ وانظر ما تقدم آخر تجلي رقم ٨٣ وتجلي رقم ٥٣ وتعليق رقم ٥٣ وتجلي رقم ٥ .

(شرح) تجلي حكم المعدوم[٨٤٨]

LXXXIX

(٤٤٦) اعلم ان الوجود، المتعين في مرتبة مخصوصة بتعين مخصوص، انما هو ظاهر فيها بحسب ذلك التعين وعلى حكمه، مع عدم تحقق المرتبة والتعين وبقائها ا على معقوليتها؛ حالة ظهور الوجود فيها بحسبها. فهو – قدس سره ! – ذكر أقسام المعدومات؛ الحاكمة على الوجود بالتنويع والتفصيل، مع عدم تحققها به؛ فقال:

(٤٤٧) «ثلاثة ب ما لها كيان   السلب والحال والزمـان»

اما السلب: فانك اذا قلت: زيد ليس بعالم – فقد حكمت على الوجود، الظاهر فيه: بسلب العلم عنه. فتَقَيَّدَ الوجود بهذا الحكم: تَقَيُّدُهُ بالنسبة السلبية التي لها كون (مَا)[٨٤٩]. – واما الحال. فهي كيفيات

---

٨٤٨) املاه ابن سودكين. «ومن تجلي حكم المعدوم. وهذا نصه.

«ثلاثـة ما لهـا كيان . . . .

. . . . قال به العقل والشان»

قال جامعه: سمعت شيخي: سلام الله عليه! يقول في اثناء شرحه لهذا التجلي ما هذا معناه. اعلم ان المعدوم يكون له حكم وما يكون له عين. فالزمان نسبة يسأل [الاصل: يسئل] عنها بـ «متى»؛ والنسب عدمية. والسلب قولك: فلان (ليس) عالماً (لمن قال: فلان) عالم. فسلبت العلم عنه، فلا حكم للعلم عليه. والحال نسبة العلم اليه، تقول: فلان عالم. فجعلت للعلم حكماً عليه. وكل هؤلاء [الاصل: هولا] احوال عدمية. لها حكم وليس لها عين. – واعلم ان من كان موصوفاً بحال صح ان يسأل [الاصل: يسال] عنه بـ «متى». فيقال: متى خلق الله – تعالى ! – العقل الأول؟ فيقال: حين اوجده، عالماً بنفسه انه ممكن. ولا يصح ان يقال: متى اوجد الزمان؟ لانه يسأل [الاصل: يسئال] عن الشيء بعينه. هذا، اذا صح ان يكون الأمر المسئول عنه موجوداً؛ فكيف اذا كان امراً عدميا. فالزمان حكم توجد فيه الأشياء ولا يوجد هو فيها. وقد قال به العقل بما اثبت من حكمه. واما الشان، فله التسمية [الاصل: تسية] اللفظية. – وبالله التوفيق !» [مخطوط الفاتح ورقة ١٣٢أ]. –

٨٤٩) «السلب (هو) حكم عقلي سواء عبر عنه بالرفع (= الاثبات) او بالنفي. فانه حكم في الذهن ليس بانتفاء محض، وهو اثبات من جهة انه حكم بالانتفاء؛ والشيء لم يخرج من الانتفاء والثبوت.» (حكمة الاشراق للسهروردي، ٣٠). – وفي موضع آخر من كتابه، يقرر شيخ الاشراق بان «السلب حكم وجودي، اي له وجود في الذهن وان كان قاطعاً لايجاب آخر» (نفس المصدر ص ٥٧). – ومن المستحسن ان يقارن هذا التحديد لفكرة «السلب» عند شارح التجليات والسهروردي بما يذكره هاملتون (Hamilton) في: «*Logeque*, III, 216» —
وسيجورات (Siguart) في: «*Logik*, 1er partie, § 20» —
وبرجسون (Bergson) في: «*L'évolution créatrice*, p. 311-313.» —

ا الاصل: وبقاءها. – ب ثلثه P، ثلا ثه W، ثلثه K. –

تحكم على الوجود المكيف بها ؛ مع كونها نسباً لا تحقق لها في نفسها . فيقال في الوجود ، على مقتضى حكمها : ظاهر وباطن ؛ ولطيف وكثيف ؛ ومركب .وبسيط ونحوها[٨٥٠] . فهذه النسب : لها حكم لا عين . — واما الزمان : فهو مقدار ؛ متوهم . مستفاد من الشيء[ت] في حركته ؛ مما منه الحركة الى ما اليه الحركة[٨٥١] . فذلك ؛ ايضاً ، نسبة بين « من » و « إلى ». والنسب لا تحقق لها في نفسها ؛ كما مرّ . والحق ؛ ان ما سوى الوجود ؛ الذي ليس له ماهية وحقيقة غير التحقق ؛ نسبٌ واضافات معقولة ؛ لا تحقق لها ؛ مع انها حاكمات على الوجود ؛ في ظهوره بالتنويع والتفصيل ؛ حتى يقال فيها : وجودات . ولذلك قال :

(٤٤٨) «فالعين : لا ، وهي حاكمات. قال به : العقل واللسان»

[f. 88b] يريد العقل المستشرف ، بأتم شهوده ؛ على ان العين واحدة والحكم — باعتبار اختلاف التعينات والمراتب والأحوال والازمنة ونحوها — مختلف واللسان ، من حيث إنه مترجم عن العقل الناقد ؛ قائل به ايضاً .

---

٨٥٠) هذا الرسم للحال هو من الوجهة « الأيسية » (du point de vue ontolagique) لا من الوجهة الروحية ، اذ هو ثمت : « ما يرد على القلب من غير تأمل ولا اجتهاد ولا كسب ولا اجتلاب » (لطايف الاعلام : ٥٦أ) . —

٨٥١) هل الزمان هو مقدار الحركة أو هو مقدار الوجود ؟ وبالتالي هل هو متوهم أو موجود ؟ (انظر الفتوحات ١ /٤٣، ٢٩٠–٢٩٢ ؛ ٢ /٥٦، ١٣٢ ؛ ٤ /٢٦٥–٢٦٦، ٢٩٧–٢٩٨ الخ ... وحكمة الاشراق ١٧٩–١٨٠) . —

ت الاصل : شي . —

(شرح) تجلي الواحد لنفسه(٨٥٢)

XC

(٤٤٩) اعلم ان تجلي الواحد لنفسه على ضربين. تجليه من نفسه. في نفسه. لنفسه. ولا عدد في هذا التجلي ولا رؤية ا بحكم العدد. فان مرآة ذات الواحد بحكم المغايرة. حالة رؤيته ب نفسه بنفسه في نفسه لنفسه. لم تتعين بل هي مستجنة في صرافة وحدته. محتجبة في حجاب القرب المفرط. — وتجليه لنفسه فيما يتعين بصورة القابلية الكلية الجامعة(٨٥٣). بحكم المغايرة من وجه: وانطبعت فيه محاسنه الجمة أتم الانطباع. —

---

٨٥٢) املاء ابن سودكين. «ومن تجلي الواحد لنفسه. ونصه ثلاثة ابيات:

«لولاه ما كان لي وجود . . . .

» . . . .

» . . . . او كونه الواحد الحيد!»

قال جامعه: سمعت شيخي يقول ما هذا معناه. من حقيقة الواحد ان لا يتجلى لغيره. اذ لو تجلى لغيره خرجت الوحدانية عن حقيقتها. مع كونه لولاه ما كان لي وجود. فقد اثبت لي وجوداً مستفاداً منه. وكذلك الشهود اثبته لي به. — وقوله: «لكن انا في الوجود فرد». اي كما لا يشبه شيء: فكذلك لا يشبهني شيء لكوني نسخة جامعة. «وانت في عالمي فريد». اي ليس لي في نسختي الجامعة: مع كثرة حقايقها ورقايقها: ما يشبهك. فانت منفرد عن كل شيء. — وقوله: «والفرد في الفرد كون عين» اي اذا ضربت الواحد في الواحد خرج واحد. فتنظر في الخارج: فان كان يناسبك فهو من الكون: وان كان يناسب الحق فهو الحق. اذ قد ظهر بحلة [مخطوط فيينا: بتجلية] الاهية لا تليق الا به. فالتجلي عام للخاص والعام. لانه ما ثم الا حق وكون. فالكون من تجلي الواحد للواحد. وبظهور [الاصل: وظهور] هذا الموطن كان الكون: فكان فيه المحجوبون. والتجلي الآخر للمخصوص. فالجميع في التجلي: والتجلي دايم: «وأينما تولوا فثم وجه الله. ان الله واسع عليم»!» [مخطوط الفاتح ورقة ٣٢]. —

٨٥٣) القابلية الكلية الجامعة هي اصل الاصول اي هي التعين الأول من رتب الذات التي يعبر بها عن النسبة العلمية الذاتية باعتبار تميزها عن الحق الامتياز النسبي من الحقيقي. وما وراء التعين الأول للواحد الحق الا التغيب والاطلاق. وصورة هذه القابلية الكلية الجامعة: وان شئت فقلت: القابلية الأولى — هذه الصورة هي التعين الثاني: الذي هو ثاني رتب الذات. وهي الرتبة التي تظهر فيها الأشياء وتتميز ظهوراً وتميزاً علمياً فقط لا عينياً. ولهذا تسمى هذه الرتبة: او هذه الصورة الكلية: بحضرة المعاني وبعلم المعاني. (انظر لطايف الاعلام: ٤٦ا — ٤٦ب). —

ا الاصل: رؤيه. — ب الاصل: روته. —

فتجليه . على (كلا) التقديرين : لرؤية ت نفسه . ولذلك قال — قدس سره !

(٤٥٠) «لولاه ما كان لي وجود» فقد اثبت وجوداً مستفاداً من الواحد . وهو المتعين : بحكم المغايرة : من وجه ليكون مرآة لجلائه ث واستجلائه ج . وكذلك اثبت له شهوداً به . فان الشهود[٨٥٤] متفرع عن الوجود . فاذا كان وجوده بالواحد : فشهوده لا يكون ايضاً الا به . ولذلك قال :

«نعم ! ولا كان لي شهود» ولما كانت للواحد احدية الجمع والوجود : وهو فريدٌ لا شبيه له فيها : وكان تجلي تجليه أحدية جمع القابلية : وهو ايضاً فريدٌ لا شبيه له فيها — قال :

(٤٥١) «لكن ح انا في الوجود فرد وأنت في عالمي في فريد»

فان اللبيب المستبصر بنسبة الحكم الوحداني : اذا ضرب الفرد في الفرد — قام له من ذلك فرد . فان لاحظ : اذ ذاك : غلبة حكم المتجلّى — كان الفرد البارز من ذلك «كون عيني» . وان لاحظ غلبة حكم المتجلي — كان الفرد البارز «كون الواحد المجيد» . ولذلك قال :

«والفرد في الفرد كون عيني او كونه الواحد[٨٥٥] المجيد»

---

٨٥٤) «الشهود هو الحضور مع المشهود . ويطلق ايضاً بمعنى الادراك الذي تجتمع فيه الحواس الظاهرة والباطنة وتتحد في ادراكها . والموجب لاتحاد الحواس الظاهرة والباطنة هو نور منبث من جناب الحق يمحو ظلمة حجابيتها ويقوم مقامها : فيرى الحق بنوره ويغني عن كل ما سواه بظهوره . وهذا معنى توحد القوى والمدارك» (لطايف الاعلام — مع شيء من التصرف — : ٩٧ب) . وانظر ايضاً حكمة الاشراق (فهرس الاصطلاحات : مشاهدة) واصطلاحات ابن عربي واصطلاحات الفتوحات ٢ /١٣٢ ؛ والفتوحات ٢ /٤٩٦ وما بعدها .

٨٥٥) «الواحد اسم الذات باعتبار انتفاء الاسماء عنها . وهو اسم الذات ايضاً باعتبار اتحاد الاسماء فيها ، وذلك من جهة كون كل اسم دليلاً عليها . فسميت الذات واحداً بالاعتبار الذي صار به الكل متوحداً في الدلالة عليها» (لطايف الاعلام : ١٧٥ب) وانظر الفتوحات ٤ /٢٩٣—٢٩٤ وفصوص الحكم (فهرس الاصطلاحات : الواحد ، الواحد العددي ، الواحد والكثير) وحكمة الاشراق (فهرس الاصطلاحات : الواحد) . —

ت الاصل : لروئه . — ث الاصل : جلاه . — ج الاصل : واستجلاه . —
ح ولكن P ؛ لاكن W . —

(شرح) تجلي العلامة[٨٥٦]

XCI

(٤٥٢) بريد علامة المنتهى الى المعرفة[٨٥٧] الغائية [1] . قال :

٨٥٦) أملاه ابن سودكين . «ومن تجلي العلامة . وهذا نصه . «علامة من عرف . . . . رأيت ابا بكر بن جحدر ، رحمه الله – تعالى ! » . – قال (جامعه) : سمعت شيخي يقول ما هذا معناه . علامة من عرف الله حق المعرفة أن يطلع على سره فلا يجد فيه علماً به – تعالى ! وذلك ان الناس تساووا في نفس الأمر في عدم [fol. 32b] العلم بالله – تعالى ! غير ان العارفين تيقنوا جهلهم حقيقة . فقطعوا بالدليل القطعي بجهلهم بالله – تعالى – هو عين معرفتهم . وأما غير العارفين . فليس جهلهم هذا الجهل ؛ بل جهل غفلة وقصور . فهذا هو الجهل بالله – تعالى ! – المحمود . وقد تحقق العارفون انه لا نهاية له ولا للمعرفة [الاصل : الا لمعرفة] تحقق ثبوتنا : الا المعرفة] به ؛ فكان الجهل لهم حقيقياً لا ينفكون [الاصل : ينفكوا] عنه . وأما الجهل بقدر الله – تعالى ! – فمذموم . وهو الجهل ببذل [الاصل : ببذ] الجهد [الاصل : الجهل] في حق الله – تعالى ! – وعظمته [الاصل : وعظمه وعظمته] وقدرته ، اذ عظمته وقدرته ظاهرة الدلايل . و(هناك) فرق بين ذاته وبين قدرته [الاصل : قدره] ودلايله. واعلم ان العارف [الاصل : العالم] لا يلتذ بمشاهدة ابدا . وذلك ، ان العارف اذا عرض ان وراء ما يتجلى له أمراً آخر أعلى [الاصل : اعلا] منه ، فانه لا يلتذ بما تجلى له . وهو يعلم (أيضاً) ان التجليات ، التي تبدو له ، لا آخر لها ولا نهاية ؛ فلو كانت عين مقصوده ما تغيرت ، اذ تلك العين لا تقبل التغيير . – واعلم ان اللذة امر طارئ [الاصل : طاري] ؛ وكذلك الألم . فيستحيلان على الحق – تعالى ! وقد تقرر ان العارف هو المتشبه [الاصل : المتشبه] بالحق – تعالى ! فكماله [الاصل : كماله] أن يتصف بعدم اللذة والالم في باب المشاهدة. فاذا حصل العارف في هذه الرتبة فهو الوارث الكامل ، المتشبه بربه . لانه كلما ورد عليه وارد ، كان همه متعلقاً بما وراءه [الاصل : بما وراه] ، مما هو أعلى [الاصل : اعلا] منه . فيكون ، في زمان ورود الوارد عليه ، مترقياً [الأصل : مترق] ايضاً ، غير واقف . والملتذ ، قيدته لذته في زمان ورودها عليه ، عن غاية الترقي ، في زمان تلذذه ، اما زمان فرد ، او ازمنة : فسبقه العارف ، الذي لم يقف ولم يتقيد باللذة ، في ذلك الزمان الذي تقيد فيه الملتذ باللذة ، سبقاً لا تقدره المسافات الزمانية لخروج الامر عن الزمان والمكان . – قال ابو يزيد ، رحمه الله – تعالى ! – اشارة الى هذا السر : «ضحكت زمانا وبكيت زماناً ! وانا اليوم لا اضحك ولا أبكي» . وهذا اشارة منه الى عدم التلذذ بسروره [الاصل : بسره] وتألمه (بألمه) . فالعارف سابق الى المعارف : في كل زمن و(في) كل نفس . لا يفوته زمان ولا نفس الا وقد حصل فيها [الاصل : فيه] معرفة . فلو قيدته اللذة في زمن فرد ، خلا [الاصل : خل] ذلك النفس عن معرفة . – فالعارف غني بلطيفته على الاطلاق ؛ فلو قيدته اللذة ، خرج عن حقيقة الغنى . فافهم ! – والعارف له لذة واحدة ؛ وهو بطبعه يدركها في جنته الحسية . والذي هو نازل عن هذه الرتبة ، له لذتان : لذة بلطيفته – وهو اللذة المذمومة – ولذة بحسه ؛ وهي التي شاركه فيها العارف . فللذة موطن محقق ومرتبة مخصوصة ، متى تعدى بها العارف محلها نقص في مرتبة خلافته ، فظلم في رعيته وخرج عن درجة الاستواء الى حضيض الميل . – ورأيت في هذا المقام ابا بكر بن جحدر الشبلي ، وقد استصحب بسره هذا المقام : وهو عدم الالتذاذ باللطيفة ؛ فتحقق مراتب الكمال . – والله يقول الحق – سبحانه ! » [مخطوط الفاتح : ٣٢أ–٣٢ب] . –

٨٥٧) المعرفة الثانية هي المعرفة الحقيقية و «هي المشار اليها بقوله – صلى الله عليه

1 الاصل : الغاية . –

« علامة من عرف الله ، حتى آ المعرفة ، ان يطلع على سرّه » اي غيبه الذاتي[٨٥٨] . الذي تنقلب عنه البصائر ب خاسئة ت . — « فلا يجد فيه علماً به » قطعاً . اللهم : إلاّ علمه بكونه لا يُعْلَم . — « فذلك » — الذي يَعْلَم قطعاً انه لا يُعْلَم ، هو « الكامل في « ث المعرفة ث » التي ج لا معرفة وراءها ح » فانه : في مناهج ارتقائه خ : علم الأسرار القابلة تتعلق الشهود بها : حتى انتهى الى سر هو محاق ادراك البصاير : فلم يَعْلَم منه الا انه لا يُعْلَم [f. 89a] .

(٤٥٣) « وفضل رجال الله : بعضهم « د على بعض د » : باستصحاب هذا الأمر ذ » اي باستمرار رجع بصايرهم عن درك غيب الذات : شهوداً وعلماً . فغاية ادراكهم : « العجز عن دركُ الادراك[٨٥٩] » . وهذه الحالة هي الغاية : فلا تتغير على العارف . وشأن ر ما ليس بغاية ان يتغير بانتبائه ز الى غيره . وفي هذا المقام : ترتفع اللذة والألم من العارف . فانه : اذ ذاك : على ما عليه الحق — تعالى ! — من عدم تغيره وتأثره بالعوارض . فكما يستحيل طروّهما على الحق ، يستحيل طروّهما على العارف . ومن هذا

وسلم ! : « من عرف نفسه عرف ربه » . فالمعرفة الحقيقية هي المعرفة الجامعة بين معرفة النفس ومعرفة الرب (وهي) مترتبة على المحبة الذاتية من المقام الاحدي الجمعي ، الذي هو غاية الغايات » . وقد يمكن ان يراد بالمعرفة الغائية المعرفة العيانية « وهي ما يحصل من الشهود لمن فجأه الحق بتجل غير منضبط او مكيف ، بحيث يستلزم ذلك الشهود وتلك المعاينة معرفة لم ترد على حال معين . وكان من شأن تلك المعرفة معرفته — سبحانه ! — انه بكل وصف موصوف وان له ظاهرية جميع الصور والحروف ، جمعاً وفرادى وتكثراً وتوحداً . يقبل بالذات من كل حال كل حكم ، ويظهر بكل اسم ، ويتسمى ، من حيث كل شأن من شؤونه التي لا تتناهى ، بكل اسم ؛ لا ينحصر في عرفان ونكرة ؛ ولا يتنزه ، من حيث ذاته ، عن امر نسبة التركيب اليه : كالبساطة والاطلاق والتقييد والاحاطة . وحدته : وحدة وكثرة . (وحدة) جامعة بين ما يباين ويوافق ، ويناني ويخالف ... » (لطايف الاعلام ١٦٣ب) . وانظر ايضاً المنازل للهروي : ٢٠٨–٢١١ والفتوحات ٢ /٢٩٧–٣١٩ .

٨٥٨) الغيب الذاتي هو كناية عن غيب الهوية الذي هو عبارة عن اطلاق الحق باعتبار اللاتعين. وهذا الغيب الذاتي هو ابطن كل باطن وبطون، لانه لا يشهد ولا يعلم ولا يفهم ولا يدرك. ادراكه عدم ادراكه. وكما يقول الشارح نفسه : تنقلب عنه البصائر خاسئة . (من لطايف الاعلام بتصرف : ١٣٠ا) . —

٨٥٩) انظر ما يخص هذه الكلمة ما تقدم تعليق رقم ٧٧٨ وتعليق رقم ٢٧٠ . —

آ حتى ـه HKW . — ب الاصل : البصار . — ت الاصل : خاسية . — « ث — ث » — HK . — ج الذي HK . — ح وراها W ، وراه K . — خ الاصل : ارتقاه . — « د — د » بعضاً KH . — ذ + على السر HKW . — ر الاصل : وشان — ز الاصل : بانتباه . —

المقام : ما قال العارف ابو يزيد البسطامي[٨٦٠] — قدس سره ! : «ضحكت وبكيت زماناً . وانا اليوم لا اضحك ولا ابكي[٨٦١] ! » —

ثم قال الشيخ المحقق : «وفي هذا التجلي رأيت ابا بكر بن جحدر»[٨٦٢] الشبلي ، رضي الله عنه ! بمناسبة تحققه بهذه الغاية واستصحابه بسر هذا المقام . —

---

٨٦٠) هو طيفور بن عيسى بن سروشان من اهل بسطام توفي عام ٢٦١ او ٢٣٤ ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي ٦٧-٧٤ وميزان الاعتدال ١/٤٨١ ومرآة الجنان ٢/١٧٣ وسير اعلام النبلاء ٩/١١٨ا ووفيات الاعيان ١/٣٠١ والبداية والنهاية ١١/٣٥ والرسالة القشيرية ١٧ وطبقات الشعراني ١/٨٩-٩٠ وصفة الصفوة ٤/٨٩-٩٤ والحلية ١٠/٣٣-٤٠ وشذرات الذهب ١٤٣ ونصوص لم تنشر ٢٧-٣٣ واصول الاصطلاحات الصوفية لماسنيون ٢٧٣-٢٨٦ ومقالة المستشرق الكبير ريتر في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة ثانية ١/١٦٦-١٦٧) وخاصة المصادر العديدة الملحقة بالمقالة .

٨٦١) النص بكامله في الفتوحات : «قيل لابي يزيد : كيف اصبحت ؟ فقال : لا صباح لي ولا مساء . انما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة ؛ وانا لا صفة لي . فاني ضحكت زمانا ...» ٤/٤٠ . وهذا النص يذكره مراراً ابن عربي تارة كاملاً وتارة مقتضباً» انظر مثلاً الفتوحات ١/٨٣-٨٤ ؛ ٢/١٨٧ ؛ ٣/٨٥ ؛ ٤/٩٧ ، ٣١٩ . —

٨٦٢) ويقال : ابن جعفر (انظر طبقات الصوفية للسلمي ٣٣٧) هذا ، وترجمة الشبلي قد ذكرت فيا مضى في تجلي رقم ٦د تعليق رقم ٦٦٦ . —

(شرح) تجلي من أنت ؟ ومن هو ؟[٨٦٣]

XCII

(٤٥٤) قال ، قدس سره :

---

٨٦٣) املاء ابن سودكين . «ومن تجلي من انت ؟ ومن هو ؟ ستة ابيات :

« لست انــا ولست هو . . . .
« . . . .
« . . . .
« . . . .
« . . . .
« . . . . كذاله بــه لــه »

قال جامعه ، الممنون عليه باستجلاء هذه الانوار الاخية [الاصل : الالاهية] من ثغور الفهوانية ، عند تبسمها من الحضرة الخطابية ، نفع الله به : سمعت شيخي — سلام الله عليه ! — الراسخ ، المتمكن ، لسان الحقايق ، واعجوبة الخلايق ، والمجموع في مقامه ما تفرق لأولياء الارث المحمدي من الرقايق ، وانا بشهادته لي شاهد وواثق — [مخطوط ثينا: ÷نظم :]

لـمـا دخلت بــه عليه فلم يكن للباب غالق
وشهدت صحــة ارثه وعلم ذلك علم ذايق
وهجرت فيه شقيق روحي حين كان هو المشاقق
ولقيت عذل الخافقين فكان قلبي غير خافق
وانا الحظي بما منحت ويجده عن ذاك شاهق
لكن شكرت بما ذكرت مؤداه لمرشد رازق —

يقول ما هذا معناه : « لست انا » ، البيت . هذا استفهام تقدمه الخبر . فنفى ان يكون انت انت ، وان يكون هو هو ، وان تكون انت هو . لانــه من كان وجوده بغيره ، فليس له وجود محقق . ولست انا الحق . ومع هذا ، (ف)قد ثبت عين وجود العبد مع هذا النفي ، بحيث لا يمكن (ان) تلحق [الاصل : بحيث لا يمكنه يلحقها ، مخطوط ثينا : لا يمكن يلحقها] بالعدم . — ثم قال : اذا لم يكن لي ، من حيث حقيقتي : انية وها انا اشهد الانية ، فاياك ان تقول [الاصل : تكون] : انيّ انية الحق ! وليست [الاصل : ولست] تكون . اذ ليس للعبد استقلال بالوجود ، وكنا [الاصل : وكنا] هو في امكان الوجود ، فكأنه واقع . فقال : لست ايضاً الحق ، فاني مفتقر ايضاً بحقيقتي ، وهذا الوصف لا تقبله حقيقة الحق . واعلم ان حضرة الالوهية تنطلق على الذات والصفات والافعال ، والعبد داخل في الافعال . — البيت الثاني : « فيا هو ، قل : انت انا ! » — مخاطباً جناب الحق . يقول : يا اخي ، قل : يا عبدي ، انت انا . فانه بقولي [الاصل : بقول] لا يثبت ذلك ، وبقولك لي : يا انا ، يثبت لي انية . فارجع اقولها بقولك ، لا بقولي : فيكون القول لك ، لا لي . كما اخبر جبريل — عليه السلام ! — عن اخبار الحق : « كنت سمعه وبصره » ، الحديث . فبالنظر (الى) يلزمني الادب وتقتضي به عبوديتي ، وبالنظر الى تنزله الى وجودي ، بقوله : « كنت سمعه وبصره » ، الحديث ، كان لي وجه في قولي : انا انت ، لانه وصف نفسه بانه مجموعي عند

« لستُ أنا ولستُ هو ا » اي ليس لي من ذاتي تحقق وانية[٨٦٤] حتى اكون انا بذلك « انا » . فان تحققي بالحق لا بي . — « ولستُ هو » ايضاً . فان حقيقتي على وصف الحدوث والعبودية والافتقار ؛ والحق : منزه ان يقبلها بكوني عينه . فلما وقعت الحيرة في تحقيق الأمر . قال :

« فمن أنا ؟ ومن ب هو » يقول : اذا لم يكن لي تحقق[٨٦٥] من ذاتي . فلمن هذه الانية التي اشهدها واحقق وجودها ؟ واذا لم اكن انا « هو » . فمن الذي هو : في تحققي ؛ عين « هو » . اذ لا بد لي : في تحققي .

اطلاقه ذلك . — ثم قال ؛ في بقية البيت : « ويا انا هل انت هو ؟ » . ما قال قل : انت هو : تخوفه من التنفس عند سماعها انه (=تعالى !) « سمعها وبصرها » . ان تدعي ذلك حقيقة . فسأل بالاستفهام : هل انت هو ؟ وهل وقفت ؛ عند قول الحق : انا انت ؛ فانه اثبتها بالخطاب فيرى هل وقفت مع الاضافة؟ ام وقفت مع حقيقتها العدمية ؟ لينبهها لنظر الحقيقي . ففهمت الاشارة فقالت . بلسان التحقيق ؛ ما ذكره ؛ وهو : « لا ؛ وأنا ما هو انا » ؛ البيت . اعلم انه ان وقفت مع « الثناء » ؛ في قوله : « كنت سمعه وبصره » ؛ غبت به عنك ؛ وان وقفت مع « الهاء » في « سمعه وبصره » ؛ غبت بك عنه . فاذا غبت به عنك ؛ فمن كونه قال لك : انا انت . اي لا تعتقد ان لك وجوداً بل [الاصل : بك] : « انا انت » ؛ اي لا وجود لك [fol. 33b] من حيث انت : فلا « انت » . « فالأنت » عندك انما هو نسبة خاصة . وان نظر العبد الى مجموع قوله : انا انت ، ولم يقف عند قوله : انا ؛ او قوله : « كنت » ؛ فمن هذا النظر يثبت نفسه ويقول : « انا الحق » ! فيكون مستّبلكاً [الاصل : مستّبلك] نازلاً [الاصل : نازل] . والعارف يقول : انا بالحق ! — و(اما) قوله ؛ في نصف البيت (الأخير) : « ولا هو ما هو هو » ؛ (ف)لأنه لما سقط « الأنا » ؛ سقط « الهو » ؛ لان « الهو » (انما) يثبت في قبالة « الأنا » ؛ وقد عدم « الأنا » منك وهو هويتك » ؛ واذا عدمت هويتك فمن يشير ويقول : هو . فلا يصح « الهو » مع قوله : « انا انت » ! — ثم قال في البيت الرابع : « لو كان هو ما نظرت » ؛ البيت . اي ما كانت تنظر ابصارنا ونحن نبصره وراءه . لكن قوله : « وابصارنا به له » ؛ فيه الأدب الذي يشير الى نفي « الانية » العبدية : فبقي لم يره غيره . ثم رجع الى موطن التحقيق فقال : « ما في الوجود ... » البيت . اي ما في الوجود المشترك غيرنا ؛ اذ فيه يثبت « الانا » باثباته له . واما الوجود الحقيقي : فما فيه الا « هو » : فهو « هو » . ف(هذا حكم ال) « هو » الأول ؛ واما « الهو » الثاني فهو الذي اثبته لعبده . ثم قال : « فمن لنا بنا » ، اي من اين لنا الاستقلال ان نكون موجودين لانفسنا ؛ كما انه « هو » موجود لنفسه لا لغيره ؟ فالجواب : ان هذا لا مصحح فيه ابداً ؛ ولا يدخل تحت الامكان . — والله يقول الحق ! » [مخطوط الفاتح : ٣٢ب–٣٣ب] . —

٨٦٤) انظر معنى الانية عند الشارح في مطلع التجلي الخاص وتعليق رقم ٣٣٠ . —

٨٦٥) التحقق او التحقيق في العرف الصوفي (عند ابن عربي واتباعه) « هو عبارة عن رؤية الحق في اسمائه . فان من لم ير الله كذلك ؛ فهو اما محجوب برؤية الكون عن العين وبرؤية الخلق عن الحق ، او مستّبلك في العين عن الكون وفي الحق عن الخلق ... » (لطايف الاعلام ٤٣ب–٤٤ا.) وانظر الفتوحات ٢ /٢٦٧–٦٨ ومنازل السائرين ٢١٦–١٨ . —

ا ٠ W . —   ب ÷ ٠ PW . —

من « هو » . فان التحقق ، على مقتضى : « كنت له سمعاً وبصراً ويداً » ، له لا لي . — ثم خاطب ، عند تردده في تحقيق الأمر . جناب « هويته العليا »[٨٦٦] . التي هي عين ما بطن وظهر فقال :

(٤٥٥) « ياب « هو ث » هل ث أنت « أنا » ؟ » اي هل انت . من حيثية تحققي بك . « انا » ؟ والحق . اني بدون كونك . الذي هو عين تحققي . لا « أنا » .

« ويا ج « انا » هل ح انت « هو[٨٦٧] » ؟ » اي هل انت ، « يا أنا » ، من حيث حقيقتك وحكم تعينك . عينُ « هوية الحق » . الذي هو كونك بكون سمعك وبصرك ويدك ؟ أو غيره ، من هذه الحيثية ؟ لا جائز لك أن تكونَ ، من حيث حقيقتك العدمية ، « هو » . فأجاب منبهماً بما فيه مزيد التحقيق فقال :

(٤٥٦) « لا ! و « أنا » ما هو « انا » فان كوني هو عينُ من هو . سمعي وبصري ويدي ؛ فلا يثبت لي تحقق اكون به « انا » . فان قلتُ ، من حيث كوني به وعدميتي في حقيقتي : « انا ، هو » — لا اقول حقاً . فقولي : « انا » ، من هذه الحيثية العدمية ، ساقط . واذا سقط « انا » ، سقط « هو » . فان « هو » غيب على « أنا » لا على نفسه . فهو لا « هو » بالنسبة الى نفسه ، ولا « هو » بالنسبة الى ما سقط . ولذلك [f. 89b] قال :

« ولا « وهو » ما هو « هو » »

ثم قال : ان « هو » اذا لم يكن غيباً على نفسه ، فحيث نشاهده ونراه به لا بنا — لا يكون غيباً علينا . فهو ، من هذا الوجه ، ليس بغيب على نفسه ولا بغيب علينا . ولذلك قال :

---

٨٦٦) « الهوية هي الحقيقة في عالم الغيب . والهوية (هي) الذات من حيث غيبها » وهناك ما يسمى « بالهوية الكبرى » او « الهوية المحيطة » وهي « حقيقة الحقايق وهي « الهوية » المحيطة بجميع « الهويات » وهي « هيولى الهيولات » . (لطايف الاعلام : ١٧٤ ب) . وانظر اصطلاحات الفتوحات ٢ /١٣٠ . —

٨٦٧) « الهو » هو الغيب الذي لا يصح شهوده ويطلق « الهو » ويشار به الى الذات التي هي « الكل » في « الكل » (لطايف الاعلام : ١٧٤ب وانظر اصطلاحات الفتوحات ٢ /١٢٩) . —

ب ‌‌ يا HKW .— ت « HKP .— ث قل HKW .— ج او KW .— ح هو KW .—

«لو كان «هو» ما نظرت ابصارنا به له»

ثم انتقل العارف الى طور آخر في التحقيق فقال :

٤٥٧) «ما في الوجود غيرنا : «انا» و«هو» و«هو» و«هو»»

يقول : ان النظر . في حال الوجود . نظران : نظر الى اشتراكه . ونظر الى تمحضه . فهو . باعتبار الأول . مشترك بين «انا» وبين «هو» . غير ان ثبوته لـ«أنا» انما يصح بكونه «هو» . فبالنظر الى اشتراكه : «انا» و«هو» . وبالنظر الى تمحضه : فـ«هو» و«هو» . فافهم ! — ثم انتقل الى موطن آخر في التحقيق فقال :

(٤٥٨) «فمن لنا بنا لنا» أي مَنْ منَ المحققين . الفائزين بتحقيق ما هو الأمر عليه ، منّا ان يقول : إن وجودنا ليس بمفاض علينا . بل يقول : ان تحققنا بنا استقلالاً لا بالحق ؟ —

«كما له به له[٨٦٨]» أي كما ان وجوده له — تعالى ! — بذاته استقلالاً ؛ وهل للممكن مطمع ان يكون وجوده لذاته ؟

---

٨٦٨) هذه الابيات الستة مذكورة برمتها في الفتوحات (١/٤٩٦-٩٧) وهي مصدرة بهذه الجملة : «ولا معنى للاتحاد لا صحة النسبة لكل واحد من المتحدين مع تميز كل واحد عن الآخر في عين الاتحاد : فهو هو ما هو هو . كما قلنا في بعض ما قلناه في هذا المعنى ، في حال غلب علي :

«لست انا ولست هو . . .

(شرح) تجلي الكلام[٨٦٩]

XCIII

(٤٥٩) يريد خطاباً[٨٧٠] خاصاً يرد على القلب. حالة ارتفاع الوسائط ا
والحجب بينه وبين الحق. — قال: «اذا سمع الولي موقع الخطاب الاخي ب
من الجانب الغربي[٨٧١]» المكنى به عن مورد الاسرار الغيبية الذاتية. ولذلك اذا سمع هذا الخطاب الخاص من غير واسطة — ذهب عنه بالفناء ما له: وبقي ما للحق بسماع الخطاب. فيصير دور الخطاب: حقيقةً: منهُ إليهِ. ولهذا قال: «فما بقى له رسم[٨٧٢]» أي أثر مما له. كي يسمع خطاب الحق من وراء حجابه.

---

٨٦٩) املاه ابن سودكين. «ومن شرح تجلي الكلام. وهذا نص التجلي. «اذا سمع الولي موقع .... بمشاهدة التقديم عيناً أو خطاباً». — قال جامعه: سمعت شيخي سلام الله عليه! — يقول ما هذا معناه. «موقع الخطاب الاخي»: يريد به الخطاب الخاص بارتفاع الوسايط. ولهذا أشار إلى الغرب: كناية عن موضع الأسرار الغيبية. فاذا سمعه الولي من قبله: بغير واسطة الملك: فما بقي له رسم: أي أثر عند نفسه: لأنه أفنى عن نفسه لادراك مواقع الخطاب. — قوله: «لكن بقي له اسم»: اي ما يدرك به. — قوله: «كما بقي للعدم اسم» بغير مسمى له وجودي [الاصل: وجود]. اي ان العدم قبل الاسم مع عدم عين موجودة له. ولذلك يقال: سميع او بصير: او ما شئت من اطلاقات (الاصل: الاطلاقات) التعريفات اللفظية في حق العبد: وليس تحت ذلك اللفظ ما يدل عليه. — قوله: «ثم افنى الاسم عن الاسم»: اي أفنى عن نفس الاسم اللفظي وهو فناؤه عن كونه «سميعاً»: فلا يرجع يعرف انه سامع (الاصل: سامعاً). فعندها يخاطب الحق نفسه: فكان متكلماً سامعاً. والآثار تظهر في الولي ظهور الوشي في الثوب [fol. 34a] الموشى. فكما انه ليس عند الثوب علم بما رقم الراقم فيه: كذلك ليس عند العبد علم بما ظهر فيه من الآثار. فالحق هو المتكلم وهو السامع. فالآثار تبدو منه: والعبد محل لظهورها فقط. فالفايدة للعبد: وجميع الافعال له — تعالى! —». [مخطوط الفاتح: ٣٣ب—٣٤ا]. —

٨٧٠) قارن تعريف «الكلام» هنا بما يذكره ابن عربي عن «الكلام» فتوحات ٢/ ١٨٧ وكلمة الحضرة ٢/١٢٩، ٤٠١ (وما بعدها) ولطايف الاعلام: الكلمة، كلمة الحضرة، الكلمة الغيبية المعنوية، الكلمة الوجودية: ورقة ١٤٣ا—١٤٣ب.

٨٧١) مجرد اشارة الى آية رقم ٤٤ من سورة القصص (رقم ٢٨). — والجانب الغربي أو مغرب الشمس: يرمز به الى «استتار» العين بتعيناتها او استتار الحقيقة بملابسها او بطون الذات في مظاهرها...» (لطايف الاعلام: ١٦٣ب—١٦٤ا). —

٨٧٢) «الرسم هنا هو كل ما سوى الله: لان كل ما سوى الله هي آثار عنه. فان الرسوم في الديار هي الآثار التي تحصل عن سكانها...» (لطايف: ١٨٣ا) وانظر الفتوحات ٢/١٣١، ٥٠٨. وما بعدها. —

ا الاصل: الوسايط. — ب الالاهى W. —

« لكن ت بقي له اسم » يدل على ما ذهب عنه من رسمه ؛ « كما بقي للعدم اسم بغير مسمى له وجود . ثم » اذا استمر حكم هذا التجلي : « أفني الاسم عن الاسم » بخطاب الحق نفسه بنفسه . فذهب اسم «السامع» عن الولي بثبوته للحق . فكان الحق ؛ حائنئذ ؛ متكلماً ، سامعاً . ولذلك قال : « فلم يكن للاسم حديث من الاسم » اي من نفسه في تعريف ما ذهب عن الولي من رسمه وأثره . ففي الأول ؛ أخذ عنه ما له من الوجود المضاف اليه ؛ فبقي الاسم ؛ بلا مسمى له وجود ؛ دليلاً على ما أخذ عنه . ثم أخذ الاسم عنه ؛ ليدل على كون الحق سامعاً لخطابه . — فهذه « صنعة مليحة » بما ينتج هذا الاخذ للولي . ثم قال : « ثم خاطب نفسه بنفسه فكان متكلماً ، سامعاً . »

« والآثار ث » أي آثار الخطاب والسماع بلا سماع ؛ — « تظهر في الولي » الفاني عن اسمه ورسمه .

(٤٦٠) «فآثار ج تلوح على وليّ ظهور الوشي في الثوب الموشى»

اذ الثوب لا يشعُر بما فيه [f. 90a] من الوشي . فلهذا لا علم للولي بما ارتسم فيه من آثار خطاب الحق وسماعه من نفسه . فالخطاب والسماع ؛ من الحق ؛ والفائدة للولي الذي أفناه شهودُ مَنْ كلامُه عَيْنُ شهوده ؛ وشهوده عَيْنُ كلامه .

« وكيف ح للمحدَث بشاهدة القديم عيناً او خطاباً ؟ »

اي بمشاهدته حالةَ كونه معايناً أو مخاطباً .

ت لاكن W. — ث والاثار KW. — ج ماثار W، فاثار K. — ح كيف HKW.

(شرح) من ا تجليات الحيرة[٨٧٣]

XCIV

(٤٦١) اذا حكم الواجد ، حالة الحيرة[٨٧٤] ، على مشهوده بحكم — يجده ، في عين ذلك الحكم ، على حكم آخر ؛ ويستمر وجدانه على هذا المهيع ما دام هو في الحيرة . كمن حكم على الحرْباء بلون — فيجده ، في عين ذلك اللون المحكوم به عليه ، على لون آخر ؛ فلم تثبت (الحرْباء) لعين الباصرة نحة على لون . —

(٤٦٢) قال ، قدس سره : « كيف تريد ان تعرف بعقلك مَنْ ب مشاهدتُه عَيْنُ كلامه ، وكلامُه ت عَيْنُ مشاهدته ؟ ومع هذا ، إذا ث أشهدك ، لم يكلمك ؛ وإذا كلمك ، لم يشهدك ! » يقول : ان الشهود

٨٧٣) املاء ابن سودكين . « ومن شرح تجلي الحيرة . وهذا [الاصل : هو] نصه « كيف تريد ان تعرف بعقلك .... وبعد ذا اهتكوه ! » . — قال جامعه : سمعت شيخي يقول ما هذا معناه . كيف تحب ان تعرف بعقلك من جمع بين الاضداد ؟ وشرح هذا التجلي فيه . لان الحيرة لا تقبل الشرح ! اذ لو شرحت ، ما كانت حيرة . — قوله : « قد فزت بالتحقيق في دركه يا عابد المصنوع بن نحته » اي أصبت وجه الحق في نفس الأمر ، واتبلت على أمر ثبوتي . وذلك ، ان الحق — تعالى . — وإن كان منيع الحمى عزيزا ، فقد انزل نفسه الى عباده منزلة في غاية النزول ، وهذا غاية النزول الاخي ، من باب الرحمة الى العبيد . فلما رأينا أنا [الاصل : أن] نحن خلق (الاصل : خلقنا والتصحيح من مخطوط فينا وبرلين) له ؛ ومع ذلك ، قد توجه الينا توجهاً مخصوصاً حتى كأنا قد تعبدناه بذلك . بحيث يقول : « سنفرغ لكم ايها الثقلان » ؛ « وكل يوم هو في شان » ؛ فما رأيناه قط إلاّ مشغولاً بنا . فلهذا قلنا : « فزت بالتحقيق » ، لانك اوجدت شيئاً واشتغلت به ؛ كما انه (-تعالى-!) أوجدنا واشتغل بنا ، مع كونه له النزاهة المطلقة . وكذلك تجلت هذه الحقيقة لهذا الناحت ، فاظهرت فيه حكمها على غير علم منه بالحقيقة المنزّرة . (ولكن) عرف ذلك (فقط) العارفون باحكام الحقايق . ولما لم يعرفها الناحت ، تعلق به الذم وأورثه ذلك الشقا(ء) لجهله بالأثر وبالنسبة . — ثم قال في البيت الآخر : « اين انا منك ؟ وانت الذي تخاطب الصامت من صمته » اي ليس ذلك في قوة أحد ان يكون عين الصمت عنده (هو) عين الكلام . فنفس صمتك (الاصل : صمته والتصحيح من مخطوط برلين] (هو) نفس خطاب الحق لك : فعين الصمت (هو) عين الكلام . — وليس في هذا التجلي اشكل من هذين البيتين ، فلذلك وقع الاختصار على بعض وجوه شرحيها . وبالله التوفيق [مخطوط الفاتح ورقة ٣٣ب-٣٤ا] . —

٨٧٤) انظر ما تقدم تجلي رقم ٢١ و٥٤ و٥٩ و٦٦ و٦٨ و٦٩-٧١ و٧٥ و٧٧ وانظر الفتوحات ١/٢٧٠-٢٧٢؛٤/٤٢-٤٣ وفصوص الحكم ١/٧٨،١١٢؛٢٠٠/٢: ٤٠-٤١؛٤٢؛٥٤، ٢٩٧ (حيرة المحدي: ١/٧٣) . —

ا ومن HKW . — ب + عين HKW . — ت وعين HKW . — ث فاذا HK ، ماذا W . —

عَيْنُ الكلام ؛ ولا شهود ؛ اذا كان الكلام ؛ ولا كلام ؛ اذا كان الشهود ! فالضد ، في الحيرة ؛ عَيْنُ ضده ؛ وحالة كونه عينَه ، ليس عينَه ! فأين العقل من هذا المدرك العجيب ؟

فللحائر ان يقول للعاقل : « بالله ! تدري ج ما اقول ؟ — لا ؛ بالله ! ولا انا ادري ما أقول . » يريد دراية تدخل تحت ضابطة العقل . —

(٤٦٣) « كيف يندري ح من يقبل الاضداد في وصفه ؟ » كما ذكرنا آنفاً . — « ويقبل التشبيه في نعته ؟ » اي في عين تنزيهه عنه . فما نُصّ في عالم البيان على التنزيه ، من نحو : « ليس كمثله[٨٧٥] شيء خ » — إلاّ أفاد التشبيه . وما نُصَّ على التشبيه ، من نحو : « وهو السميع[٨٧٥] البصير » — إلاّ افاد التنزيه . — ثم قال : « هيهات ! لا يعرفه غيره » فمَنْ ذاق هذا المشرب العذب ، انما ذاق بالحق لا به . —

« والفوق ، تحتَ التحت ، من تحته ! »

إذْ لَهُ — تعالى ! — فوقية ، ذاتية ، نزيهة . بما يقال عليه : « وهو القاهر فوق عباده[٨٧٦] » ؛ لا من نسَب الجهات . فاذا اعتبرتها ، مع ما له جهةُ الفوقية ؛ حقيقةً — كجرم العرش مثلاً — وجدتَ فوقيته ، بالنسبة الى الفوقية الذاتية ، تحت التحت حتى من تحته . المقول عليه : « لو دلّيتُم بحبل لهبط على الله[٨٧٧] » . — كأنه يقول : ان نسبة الجهات : المتقابلة بالفوقية والتحتية ، لمن جمع فيه بين الضدين — مطموسة . فما له الفوقية ، بالنسبة اليه — تعالى ! — هو ، تحت التحت ، من تحته . ان كان هو ممن يقبل التحتية ، على وجه قبل الفوقية . —

(٤٦٤) ثم قال : « قد فزتَ بالتحقيق في دركه يا عابد المصنوع من نحته » = يقول : ان الحق — تعالى ! — منزّه ان ينسب الى صورة وجهة ، او تنسب الصورة والجهة اليه . ولكنه — تعالى ! — رحمةً على عباده ، تنزل بأدنى تجلياته ، [f. 90b] المقول عليها : تارةً : « مرضتُ وجعتُ

٨٧٥) آية رقم ١١ من سورة رقم ٤٢ . —
٨٧٦) آية رقم ١٨ و ٦١ من سورة رقم ٦ . —
٨٧٧) انظر ما تقدم تعليق رقم ٧٢١ .

ج لا ترى H ؛ تدرى K . — ح تدري H ؛ يندري K ؛ ÷ شعر (على الهامش) W . — خ الاصل : شي . —

وخدمت[٨٧٨] » . وتارةً : « كل يوم[٨٧٩] هو في شأن د » و« سنفرغ لكم : أيها الثقلان[٨٨٠] » . حتى انك واجده في قلبك : حين صليت ؛ وفي الكعبة : حين توجهت اليها . وفي العموم : على مقتضى : « اينما تولوا فثمّ وجه الله[٨٨١] » . وفي الخصوص : على مقتضى « انا عند المنكسرة القلوب . والمندرسة القبور ! » . — ولذلك قال (الحق) لعابد الوثن : « قد فزت بالتحقيق » ؛ من وجه اشتغالك بما هو فعلك : كاشتغاله بما هو فعله . فان قوله (— تعالى ! —) « سنفرغ لكم » مشعر بهذا الاشتغال . وانت تعبد : في اشتغالك ، الالهيةَ في الحقيقة . حيث سميته بالاله . والالهية . في الحقيقة . قبلةُ العبودية مطلقاً . وهي للحق المتجلي في كل شيء خ : لا لمنحوتة . فخطأ ذ عبدة الأوثان ؛ من حيثية نسبة الالهية الى الصورة المنحوتة . وحصرها فيها : لا من حيث كونهم عبدوا الالهية . قال — تعالى !

---

٨٧٨) اختصار حديث مروى في الاحياء والفتوحات وجذوة الاصطلاء . وهو في الأحياء : يسوقه الامام الغزالي بمناسبة حديث الصورة : « ان الله خلق آدم على صورته » . فيقول : « فظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس : فشبهوا وجسموا وصوروا ... واليه الاشارة بقوله — تعالى ! — لموسى : عليه السلام : « مرضت فلم تعدني . فقال : يا رب ! وكيف ذلك ؟ قال : مرض عبدي فلان : فلم تعده ؛ ولو عدته : لوجدتني عنده » (احياء ٤ /٣٠٧) وفي الأحياء ايضاً (٢ /٩) : « وفي الخبر : يقول الله للعبد يوم القيامة : يا ابن آدم ، جعت فلم تطعمني . فيقول : كيف اطعمك ، وانت رب العالمين؟ فيقول : جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ... » ويعلق الشيخ العراقي على هذا الحديث فيقول : اخرجه مسلم من حديث ابن هريرة ... » نفس الصحيفة تعليق رقم د . —

وفي الفتوحات بمناسبة التشبيه والتنزيه (طرفي الحقيقة الوجودية) : « ورد في الخبر ان الله يقول : يا عبدي ! مرضت فلم تعدني . فيقول : يا رب ، كيف اعودك ، وانت رب العالمين ؟ فقال : يا عبدي ، اما علمت ان عبدي فلاناً مرض ؟ فلم تعده ؛ أما أنك لو عدته : لوجدتني عنده ! » (فتوحات ٣ /٣٠٤) . وفي الفتوحات ايضاً (٤ /١٥٥ ؛ وصية رقم ٨) : « ان هذا الحديث صحيح وهو مروي عن مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز عن حماد عن سلمة عن ابي رافع عن ابي هريرة عن الرسول » . وهو في كتاب جذوة الاصطلاء مذكور في مبحث « الجمع والتفرقة » :

... وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ! يقول الله : مرضت فلم تعدني . قال : يا رب ، كيف اعودك ، وانت رب العالمين ؟ فيقول : اما علمت ..... » (جذوة الاصطلاء ورقة ١٧٧ا) . هذا ، ويوجد شبيه هذا الاثر بالنص في انجيل متى فصل رقم ٢٥ /٣٥–٤٥ ؛ واعمال الرسل ٩ /٥ وانجيل لوقا ١٠ /١٦ . —

٨٧٩) آية رقم ٢٩ من سورة رقم ٥٥ . —

٨٨٠) آية رقم ٣١ من سورة رقم ٥٥ . —

٨٨١) آية رقم ١١٦ من سورة رقم ٢ . —

د الاصل : شان . — ذ الاصل : فخطاه . —

« وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه[٨٨٢] ». فالحصر افاد ان العبادة لم تكن إلاّ للالهية : سواء عرف ذلك او لم يعرف. فلو عرف. لكان اعتقاده نظير اعتقاد من توجه في صلاته الى الكعبة. غير انه كان يخرج، في هذا العقد والعبادة، عن حدّ التوقيف. اذ ليس للانسان ان يتوجه اليه — تعالى! — في عبادته حيث شاهد وجهه. وتحقيق ما قصد — قدس سره! —، في معنى البيت، في حجاب الغموض عن افهامنا، وحيث جهلناه، فالقصور منا. —

ثم قال: « أين انا منك وانت الذي تخاطب ذ الصامت في ر صمته ز »

هذا ايضاً من مهيع الجمع بين الضدين، في طور هو وراء طور العقل. اذ ليس في قوة احد ان يكون عينُ صمته عين كلامه إلاّ هو — تعالى! كما ليس في قوة احد ان يكون « آخراً » من حيث كونه « أولا »، و « ظاهراً » من حيث كونه « باطناً ».

(٤٦٥)ثم قال: «هكذا س يُعرف الحبيب ومن ش لم يعرف الله هكذا ص فاتركوه

اي أهملوا امره ولا تتتدوا به فان معرفته ناقصة لا يعبأ بها. — ثم قال:

« خضعوا لي فتحرّ قلبي اليهم . وأتى ص بابهم فـــا تركوه »

يقول: انهم أظهروا لي، في مبادئ الاحوال، آثار العناية، المشعرة بحسن حالي عندهم في المسابقة. فأرسلوا اليّ رسل الانوار، الساطعة من بطائن غيوب محتدي، تترى، حتى تلبف قلبي في مشاهدتها اليهم.

---

٨٨٢) آية رقم ٢٣ من سورة رقم ١٧. — هذا، وانظر ما تقدم قول الشارح في مطلع تجلي رقم ٩٠ والتعليق بكامله. وانظر ايضاً كتاب المسائل لابن عربي مسألة رقم ١٣ و ١٤ وكتاب الالف (ص. ٣ ط. حيدرباد). وهنا نجد الاساس الغيبي لفكرة وحدة الاديان بناءً على مبدأ وحدة المعبود (وهو الالوهية) في كل ما عبد. وهي فكرة قد نطق بها الحلاج في قوله المشهور: « لكل عبد وثيقة » (عن تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية لماسينيون ص. ٩٦) وعبد القادر الجيلاني: « ما في الساحل منهل مستعذب الاولى فيه الاله الاطيب » (نفس المصدر المتقدم والصفحة) وابن عربي نفسه يقول:

عقد الخلائق في الاله عقائداً وانـا عقدت جميع مـا عقدوه

(فتوحات ٣/١٣٢)

وهذه الفكرة هي منبثقة عن مبدأ وحدة الوجود او هي مظهر تطبيقي له في صعيد الدين وصلة المخلوق بخالقه في دائرة العبادة.

ذ يخاطب K. — ر من HKW. — ز + وقد قيل في هذا المعنى HK. — س هاكذا W ؛ هكذى K. — ش من W ؛ ٠ KH. — ص واما K. —

فسَرَّ قاطعاً مسافة السير الى الله حالتئذ. فأتى بأبهم : الذي هو مطلع غرة سيره في الله. فما تركوه على وقفة : تشعر بالمنع والحجاب. —

ثم قال : «مَلّكوه حتى اذا هام فيهم ملّكوه وبعد ذا اهلكوه[٨٨٣]»

اي اعطوه القوة الالهية ؛ حتى شاهد [f. 91a] بها الحق في تنوع تجلياته ، المتواردة عليه مع الانفاس. حتى اذا هام في شهودها واستمر في الهيمان : ملّكوه بارسال البارقات القاضية عليه بالفناء الأول : وبعد ذلك : اهلكوه بمحو موهومه ورفع رسومه بالكلية ، حتى لم يبق منه عين وأثر.

---

٨٨٣) هذا شبيه جداً بقول الحلاج :

نديمي غير منسوب الى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاس دعا بالنطع والسيف

(انظر رسالة الانتصار لابن عربي ٤–٧) ط. حيدرباد. —

(شرح) تجلي اللسان والسر[٨٨٤]

XCV

(٤٦٦) التوحيد إن قبل البيان والادلة العقلية والعبارة — فهو توحيد اللسان[٨٨٥]. وهو توحيد «الآحاد». فانك تعلم فيه لكل عين احدية يمتاز بها عن غيره[٨٨٦]. وان لم يقبل (التوحيدُ) البيان والدليل والتعبير — فهو توحيد السر[٨٨٧]. ولذلك قال:

(٤٦٧) «للتوحيد: لسان وسرّ. فان ا أنطقكب» الحق بتوحيد اللسان، «فرّقك في خواص الاعيان» اي في ملاحظة أحدية كل منها: على وجه النظر والاستدلال والعبارة. «فظهر التوحيد» بملاحظة الاحدية الالهية: المتعلقة، التي بها امتاز الحق — عند العقل — عمّا سواه: «بالآحادت» والأعيان الكونية وملاحظة احدية كل منها. كما قيل[٨٨٨]:

---

٨٨٤) املاه ابن سودكين. «ومن تجلي اللسان والسر. ونصه. «للتوحيد (الاصل: للتجلي) لسان وسر. . . . . فلم تر سوى الواحد بالواحد.»— قال جامعه: [مخطوط برلين: الجامع] وسمعته [مخطوط برلين: سمعت شيخي وامامي، رضي الله عنه وارضاه!] ايضاً يقول [مخطوط برلين: في اثناء شرحه لهذا التجلي] ما هذا معناه. اعلم انك اذا علمت ان لكل موجود احدية يمتاز بها عن غيره، فبذلك تمتاز [fol. 34b] خواص الأعيان: فحينئذ [الاصل: نحسنه] تعلم [الاصل: يعلم] ان للحق — تعالى! — احدية يمتاز بها عن كل شيء. فهذا تفرقتك [الاصل: يفرقك، مخطوط فيينا: يعرفك] في خواص الاعيان، وهو توحيد اللسان. والمراد باللسان هو العبارة (=التعبير) عن التوحيد واقامة الادلة بالخطاب والعبارة. واذا اطلعك الحق — تعالى! — على سر التوحيد: اخرسك: فجمعك عليه به؛ وذلك قوله: «كنت سمعه وبصره» وباطنه وظاهره. فينطوي وجودك في وجوده؛ ولا يبقى لك نطق ولا بصر! — والله يقول الحق.» (مخطوط الفاتح: ٣٤ا-٣٤ب]. —

٨٨٥) وهو توحيد الدليل كما سماه ابن عربي في املائه المتقدم وهو توحيد العامة: أي على الرسوم كما سماه في تجلي رقم ٥٠ المتقدم.

٨٨٦) انظر ما تقدم تجلي رقم ٢، (تجلي تفرقة التوحيد). —

٨٨٧) توحيد السر هو توحيد الذات اي تجريد الذات عما سواها، بحيث لا يرى في الوجود الا ذات واحدة بالرغم من تكثر تعيناتها اي مراتب وجودها (لطائف الاعلام ٥٧ب) مع شيء من التصرف.

٨٨٨) بيت مشهور لأبي العتاهية يذكره مراراً ابن عربي في فتوحاته وغيرها: انظر الفتوحات ١/١٨٤، ٢٧٢، ٤٦٠، ٢/٤٤٧، ٣/٢٩٠، ٤/٦٧، ١٠٩، ٢٩٤؛ وانظر كتاب

ا فاذا W؛ فاذا HK. — ب نطقك W. — ت بالاحاد KW. —

ففي كل شيءث له آية تدل على انه واحد

(٤٦٨) «**واذا اطلعك على سر التوحيد**» اي على الاحدية الذاتية : التي لا تقابلها كثرة أحديّات الآحاد ولا تدل عليها ؛ اذ لا يصير الحق، من حيثية هذا التوحيد ، مدلولاً لشيءج : «**أخرسك**» فان اللسان والبيان لا يفي بالتعبير عنها ، بل لا يحصل هذا الاطلاع الشهودي الا بمحو عينك وآثارها ؛ والبيان من الآثار . ولذلك قال : «**فجمعك عليه به**» لا بما يفرقك عنه . «**فلم ترَ**» حالتئذ ، «**سوى الواحد بالواحد**[٨٨٩]» اي بكونه سمعك وبصرك ويدك وكونك . فافهم !

الالف له ايضاً ، صفحة ٤ (طبعة حيدرباد) . واحياناً، يخرج ابن عربي الشطر الثاني، مع شيء من التغيير ، بناءً على مذهبه في وحدة الوجود :

وفي كل شيء له آية تدل على أنــه عينه
(فتوحات ١ /٢٧٢) . —

واحياناً يقلده :

وفي كل طور له آية تدل على انني مفتقر
(فتوحات ١ /٣٣١) . —

٨٨٩) أنظر ما تقدم تجلي رقم ٦٠ وتجلي رقم ٦١ .

ث الاصل : شي . — ج الاصل : لشي . —

(شرح) تجلي الوجهين[٨٩٠]

XCVI

(٤٦٩) أعلم ان العبودية[٨٩١] قدر مشترك بين كل ما خُلق . وللبعض : وجه اختصاص بمشاهدة[ا] الربوبية[٨٩٢]. فالمختص يشترك مع الجميع في العبودية ، ويتميَّز بالاختصاص . — ولذلك قال :

« العبد اذا اختص ، كان له وجهان : وجه من حيث عبوديته ، ووجه من حيث اختصاصه » فالاختصاص يعطي شهود الحق بالحق ، وشهودَ كل شيء به . ولذلك قال : « ولا يرى ا وجه العبودية الا من له ب وجه الأختصاص » فان الحقائق لا تدرك كما هي الا بالحق . فالمختص لا يعرف العبودية مطلقاً ، كما هي ولمن هي ، إلا به .

(٤٧٠) « فكل مختص ، عبدٌ ؛ وما كل عبد ، بمختص . فعين الاختصاص يجمعك ت » فيعطيك معرفة ربوبية الرب ؛ ومعرفةَ عبودية كل

---

٨٩٠) أملاه ابن سودكين . « ومن تجلي الوجهين . نصه . « العبد اذا اختص . . . . تكن عبداً » . — قال جامعه : سمعت شيخي يقول ما هذا معناه . اعلم ان العبودية سارية في كل ما سوى الله — تعالى ! ولكن ما كلهم (=العبيد) مختص . فالمختص له وجهان : وجه الى اختصاصه [الاصل : الاختصاص] ووجه الى عبوديته . فبوجه عبوديته ، يشارك جميع العباد ؛ وبوجه الاختصاص ، يتميز عن غيره ويشترف على سر العبودية . فلا يرى وجه العبودية وحقيقتها إلاّ من يرى وجه الربوبية . ووجه العبودية هو ان لا يكون للالوهية فيه رائحة ألبتة ، (لا) بقول ولا فعل . فعين الاختصاص ، يجمعك على سيدك : فلا تكن [الاصل ومخطوط برلين وفيينا : تكون] آبقاً [الاصل : آنفاً] . وليس كذلك من لم يكن له وجه الاختصاص . » [مخطوط الفاتح : ٣٤ب] .—

٨٩١) يميز ابن عربي بين العبودية والعبودة كما ميز قبله الترمذي الحكيم في ختم الأولياء وفي كتاب الفروق بين العبادة والعبودية . « فالعبودة نسبة العبد الى الله لا الى نفسه . فان انتسب الى نفسه فتلك العبودية . فالعبودة أتم . » (اصطلاحات الفتوحات ١٢٨/٢) وانظر الفتوحات ٢١٣/٢–٢١٦ ولطايف الاعلام : ١١١ ا .

٨٩٢) مشتقة من الاسم الالهي « الرب » . و « الرب اسم للحق — تعالى ! — باعتبار انتشاء نسب الحقائق عنه . فان كل حقيقة كونية انما يتسبب انتشاؤها وتعينها عن حقيقة الاهية . فكل شيء يتعين في وجوده العيني ويظهر في المراتب : روحاً او مثالاً او حساً ، فانما ذلك عن اسم الاهي متعين بتلك الحقيقة الالهية من حيث تميزها ووصفها : فكان ذلك الاسم (الالهي الخاص) ربها . فلا تأخذ إلاّ منه ولا تعطى إلاّ به ولا ترجع الا اليه ولا ترى الا اياه ... » (لطايف الاعلام ١٨٠ ا ، بتصرف ما) .—

ا يرا . W — ب — K . — ت تجمعك H . —

شيء ث ، معاً . — « وعين العبودية تفرقك ج » — فلا تجد فيها ما يكشف لك عن حقيقتها كما هي . — « فكن مختصاً ، تكن عبداً » عارفاً [f. 91b] بالحق والخلق ، جامعاً بين الكمالين .

ث الاصل : شي . — ج يفرقك K . —

(شرح) تجلي القلب[٨٩٣]
XCVII

(٤٧١) «اول ما يقام فيه العبد» للشاهدة «اذا كان من اهل الطريق» اي من السائرين[ا] في مناهج الارتقاء . يقدم الحال : «في باب الفناء[ب] والبقاء[ت]» فيعلم . على مقتضى عطية المقام . انه اذا فني . عما فني ، واذا بقي : مع ما بقي . فاذا تحقق بهذا التجلي — يرى قلوب اهل الغرة عمياء . حيث فنوا عن المُكَوِّن وبقوا مع الكون . و(يرى) نفوسهم زائغة عن الحق بنزوعها الى الشهوات ومألوفات الطباع . ويرى قلبه : في سراح وسعة . لا يقبل الحد والغاية . فيتعين ان يسع فيه الحق : ويؤهل للسماع منه به . ولذلك قال :

(٤٧٢) «فاذا تحقق به ، استشرف على معرفة القلب[٨٩٤]» فانه : اذ ذاك : في بينونة يستمر تقلبه فيما بين الفناء والبقاء . فيعلم ان حقيقته :

---

٨٩٣) املاء ابن سودكين . «ومن تجلي القلب . نصه . «اول ما يقام فيه . . . . الى الوجود من العدم» . — قال جامعه : سمعت شيخي ، في اثناء شرحه هذا التجلي ، يقول ما هذا معناه . اول ما يقام العبد فيه ، اذا كان من اهل الطريق ، في الفناء والبقاء . فيستشرف حينئذ على معرفة القلب . فيعلم من فني ومع من بقي . فالعوام بقوا مع الكون ، وفنوا عن المكون [الاصل : الكون] . وقامت بهم المواجيد في الولد [الاصل : الوله] والدنيا والدراهم ، وجميع محبوبات الطباع . وأما المريدون ، فبالضد من ذلك . فاذا تحققوا بالفناء واستشرفوا على معرفة قلوبهم : التي وسعت الحق ، يعرفون سر الحق ويؤهلون للسماع من الحق بالحق في كل شيء ومن كل شيء . ومن كان هذا مقامه في السماع ، فانه لا يعترض عليه اذا سمع السماع المقيد ، إلا ان يكون قدوة فيتركه (=السماع المقيد) لئلا يفتح للمريدين باب البطالة . كما قالت الاشياخ : اذا رأيت المبتدي يحوم حول السماع فاعلم ان فيه بقية من البطالة . [fol. 35a] واعلم ان مقام السماع هو الأول والآخر ، وهو السماع المطلق لا المقيد . لانه اول ما خوطبت به الأعيان بـ«كن» ، فبرزت لتنظر من دعاها . ثم نظرنا حكمها في آخر مرتبة ، وهي الجنة . فرأينا انهم اذا دخلوا الجنة ، يقال لهم : تمنوا . فيقولون : قد بلغنا الأماني ؛ وهل ابقيت لنا شيئاً ؟ او ما هذا معناه . فيقول (الحق) : نعم ! بقي لكم رضاني عنكم فلا اسخط عليكم ابداً . فيكون هذا السماع خاتمة امرهم ومكمل طيب عيشهم ، أبد الأبد ! فبالسماع كملت المراتب آخراً ، وبالسماع وجدت الاعيان أولا . وقد قالوا : ان الخاتمة عين السابقة .» [مخطوط الفاتح ورقة ٣٤ب–٣٥ا] . —

٨٩٤) انظر ما تقدم تجلي رقم ٤٣ (تجلي القلب) . —

ا الاصل : السامرين . — ب الفنا W . — ت والبقا W . —

التي تتقلب بينهما : هي القلب : « الذي وسع الحق[٨٩٥] . فاذا علم قلبه » بصفة اعتداله واستوائه : القائم لجمع الحق والخلق معاً في سعته بلا مزاحمة : « عرف انه البيت الذي يحسن فيه السماع » اي السماع المطلق : المستفاد من أنحاء الوجود . « وهو » اي بيت القلب[٨٩٦] : هو « المعبر عنه بالمكان[٨٩٧] : الذي هو احد شروط السماع »[٨٩٨] يريد قول من قال : إن السماع شروطه ثلاثة ث : الزمان والمكان والاخوان[٨٩٩] . — « وعند ذلك » اي وعند اطلاعه على حقيقة قلبه : — « يحصل ج له علم[٩٠٠] السماع ح » مطلقاً ومقيداً : ومن هو المُسْمع ومن هو السامع وما هو المسموع . ولم يحصل له هذا العلم ايضاً الا بالحق .

« فيسّمع خ الحق بالحق في بيت الحق . وبالسماع وقع الخروج الى د الوجود من العدم » اذ اول ما خوطبت به الاعيان الثابتة كلمة « كُنْ » . فكما برزت الاعيان بسماعها من العدم الى الوجود — برز العبد : المنتهي الى مقام الكمال ، بسماع الحق بالحق ، في بيت القلب : من حال الفناء ذ الى البقاء ر . —

---

٨٩٥) اشارة الى الحديث القدسي « ما وسعني ارضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي ... » انظر ما تقدم تجلي رقم ٣١ وتعليق رقم ٤٩٩ .

٨٩٦) بيت القلب او البيت المحرم هو قلب الانسان الحقيقي اي الانسان الكامل لانه « المحرم » على غير الحق ان يتصرف فيه . » (لطايف الاعلام : ٣٩أ—٣٩ب : بتصرف) .

٨٩٧) « المكان ، عند القوم : منزلة في البساط هي الاهل الكمال الذين جازوا المقامات والاحوال والجلال والجمال فلا صفة لهم ولا نعت ولا مقام » (فتوحات ٢ /٣٨٦) وانظر اصطلاحات الفتوحات ٢ /١٣٣ ولطايف الاعلام ١٦٦ب . —

٨٩٨) « السماع حقيقة الانتباه لكل بحسب نصيبه . فهو — اعز السماع — حاد يحدو كل واحد الى وطنه » ... » (لطايف الاعلام ٩٤أ) ويميز صاحب اللطايف : بين سماع العامة والخاصة والسماع بالحق والسماع في الحق (نفس الورقة) وابن عربي بين السماع الالهي والروحاني والطبيعي (فتوحات ٢ /٣٦٧) . —

٨٩٩) ينسب هذا القول الى الجنيد : انظر جذوة الاصطلاء ورقة ١٦٦ب والاحياء ٢ /٣٠١ . —

٩٠٠) الابحاث الخاصة بالسماع تراجع في الفتوحات ٢ /٣٦٦—٣٦٩ : والاحياء : ٢ /٢٦٨—٣٠٥ ; وجذوة الاصطلاء : ١٦٢أ—١٧٢ب وتلبيس ابليس ٢٢٢—٢٣١ والغنية ١ /٣٩—٤٠ : وطبقات الحنابلة ٢ /٢٧٩ : يراجع ايضاً في مباحث المستشرقين .

— *La passion...*, 340-342 ;
— *L. T.*, 105-108 ;
— *EI, IV*, 125 *(sous samāʿ)* et *EI, I*, 983-84 *(sous ḏikr)* ;
— *Essai sur Ibn Taimiya*, 83, 248, 323.

ث الاصل : ثلث . — ج حصل P . — ح — HK . — خ فسمع P . — د ال W . —
ذ الاصل : الفناء . — ر الاصل : البقاء . —

(شرح)[٩٠١] تجلي خراب البيوت

XCVIII

(٤٧٣) «محوتني عنك وأثبتني فيك ا» اي افنيتني عنك من حيث «أنا بي»، وأبقيتني من حيث «انا بك». «فعين ب اخو عين الثبوت» يقول: سقوط اضافة الوجود إليّ، عيَّنَ ثبوته له[٩٠٢]. —

(٩٠١) املاه ابن سودكين. «ومن تجلي خراب البيوت. نصه.

«محوتني عنك واثبتني في . . . .
« . . . .
« . . . .
« . . . .
« . . . .
« . . . . ويخرب البيت اذا ما يموت»

قال جامعه: سمعت شيخي يقول ما هذا معناه. قوله: «محوتني عنك»، البيت... اي افناك عنك وأبقاك فيه. فان لم تعلم: في حال رؤيته، انك تراه — فأنت تمحو العين في وجوده. لكونه محاك عن معرفتك بالشهود، مع ثبوت الشهادة لك وجريان حكمها فيك وظهور آثارها عنك. قوله: «عجبت منكم حين ابعدتم......» (الى آخر) البيت: اي عجبت كيف اخذتم طريقاً مخصوصاً؟ مع كون جميع الطرق موصلة. فلم يثبت القرب والتخصيص الا لطريق خاص، دعوتم العباد من بابها خاصة، دون غيرها. قوله: «ان صح لي الساكن....» (الى آخر) البيت: اي إني وإن فاتني الطريق الخاص — وثبت لي انك معي في كل طريق — فلا أبالي، بعد شهودي لك، .ما فاتني من الطرق. وقوله: «اوهن بيت....» (الى آخر) البيت، اراد بالعنكبوت ما ضرب الله به المثل في قوله (تعالى!): «كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً». وهو كونها لم تتخذ بيتاً يحصنها. فقال: أنا إذا كنت، أنت، معي — فلا أبالي ولو كان بيتي مثل هذا البيت الضعيف، المضروب به المثل. وكل ذلك، لوجود الاستغراق. ومعلوم، قطعاً، انه اذا صح (الساكن) انطرد كل ضرر وشر [الاصل: ومعرك، مخطوط فيينا: ويترك، مخطوط برلين: وشرك] .قوله، «لا فرق عندي...»، البيت: اي ان العرش اذا لم تكن عليه، لا فرق بينه وبين بيت العنكبوت؛ واذا كنت فيهما معاً: فالسرور بك وبشهودك يغيب عن البيت: .لوجود شرف الساكن. ولهذا قال، ما ختم به المعنى، وهو: ما قوة البيت سوى ربه، (الى آخر) البيت.» [مخطوط الفاتح: ٢٥ا]. —

(٩٠٢) هذا شبيه بقول ابن عربي (في صدر كتاب الفناء في المشاهدة): «فاذا فنى ما لم يكن — وهو فان — ويبقى من لم يزل — وهو باق — : حينئذ تطلع شمس البرهان.» ان سقوط اضافة الوجود (الالهي) الى الكائن الممكن لم تفد امراً جديداً له ولم تغير شيئاً من طبيعته: فهو — من حيث هو ممكن — وهذه هي حقيقته الذاتية — فان ولكنه فناء لا بمعنى العدم الصرف بل بمعنى القابلية المحضة للوجود الالهي. هذا، وأصل هذه الفكرة، بل نص كتاب الفناء في المشاهدة، نجدها في محاسن المجالس لابن العريف (ص. ٩٧ نشر المستشرق آسين بلاسيوس). —

ا — P. — ب + ذاك P. —

(٤٧٤) «عجبت منكم حين ت ابعدتمو ث من جاءكم ج من خلف ظهر البيوت [٩٠٢]»

يقول : عجبت منكم كيف خصصتم القرب والوصلة والرضى بطريق مخصوص ؟ وجعلتم من هو على هذا الطريق المخصوص ، انه دخل البيوت من ابوابها [٩٠٣] ؛ ومن هو على غيره ، انه جاءها ح من خلف ظهرها . وفي الحقيقة ، انتم الآخذون بناصية [f. 92a] الجميع [٩٠٤] . وانتم على الصراط المستقيم [٩٠٤] ، المُنْهي بهم الى البيوت ، التي هي مواطنهم الاصلية ؛ والى ابوابها ؛ التي هي منتهى طرقهم . وانتم دعوتم الجميع الى باب مخصوص دون غيره ، مع علمكم بان لا يدخل احد بيت موطنه الاصلي إلاّ من طريق تَعَيَّن له ، باقتضائه خ في السابقة عندكم ؛ وحكم علمكم لا يتغير ابداً . فمن افضت حقيقته ان يكون على صراط « المضل » — امتنع مشيه على صراط « الهادي » ودخوله من بابه . ففائدة امر الآمر : تمييز الاقتضاءآت د الاصلية ، بعضها من البعض . —

(٤٧٥) «ان صح لي الساكن ، ياسيدي ! فما ابالي من بيوت تخوت»

يقول : ان صحت لي مشاهدة ساكن بيت الوجود ووِصالُه ، من حيث احدية جمعه بين « الظاهر والباطن » و « الهادي والمضل » و « الجلال والجمال » — فلا أبالي ان فاتني دخول البيت من طريق مخصوص . فان المصيبة العظمى فوت وصال الساكن وشهوده ؛ لا فوت الطريق . هذا ظاهر معنى البيت ، المتبادر الى الفهم . والعقيدة ؛ فيما شرحناه في هذا الكتاب وغيره من هذا المبيع ، موقوفة على الظفر بتحقيقه . — ثم قال :

(٤٧٦) «أوهن بيت قد ابتم ذ لنا هو الذي يعزى الى العنكبوت» [٩٠٥]

يقول : شأن كل بيت ان يصون الساكن فيه من تطرق الغبار والحوادث عليه . لا سيما اذا كان قوي البنيان . وبيتي — ولو كان في الضعف والوهن كبيت العنكبوت ، الذي ضرب الله في الضعف والوهن

---

٩٠٣) اشارة الى الآية الكريمة رقم ١٨٩ من سورة البقرة (رقم ٢) . —
٩٠٤) اشارة الى الآية الكريمة رقم ٥٦ من سورة رقم ١١ (سورة هود) . —
٩٠٥) اشارة الى الآية الكريمة رقم ٤١ من سورة العنكبوت (رقم ٢٩) .

ت كيف P . — ث ابعدتم HKPW . — ج حاكم KW ، حاءكم P . — ح الاصل : جاءها . — خ الاصل : باقتضاءه . — د الاصل : الاقتضات . — ذ (على هامش نسخة W كتب : « صنعتموه » وعلى رأس كلمة أبنتم ، كتب : « صح ») ، صنعتموه P . —

به مثلاً — لا أبالي اذا كان الساكن معي ؛ وانا مستغرق في مشاهدة جماله. — بل :

«لا فرق عندي بينه في القوى وبين ما عاينت في الملكوت»

يقول : اذا صح لي ان انظر في مشهودي واستغرق فيه : استغراق من لا تزاحمه الشُبَه والشرك وسوء العقيدة فيه — فلا فرق عندي بين قوى هذا البيت ، الموصوفة بالضعف والوهن ؛ وبين ما عاينت في الملكوت من القوى المتينة ، القائمة تحمل أعباء ملك الوجود. وفي الحقيقة : قوة الدار ، بقدر قوة ربها ؛ وشرف البيت ، بحسب شرف ساكنه. — ولذلك قال :

«ما قوة البيت ، سوى ربه ويخرب البيت اذا ما يموت»

(شرح) ومن[٩٠٦] تجليات ا الفناء آ

XCIX

(٤٧٧) « اذا أفناك[٩٠٧] عنك في الأشياء ب » بشهود سريان التوحيد[٩٠٨] فيها : — « أشهدك اياه » اي عينه ظاهرًا بحكم : « لا فاعل الا الله ! » : — « محركها ومسكنها » ومفصلها ومدبرها .

« واذا افناك عنك وعن الأشياء ب » باستواء شمس حقيقته : المقاضية بزوال الظل الممدود الامكاني [f. 92b] وقبضه اليها : على وجه لم يبق منه قدر فيء ت الزوال ، « اشهدك اياه عيناً » لا على حكم الاستجلاء ث : فتشاهده في تحقيق فنائك ج : وهو عدم شهودك لشهودك اياه . فتكون اذن باقياً في فنائك ج . —

(٤٧٨) «فان عقلت» في فنائك ج ، «انك راء ح فما أفناك عنك . فلا تغلط» فانك باق على بقية تزاحمك في تحققك بالبقاء . ولذلك قال : « وهذا هو فناء خ البقاء د » فان الفناء قد حصل من وجه وبقيت معه بقية تمنع البقاء . « ويكون » أي فناء البقاء : « عن حصول تعظيم في النفس ذ »

---

٩٠٦) املاء ابن سودكين . « ومن تجليات الفناء . « اذا افناك عنك . . . . عن حصول تعظيم في النفس » . — قال جامعه : (سمعت شيخي) يقول ما هذا معناه . من قال نفيت عن الاشياء فقد كذب بقوله : لانه ما قال : « نفيت عن الأشياء » ، إلاّ وقد رأى الأشياء . [fol. 35b] — وقوله : «أشهدك أنه محركها ومسكنها » ، أي ترى أنه لا فاعل إلاّ الله-تعالى ! — لكونك رأيت سريان التوحيد في الأشياء . وقوله : « اذا أفناك عنك وعن الأشياء ، اشهدك إياه عيناً » : اي تشاهد [الاصل : ان شاهد وكذا مخطوط فينا والتصحيح من مخطوط برلين] تحقق فنائك [الاصل : فنائك وكذا مخطوط برلين وفينا] : وهو عدم رؤيتك لرؤيتك . فتكون متصفاً بالفناء ، باقياً [الاصل : باق] فيه . ففناؤك الفناء عن الفناء ؛ وانت باق في مقام البقاء في هذه الحالة : فلا تعلم انك مشاهد ولا راء [الاصل : او لا رايا] . ولو علمت ذلك ، لكنت مشاهداً لفنائك ، لا لمن فنيت فيه . واذا رجع العارف وسئل ، اقتضى له تحرير العبارة ان يقول : كنت باقياً بالله . فينتسب الى الحق بالحق . — والله يقول الحق ! » [مخطوط الفاتح ورقة ٥٣١ا-٥٣ب] . —

٩٠٧) قارن هذا بما تقدم : تجلي رقم ٦٣ وانظر تعليق رقم ٧٠٤ : ٧٠٥ . —

٩٠٨) انظر ما تقدم : تجلي رقم ٥٩ وتعليق رقم ٦٨٤ . —

ا تجلي HK . — آ الفنا W ، الفنا P . — ب الاشيا W ، الاشياء P . — ت الاصل : فى . — ث الاصل : الاستجلاء . — ج الاصل : فنائك . — ح رأى H ، راى K ، رآء P . — خ فنا W ، فناء P . — د البقا W ، البقاء . — ذ + ومنها (في وسط السطر وبقلم عريض كعنوان لتجل جديد) W ؛ ومنها (في اول السطر وبقلم عريض ايضاً) K ؛ ومنها — ٩٩ (في اول السطر وبقلم عريض ...) H . —

قاض بوجود البقية فيها او حصول تعظيم منها. فالتعظيم الحاصل لها بـ«في»: تعظيم لازم لا يتجاوز عنها؛ والحاصل بـ«من»: تعظيم متعد اذ لا بد للابتداء من غاية يقع تعاظم النفس عليها. — ثم قال:

(٤٧٩) «البقاء ر : نسبتك ز اليه، والفناء س : نسبتك ش الى الكون، فاختر لنفسك لمن تنتسب ص» اي حيثية البقاء: كونك به، وحيثية الفناء: كونك بنفسك وبالكون؛ وانت — بين الحيثيتين — دائر بين كمال الوجود ونقص العدم. فاختر ما ترى!

ر البقا W، البقآء P. — ز ينسبك H، بنسك P. — س والفنا W، والفنآء P، والفناء K. — ش ينسبك H، نسبك K. — ص تنتسب H. —

(شرح) تجلي طلب ا الرؤية ب[٩٠٩]

C

(٤٨٠) هذا التجلي انما يعطي طالب الغاية الجسارة والتهجم على الحق في الطلب والثقة بفضله الممنون به عليه ، حالة سيره اليه بقدم الصدق. ولذلك قال ، بلسان هذا التجلي :

« اطلب[٩١٠] الرؤية ب ولا تجزع من الصعق[٩١١] فان الصعق لا يحصل الا بعد الرؤية ب وقد ت صحت » لك الرؤية قبل الصعق ؛ — « ولا بد من الإفاقة » والعود الى وجوده ؛ « فان العدم » بعد قبول الوجود ؛ — « محال » . —

---

٩٠٩) املاء ابن سودكين . « ومن تجلي طلب الرؤية [الاصل : الرويه] . ونصه . « اطلب الرؤية .... فان العدم محال » . — قال جامعه : سمعت شيخي يقول ما هذا معناه مجملاً . هذا التجلي يتضمن تجسير الطالبين على جناب الحق . وذلك ثقة من الشيوخ بفضل الله وكرمه وحبه للمتهجمين [مخطوط فينا : للمجتهدين ، برلين : المتهجمين والتصحيح في الاصل] على فضله . وهو — سبحانه ! — يحب من يدل الطالبين عليه ، كما قال لداود ، عليه السلام ! « يا داود ، اذا رأيت لي طالباً ، فكن له خادماً » . — والسلام ! » [مخطوط الفاتح : ٣٥ب] . —

٩١٠) بخصوص « الرؤية » انظر ما تقدم تعليق رقم ٨٣١ . —

٩١١) « الصعق هو ، في اصطلاح الطايفة ، عبارة عن الفناء عند التجلي الرباني » (لطايف الاعلام : ١٠٢ا) وانظر اصطلاحات الفتوحات ٢/١٣٠ واصطلاحات الصوفية لابن عربي .— هذا ، ولفظ الصعق والرؤية ، في هذا التجلي ، يشير من قرب الى الآية القرآنية الكريمة الخاصة بموسى ، عليه السلام ! حين طلب رؤيا الحق ، تعالى ! انظر الآية رقم ١٤٢ من سورة الاعراف (رقم ٧) . —

ا — HK . —   ب الرمية W ، الروية P . —   ت يقد W ، فقد HK . —

(شرح) تجلي الدور[٩١٢]

CI

(٤٨١) أعلم ان التوحيد الذاتي : الذي هو «إياه توحيده» : لم يتوقف على الغير . اذ لو كان متوقفاً – لكان حاصلاً له بالغير . وحيث هو – تعالى ! – علم نفسه بنفسه في نفسه واحداً بوحدة ذاتية لا تقابلها كثرة ؛ – وحصول الغير وثبوته انما هو باستلزام علمه بنفسه العلم بما سواه ؛ وهذا : بالنسبة الى الاعتبار الأول ، معقول ثان ؛ وهو واحد بالوحدة الذاتية : باعتبار المعقول الأول ؛ فعلى هذا لا يكون توحيده حاصلاً له بالغير .

فالتوحيد الحاصل للغير ، فحصوله إما هو بالحق واما بملاحظة الغير . فالأول : هو قول العارف[٩١٣] : «التوحيد افراد الواحد بالواحد» . ولا يصح

---

٩١٢) املاه ابن سودكين . ومن تجلي الدور . وهذا نصه . «سألت : كيف تصح العبودية ؟ .... ان يسمع ما يفعل به . » .– قال جامعه : سمعت شيخي يقول ، في اثناء شرحه هذا التجلي : ما هذا معناه . «سألت : كيف تصح العبودية ؟ – قيل : بالتوحيد » . لانه ان لم يفرد الواحد ، لا يصح في توحيد [الاصل : وجود وكذا في مخطوط فيينا والتصحيح في مخطوط برلين] . قلت : وبماذا يصح التوحيد ؟ – قال : بوجود العبودية . قلت : فأرى الامر دورياً ! قال : ليس دورياً إلا بهذا الترتيب الذي عبرت به عنه ؛ فعبارتك اقتضت ذلك ؛ واشتراطك هذا الشرط جعل [الاصل : تجعل] الأمر دورياً ؛ وليس هو كذلك في نفسه . – «قيل : فما تفنى ؟ قلت : دليل ومدلول . فقال : لا مدلول ولا دليل ! » اي لا تنظر نفسك من كونك دليلاً ؛ اذ لا بد بين الدليل والمدلول من مناسبة ؛ ولا مناسبة . فاذا نظرته بعينه ، ثبت فيه [الاصل : به ، مخطوط برلين : عنه والتصحيح في مخطوط فيينا] ؛ وذهب رسمك . والحاصل ؛ انه ليس في الوجود الا واحد . – قوله : «قلت : من شأن العبد ان يفعل ما يؤمر به . فقال : بل من شأن العبد ان يسمع ما يفعل به ! » اي لا ينبغي ان ينسب الامتثال اليه في هذا المشهد ؛ اذ لو ثبت له ذلك لثبت له حول وقوة وارادة . واذ اتصف بعلم ما يفعل به ثبت له بذلك [الاصل : بدليل وكذا مخطوط فيينا] علمه بقيامه الاثار به ؛ و (الحال انه) هو محل لها (فقط) : فيرى [مخطوط برلين : فيرى] من النفي والثبوت جميعاً . » [مخطوط الفاتح ورقة ٥٣ب] . –

٩١٣) هناك نقول متعددة خاصة بالتوحيد تقرب من النص الذي اورده الشارح :

– «سئل الجنيد عن التوحيد -(ف)قال : افراد الموحد بتفريد تحقيق وحدانيته بكمال احديته انه الواحد ...»

– «وسئل ابو عبدالله بن خفيف عن التوحيد فقال . افراد الموحد باسقاط شاهد الموحد..»

– «وقال يوسف بن الحسين : التوحيد هو الانفراد بالوحدانية بذهاب رؤية الاضداد والانداد ... مع السكون الى معارضة الرغبة والرهبة ...»

هذا التوحيد إلا ان يكون الحق عَيْنَ كَوْن العبد وعَيْنَ سمعه وبصره. والثاني: توحيد [f. 93a] الالوهية. ولا يصح هذا التوحيد للغير الا بصحة عبوديته. فان مطالعة انفراد الحق بالالوهية. على قدر مطالعة انفراد الكون بالعبودية. فلا دور الا باعتبار توقف شهود الغير انفراد الواحد بالالوهية، على شهود انفراد الغير بالعبودية؛ وبالعكس. فان نفس انفراد الواحد بالالوهية لا يتوقف على وجود عبودية الغير وصحتها.

(٤٨٢) ولذلك قال: «سألت ا: كيف تصح العبودية؟ — فقيل ب: **بصحة التوحيد. — قلتُ: وبماذا يصح التوحيد؟ — قيل: بصحة العبودية! — قلتُ: أرى الأمر دورياً. — قيل: فما كنتَ تظن؟»**

يقول: ان الدور انما يستفاد من إفرادك الحق بالالوهية؛ بملاحظة إفرادك الكون بالعبودية؛ وبالعكس. على مهيع: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[٩١٣A]. اي: مَن عرف نفسه بالعبودية — فقد عرف ربه بانفراده بالالوهية؛ ومَن عرف ربه بالالوهية — عرف نفسه بالعبودية.

«— قلتُ: دليل ومدلول! — قال: ليس الأمر كذلك: لا دليل ولا مدلول» فان انفرادَ الواحد بالالوهية، في نفس الأمر — ليس بمدلول للعبودية. اذ لا بد بين الدليل والمدلول من مناسبة، ولا مناسبة. فانك اذا نظرت اليه، في دلالتك عليه، من حيث أنت — كانت دلالتك ودلالة عبوديتك عليه كدلالة العدم على الوجود. وإن نظرت اليه بعينه، في دلالتك عليه — ذهب رسمك وغبتَ عنك وعنه: فلا دلالة!

(٤٨٣) **«— قلتُ: من شأنِ العبد ان يفعل ما يؤمر ث به»** وهو مأمور بمعرفة التوحيد، لقوله تعالى: ﴿فاعلم انه لا اله الا هو﴾[٩١٤] وبتصحيحه

— «وقال الشبلي: توحيد الموحد هو ان يوحدك الله به ويفردك اليه ويشهدك ذلك ويغيبك به عما اشهدك». —

— «وقال الجريري: ليس لعلم التوحيد الا لسانُ التوحيد» الخ الخ.. (انظر جذوة الاصطلا ورقة ٢٥أ، ٢٣ب ٢٦أ، ٢٦ب). —

٩١٣A) حديث: «من عرف نفسه عرف ربه» يرويه حكذا الحكيم الترمذي في كتاب «بيان الفرق بين الصدر والقلب ...» ص ٩٣. —

٩١٤) مطلع آية رقم ١٩ من سورة محمد (رقم ٤٧) ولكن نص الآية الكريمة: «فاعلم انه لا اله الا الله ...».

ا سألت KW — ب قيل H — ت شان HKPW — ث بمه W —

تصحح العبودية ؛ لقوله (— تعالى ! —) : ﴿وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا اله الا هو[٩١٥]﴾ «— قيل بل من شأن العبد ان يسمع ما يفعل به» اي يسمع ؛ عند فتح الباب وخرق الحجاب ؛ صدى ج كلمة الحضرة لايجاد فعله به ؛ أيّ فعل كان : كتصحح التوحيد او تصحح العبودية او غير ذلك . والله اعلم !

٩١٥) جزء من آية رقم ٣١ من سورة براءة (رقم ٩) . —

ج الاصل : صداء . —

(شرح) تجلي الاستعجام[ا] ٩١٦
CII

(٤٨٤) جعل ؛ قدس سره ! ؛ في إملاءآته ؛ هذا التجلي من تتمة تجلي الحيرة . ولذلك أتى « الأمر » في هذا المشهد ؛ اي « أمر » كان ، من عموم الالهية او من عموم الامكانية ؛ ان يقبل البيان والافصاح عنه. فانك ؛ في هذا المشهد ؛ اذا حكمت بشيء ا انه كذا — ترى ، في عين حكمك عليه بكذا ؛ انه ليس كذا . ولذلك قال :

« **حبيبي ! استعجم الأمر عن الوصف** » وطاحت الضابطة . فاذا حكمت بحكم معين — ترى انه كل الاحكام ؛ والمحكوم عليه به ، غير المحكوم عليه به . بل هو الكل ؛ من غير ان يقبل التعيين بكونه كلا [f. 93b] او جزءاً ب . ولهذا قال : « **فاشتغلت الكل بالكل فلا فراغ ث** » للضابط عن الحيرة حتى يشير الى أمر بالتعيين والتحرير . ثم قال :

(٤٨٥) « **دُعينا** » اي باستدعاء وقت متحكم الى أحوال تعطي الذهاب والفناء ، — « **فَتَـرَكنا ج** » بتدارك وارد الفناء به ؛ « **فبقينا** » — على حالة وسطية لا يطرأ ح علينا الميل قسراً ؛ — « **ففقدت خ** » إذ ذاك « **الأحوال** » وآثارها القاسرة . « **فأبدى د وجودُ الوجد ما كان يُكتَم** » يقول : لكل وجد وجود خاص ، وهو ما يجده الواجد بعد وجده . فالمتحقق بهذه الوسطية

---

٩١٦) املاء ابن سودكين . « ومن تجلي الاستعجام . وهذا نصه . « حبيبي ! استعجم الأمر ... . ولاحت رسوم الحق منا ومنهم » . — قال جامعه : سمعت شيخي — سلام الله عليه ! — يقول ، في اثناء شرحه لهذا التجلي ، ما هذا معناه . هذا التجلي من تتمة التجلي الذي قبله . اي لم يبق بيان لهذا المشهد فان بابه الحيرة ؛ ولذلك عبر عنه بالاستعجام . — قوله : « حبيبي ! دعينا (فتركنا) فبقينا ... (الى) قوله : فابدى وجود الحق ما كان يكتم » ؛ اي جاء الوجد فابدى وجوداً لم يكن معلوماً قبل ذلك ، وهو المشار اليه : « ما كان يكتم » . وكل وجد لا يكون عنه وجود ، فليس بوجد محقق بل هو وجد طبيعي . والذي كان مكتوماً هو العبد ، لان التجلي يمحو آثاره . — وقوله : « ولاحت رسوم الحق منا ومنهم » ، اي كل من الحق والعبد دال [الاصل : قال : مخطوط برلين : اي ما] ان ما ثم إلا الحق — . والله يقول الحق ! » [مخطوط الفاتح : ٣٥ب—٣٦ا] . —

ا الأصل : شي . — ب الاصل : جزوا . — ت واشتغل HW ، واسمل K . — ث + حبيبي HKW . ج فتزلنا W ، فنزلنا H ، فنزلنا K . — ح الاصل : يطرأه . — خ وفقدت H ، وفقدت K . — د فابدى W ، فأبدا H ، فابدى K ، فابدى P . —

أبْدَى وجودُ وجده ما كان مكتوماً عليه : تحت غشيان حالة التأسر عليه . قبل تحققه بها . والمكتوم هو حقيقته الوسطية الكمالية : التي حكمها . بالنسبة الى عموم الانية والامكانية : على السواء . — ثم قال : « **ولاحت** رسوم الحق منا ومنهم » اي الحق المطلق الواحد اللائح ، بالتجلي الأوسع : من حضرتي عموم الانية وعموم الامكانية : المعبّر عنهما بقوله : « منهم ومنا » . فافهم !

(شرح) تجلي الحظ[٩١٧]

CIII

(٤٨٦) «حبيبي ! انظر الى حظك منك» وهو مطالعتك كل شيءٍ ا : حالة شهودك بالحق منك وفيك. فاذا اطلعت بالحق على كل شيء ا فيك : «فأنت» اذ ذاك : «عين الدنيا والآخرة» وعين ما فيهما. فانك، حالتئذ : نسخة جمع تفصيلها وتفصيل جمعها. «فان رأيتك ثمّ» اي في عين حظك بنفسك لا به : «فاعلم انك مطرود وخلف الباب طريح» فان باب ولوجك، في سعة الجمع والوجود، قلبك المنتصب بين غيب الوجود وشهادته. فان تقيّدت بنفسك وانحصرت على تقيدك بها، لم يفتح لك الباب بسر : «كل يوم هو في[٩١٨] شأن». فكنت مطروداً على الباب، مطروحاً خلفه.

(٤٨٧) ثم قال : «حظك يدركك فلا تسع ت له» أي اذا لم تنظر في عين الحظ بنفسك — فلا تسع له فانه يدركك من حيث لا تشعر. ثم قال : «حبيبي ! لا تغب عنه» في حضورك معك وتقيدك في شهودك بك، — «فيفوتك» أيْ الحق، من حيث أحدية جمعه، الموفية لك حكمَ كماله الذاتي[٩١٩] والاسماني جلاءً ج واستجلاءً ح. بل : «غب به عنك» تجد حظك به بحسبه، فترى الكل به. ولذلك قال :

(٤٨٨) صيّر د الأعين عيناً واحداً فوجود الحق، في نفي ذ العدد د

٩١٧) املاه ابن سودكين. «ومن تجلي الحظ [الاصل : الحق]. ونصه. «حبيبي ! انظر الى حظك .... في نفي العدد.». قال جامعه : سمعت شيخي يقول، في اثناء شرحه هذا التجلي، ما هذا معناه. اي انت المقصود من الدارين، فانت عينهما. وانت مقصودي من العالم. فان كنت ترى نفسك في عين الحظ، فاعلم أنك مطرود. وان رأيتهما، وما انت فيهما، فابشر بنيلهما من غير طلب لهما. — قوله : «صير الاعيان عيناً واحداً» (الى آخر) البيت، لانه — تعالى ! — لا يتعدد. فانظره بعين الاحدية في المجموع، من غير ان تعدده. — والله يقول الحق ! » [مخطوط الفاتح : ٣٦ا]. —

٩١٨) آية رقم ٢٩ من سورة الرحمن (رقم ٥٥). —

٩١٩) الكمال الذاتي : «هو ما يضاف الى الحق — تعالى ! — من غير اعتبار فعل وتعين وغيرية ومظهر. بل ما يكون تحققه للحق — تعالى ! — بلا شرط شيء أصلاً ؛ فيكون حقيقة «الكمال الذاتي» ظهور الذات لنفسها من غير اعتبار غير وغيرية. — الكمال الاسمائي : «ظهور الذات لنفسها من حيث كليتها وجمعها وشئونها واعتباراتها ومظاهرها، (ظهوراً) مفصلاً (بعد الاجمال) ومجملاً بعد التفصيل ...» (لطايف الاعلام : ١٤٤ا). —

ا الاصل : شي. — ب م K. — ت تسعى W. — ث بعث K. — ج الاصل جلاء. — ح الاصل : واستجلاء. — خ حب K. — د — د، و د — د K. — ذ رفع H.

(شرح) تجلي الأماني[٩٢٠]

CIV

(٤٨٩) «اماني النفوس تضاد الانس بالله — سبحانه ! — لانه لا يدرك بالأماني ولذلك قال (— تعالى ! —) : ﴿ وغرتكم الأماني[٩٢١] ﴾» فان النفوس . في تلاعب الأماني [f. 9ب] تنحصر على الموهومات وتفني في ملاذها المخيلة .

«واماني ا النفس ، حديثها بما ليس عندها ؛ ولـهـا حلاوة اذا استصحبها العبد ؛ فلن يفلح ابداً . هي » الى الأماني : « ممحقة الأوقات . صاحبها خاسر . لذتها ب ؛ زمان حديثها . فاذا رجع (العبد) مع نفسه لم يرَ في يده شيئاً ت حاصلاً ث . فحظه ما قال من لا عقل له :

«اماني ج ان تحصل ح تكن احسن المنى والا فقد عشنا بها زمناً رغداً[٩٢٢]»

«حبيبي ! تترك الأنس بربك لنية نفسك ؟ ما هذا منك بجميل .

(٤٩٠) لا يغرنك ايمانك ولا اسلامك ولا توحيدك ! أين ثمرته إن خ خرج روحك في حال امانيك ، وانت لا تشعر ما تكون د حالك ؟ وانت لا ترى بعد الموت إلاّ الذي مت علية . ولم يكن عندك سوى الاماني . فأين التوحيد ؟ واين الايمان ؟ خسرتَ وقتك ! » .

(٤٩١) «حالي وحالك في الرواية واحد ما القصد ذ الا ر العلم واستعماله»[٩٢٣]

هذا : كله ، غنيّ عن الشرح ومحصله : ان الإعراض عن الأمر الوجودي وتضييع الأوقات في الأمور الوهمية العدمية لا ينتج إلا غاية الخسارة.

---

٩٢٠) املاء ابن سودكين . «ومن تجلي الأماني (وهذا) نصه . «أماني النفوس تضاد.... ما القصد الا العلم واستعماله» . — قال جامعه : سمعت شيخي — سلام الله عليه ! — يقول ، في اثناء شرحه لهذا التجلي ، ما هذا معناه . الاماني متعلقها العدم ، فانها تضاد الانس بالله . وللأماني حلاوة وهمية ؛ فمن استحلاها لم يفلح ابداً ؛ لكونه في عن وقته الذي كان ينبغي ان يعمره بأمر وجودي باق فاشتغل بأمر عدمي ؛ لم ينتج له سوى الخسارة . فتحفظ من الأماني جهدك ! [fol. 36b] — والله يقول الحق ! » [مخطوط الفاتح : ٣٦ا–٣٦ب] .

٩٢١) جزء من آية رقم ١٤ ؛ سورة الحديد (رقم ٥٧) . —

٩٢٢) بيت يذكره احياناً في الفتوحات : ١ /٣٢٢ —

٩٢٣) البيت مذكور في ترجمان الاشواق لابن عربي (مقدمة) . —

ا اماني HW ، اما K . — ب ملذ بها H ، يلذ بها K . — ت شي PW . —
ث حاصل PW . — ج منى K . — ح تكن K ؛ + حقا K . — خ — W . —
د يكون KH . — ذ القصد H . — ر الى K . —

(شرح) تجلي التقرير[٩٢٤]
CV

(٤٩٢) «طلب الحق منك قلبك» ليقوم لاحدية جمعه بكمال المحاذاة: (و) ليكون مطمح جلاله ومنصة جماله ومجلى كماله. «ووهبك ا لك كلك» من القوى الباطنة والظاهرة والابعاض والاعضاء لتستعملها في مهامك العاجلة والآجلة، ومطالبك العالية والدانية؛ ولتقيمها كالحرس على قلبك، لئلا ينقلب عن محاذاة الحق الى مطالعة السوى. «فطهره وحلّه» عن صدأ الاكوان وقتر آثارها، «بالحضور والمراقبة والخشية» ونحوها؛ «كما اشار اليك في هذا بقوله (— تعالى —) ت: ﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً[٩٢٥]﴾.

«فاعطاك اربعاً ث وعشرين ساعة، وخصص منها اوقات فرائضك ج ما يكون فيها تصف ساعة ابداً: وقال لك. اشتغل بجميع اوقاتك في مباحاتك ح وأكوانك، وفرّغ لي هذا القدر من الزمان. وقد قسمته لك على خمسة اوقات، حتى لا يطول عليك.

(٤٩٣) «فانظر خ؛ يا أخي! أيّ عبد تكون؟ انظر هذا اللطف العظيم من الجبار العظيم! لو عكس القضية ما كنت صانعا؟

«ثم، مع هذا اللطف في التكليف، أضاف اليه لطف الامهال عند المخالفة. فامهلك، ودعاك، وقنع منك بأدنى خاطر وأقل نخة. بالله، يا مسكين! من يفعل معك ذلك غيره؟ — تبارز مثل هذا السيد الكريم؟ رب هذا اللطف العظيم والصنع الجميل، بالمخالفات [f. 94b] ولا تستحي د؟

(٤٩٤) «لا يغرنك أمهاله! فان «بطشه شديد[٩٢٦]» ﴿وكذلك[٩٢٧]

---

٩٢٤) املاه ابن سودكين. «ومن شرح تجلي التقرير. وهذا نصه. «طلب الحق منك قلبك...... افرس تحتك ام حمار!» — قال جامعه [الاصل: جامع] شرح هذا التجلي فيه لكونه ظاهر المعاني. وهو تجلي التوبيخ للعبد وإباءه (الاصل: وان باه) عن امر محقق يقتضي الادب الالهي ويستدعي الحضور التام وعمارة القلب دائماً. — والله يقول الحق!» [مخطوط الفاتح. ٣٦ب]. —

٩٢٥) آية رقم ٧، سورة المزمل (رقم ٧٣). —

٩٢٦) مجرد اقتباس من آية «ان بطش ربك لشديد» (سورة البروج: ٨٥) آية رقم ١٢. —

٩٢٧) آية رقم ١٠٢ من سورة هود (سورة رقم ١١). —

ا وهبك H. — ب وجله P. — ت (تعالى) (هي في أصل المتن): H. —
ث اربعة KWP. — ج فرايضك K، فرايضك W، فرائضك P. — ح مناجاتك H. —
خ انظر W، وانظر HK. — د تستحى H، تستحي K. —

اخذ ربك . اذا اخذ القرى وهي ظالمة . ان اخذه أليم شديد ﴾ ما لك قرية سوى نفسك. فاذا اخذها مثل هذا الاخذ! فمَن يقرأ ذ ومن يتعظ؟ــ الشقي من وُعِظَ بنفسه . وما وعظ الله أحدًا بنفسه » أي بالأخذ واهلاك. ــ « حتى وعظه بغيره » « من الانبياء والرسل وصالحي العلماء : ــ « من لطفه » وامتنانه . ــ « فانظر أيَّ عبد تكون ؟ » = أي ممن اتعظ بهم أو أعرض عن ذكرهم . ــ

(٥٩٤) « السابقَ ، السابقَ في حَلَبةِ ر الرجال . لا يغرنك من خانف فجوزي باحسان المعارف ووقف في أحسن المواقف وتجلت ز له المشاهد . هذا : كله : مكرٌ به واستدراج ، من حيث لا يعلم . قال له : اذا احتج س بنفسه » وما أعطى ها من سوانح المعارف ونفائس الحِكَم :

« سوف ترى ش اذا انجلى ص الغبار   افرس تحتك ض ام حمار ؟ »[928]

---

٩٢٨) البيت وارد في الفتوحات ١ / ٢٨٠ ؛ ٤ / ١٠٦ وفي الاحياء ٤ / ٨ .

ذ يقرا KW ، يقراه P ؛ يقرى H . ــ ر حليه K . ــ ز وتحلت K . ــ س + عليك KHW . ــ ش ترا W . ــ ص انجلى K . ــ ض تحت رجلك H . ــ

(شرح) تجلي نكث المبايعة[٩٢٩]

CVI

(٤٩٦) «المبايَعون» — اسم المفعول — «ثلاثة ا : الرسل والشيوخ الورثة والسلاطين» فالورثة هم الذين يرثون الرسل مقاماً وحالاً وعلماً شهودياً. فمنهم من يرث ، في الاتّباع المحمدي ، آدمَ وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ، وقلوبهم على قلوبهم . ومنهم من يرث المقام المحمدي خاصةً ، وقلبه على قلبه .

«والمبايِع ، على الحقيقة في هؤلاء ب الثلاثة ت ، واحد : وهو الله — تعالى ث ! — وهؤلاء ج الثلاثة ح ، شهود لله ح على بيعة هؤلاء خ الاتباع . وعلى هؤلاء خ الثلاثة ، شروط يجمعها : القيام د بأمر الله . وعلى الاتباع ، الذين بايعوهم ، شروط يجمعها : المتابعةُ فيما أُمِروا به .

(٤٩٧) «فأما الرسل والشيوخ د ، فلا يأمرون ذ بمعصية اصلاً . فان الرسل معصومون من هذا ، والشيوخ محفوظون . واما السلاطين ، فمن لحق منهم بالشيوخ — كان محفوظاً وإلاّ كان مخذولاً . ومع هذا ، فلا يطاع في معصية ، والبيعة لازمة حتى يلقوا الله .

(٤٩٨) «ومن نكث ، مِنْ هؤلاء خ الاتباع ، «فحسبه جهنم خالداً فيها ر لا يكلمه الله ولا ينظر ر اليه ولا يزكيه وله عذاب[٩٣٠] أليم» . هذا حظه في الآخرة ز . واما في س الدنيا ، فقد قال ابو يزيد البسطامي[٩٣١] ، في

---

٩٢٩) املاه ابن سودكين . «ومن تجلي نكث المبايعة . وهذا نصه . «المبايعون ثلاثة .... هذا نتيجة الوفا .»— قال جامعه . [الاصل : جامع] : تجلي نكث المبايعة مقتضاه التحريض على الوفا بالعهد لله — تعالى ! — ثم لانبيائه ورسله ، عليهم السلام ! ثم للشيوخ الأولياء ثم لأولي الأمر .» [مخطوط الفاتح : ٣٦ب—٣٧ا] . —

٩٣٠) مجرد اقتباس من آية ٢٠٦ (سورة البقرة : ٢) وآية ٧٧ (سورة آل عمران : ٣) . —

٩٣١) انظر التعليق الخاص بأبي يزيد البسطامي فيما تقدم تعليق رقم ٨٦٠ .

ا لله KP . — ب هولآء P . — ت الله P ، الثلاثه K . — ث تعلى W . — ج وهولآء WP . — ح الله KP ، السلاثه W . — ح لله H ، + تعالى H ، تعلى W . — خ هولآء P ، هاولاء W . — د القائم H ، القايم K . — د والاشياخ H . — ذ يامرون HKW . — ر— P . — ر نظر P . — ز الاخره W ، الاخرة K ، آلاخرة H ، الآخره P . — س — PW . —

حتى تلميذه لما خالفه : دعوا من سقط من عين الله . فرؤي ش بعد ذلك مع المخنثين ، وسرق وقطعت يده . هذا لما نكث . اين هو ممن وفى ص ببيعته ؟ مثل تلميذ[٩٣٢] داود الطائي ض ، الذي قال : ألقِ نفسك في التنور [95a E.] فألقى نفسه فيه . فعاد عليه برداً وسلاماً . — هذا نتيجة الوفاء ط » .

---

٩٣٢) تلميذ داود الطائي المراد به هنا هو معروف الكرخي وهو معروف بن فيروز او ابن الفيرزان ؛ وهو فارسي اسلم على يد الامام علي بن موسى الرضى . توفي في بغداد وقبره هناك ظاهر يتبرك به . وترجمته في طبقات الصوفية للسلمي ٨٣—٩ والحلية ٨/٣٦٠—٣٦٨ وصفة الصفوة ٢/٨٤ وتاريخ بغداد ١٣/١٩٩—٢٠٩ . اما داود الطائي ، فهو داود بن نصير ، ابو سليمان ، العالم الرباني . كان يختلف الى ابن حنيفة ثم تزهد واغرق كتبه في الفرات . توفي عام ١٦٥ھ ؛ انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١١/٢٢١ .

ش مرئ W ، فرى K ، فرئي H . — ص وما W ، وفا K . — ض الطالى W ، الطآى P ، الطاى K . — ط الوما W ، الوفا KP .—

(شرح) تجلي المعارضة[٩٣٣]

CVII

(٤٩٩) وهي انما تقع باعتبار دعوى العارف في نحو قوله : «لايشغلني شان عن شان كالحق» . ولذلك قال : « لا تزاحم من لا يفنى برؤيتك ! » أيْ لا تعارض من هو معك اينما كنت[٩٣٤] ؛ ولا يفنى برؤيتكا اياه كما تفنى ، انت ، برؤيته ب إيّاك حيث «تحرق سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره[٩٣٥]» وتفنيه . اذ ليس من شأن الحق ان يتأثر من شيءت ويذهل عنه ، عند حضوره مع الآخر . ولذلك قال : «فلا يشغله شان عن شان[٩٣٦] وذلك مخصوص ؛ » اذ للربوبية خصائص . وعدم اشغال الشان اياه عن شان آخر (هو) من « مفردات الربوبية » وخصايصها ، فلا يوجد في غيرها . ولذلك قال :

(٥٠٠) «ولا تغتر بقول عارف ، حين قال[٩٣٧] : «العارف لا يشغله

---

٩٣٣) املاء ابن سودكين . «ومن تجلي المعارضة . (وهذا) نصه . «لا تزاحم من لا يفنى ..... واترك ماله . » — قال جامعه : سمعت شيخ ، سلام الله عليه ! يقول : في اثناء شرحه لهذا التجلي : ما هذا معناه . لا تعارض موجوداً «هو معكم أينما كنتم» ؛ مع كونه «لا يشغله شان عن شان» . فاياك ان تدعي وتقول : انه لا تشغلني الأكوان عن مشاهدة ربي ؛ فليس [الاصل : وليس] الأمر كذلك : انما هو الحضور معه ، الذي يبقى لك ؛ مع رؤية الكيان . وفي الناس من يشتبه عليه ذلك (الامر :) فيجعل الحضور كالمشاهدة ، ويجريهما على باب واحد ؛ وليس ذلك كذلك . ولا تغتر بقول ذلك العارف : انه لا يشغله شيء عن ربه ؛ ولا يشغله ربه عن شيء . فهذا بابه قوة الحضور ، لا المشاهدة . : لانه ما اشهدك قط إلاّ أفناك عنك . وهو قول السياري ، رحمه الله : «ما التذ عارف بمشاهدته» . — والله يقول الحق.! » . — (مخطوط الفاتح : ١٣٧) . —

٩٣٤) اشارة الى الآية الكريمة : «وهو معكم اينما كنتم» سورة رقم ٥٧ (الحديد) آية رقم ٤ . —

٩٣٥) اشارة الى الحديث الشريف : «ان لله سبعين حجاباً من نور ، فلو كشف عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما ادرك بصره ، وفي رواية: ما انتهى اليه بصره» انظر سنن ابن ماجه ١ /٤٤ ؛ ورسالة القشيري ٤٧ ؛ وسفينة الراغب ١ /٢٩٢، ٣٠٠ ؛ وشرح الاحياء ٢ /٧٢–٧٣ وشفاء السائل ٣٢ (ط. الطنجي) . —

٩٣٦) اشارة الى الآية الكريمة : «كل يوم هو في شان» سورة الرحمن (٥٥ /٢٩) . —

٩٣٧) يروى عن ابي عبدالله المغربي قولا قريباً من هذا : «العارف من شغله معروفه عن النظر الى الخلق...» (جذوة الاصطلاء: ٣٢ب) — ويقول ابراهيم بن علي المريدي : «... ومن المحال ان يعجبك طعم ذكره ولا يشغلك عما سواه» (نفس المصدر : ٣٣ا) وهو في طبقات السلمي منسوب الى ابي حمزة البغدادي البزاز : ٢٩٦ . —

ا رؤيتك KP . — ب الاصل : برويته . — ت الاصل : شى . —

شيءٌ عن ربه ولا يشغله ربه عن شيءٍ » فإنه « انما اراد » بيان « قوة الحضور [٩٣٨] » أيْ قوة حضوره مع الحق : في مُطَّلَع الإشراف على [٩٣٩] الأطراف . وهو مقام يعطي الحضور مع الحق والخلق معاً . فعدم اشغال الشأن الحق عن شأن : من حيث شهوده : المستوعب : المحيط . وعدم اشغال العارف : من حيث قوة حضوره مع الحق « لا » من حيث « المشاهدة » فلا تعارض . وحيث احتمل ان يقول قائل : لِمَ لا يكون عدم اشغال العارف ايضاً من الشهود — قال :

(٥٠١) « فما أشهدك قطّ إلاّ أفناك وأبقاك له : ما أبقاك لك » حتى تقول : شأني أن (لا) يشغلني شأن عن شأن ! « فَخُذْ مَالَكَ واتركْ مَالَه » تَحْظَ من الحق بالتحقيق . —

---

٩٣٨) الحضور : « هو حضور القلب بالحق عند غيبته فيتصف بالفناء » (اصطلاحات الفتوحات ٢ /١٣٣ ؛) وانظر الفتوحات ٢ /٣ : ٤٣ه—٤٤ ؛ واصطلاحات الصوفية لابن عربي . —

٩٣٩) مطلع الاشراف على الاطراف هو مقام تعانق الاطراف ، اي اجتماع الاوصاف المتقابلة وتوافقها : وهذا مظهر من مظاهر اطلاق الذات ، المسمى باطلاق الحرية لا بشرط شيء . لطايف الاعلام ، بتصرف : ٩ : ٤١ ؛ د ١٦٠ اب ، د ١٦٥ ب . —

ث ثي P ، ثي HK

(شرح) تجلي فناء الجذب[٩٤٠]

CVIII

(٥٠٢) اعلم ان حالة اضطرار السائر : عند انقطاع الاسباب عنه : تجذبه الى الحق المدعوّ. فلا يجد : حالتئذ : متعلقاً سواه. فانه : اذ ذاك : في مقام علا عن رتبة الاسباب والتأثر منها. ولذلك يجيبه الحق على حظه بفنائه ا فيه وبقائه ب به. فلما وجد السائر (أنّ) ما أولاه الحق أعظمُ من حظّه : الذي اضطر في طلبه اليه — تزهّد فيه عن حظه : رغبةً فيما اغناه الحق المجيب في بقائه ب بعد فنائه ت. ولذلك قال : قدس سره :

(٥٠٣) « لم يغنَ عن ت الأشياء ث » المتعينة بكونها اسباباً موصلة : « ولم يبق بالله الا المضطر » اذ لا سبب إلى وصوله الى حظّه في الله - الا العناية التي من آثارها : فناؤه ج عن الاسباب وبقاؤه ح بالمسبب. « ولهذا يجيبه[٩٤١] » في دعائه خ. »

« فعلامة الاضطرار : الاجابة . وهذا فناء الجذب » « أي [f. 95b] فناؤه د في الحق : الذي جذب اليه السائر بحكم الاضطرار. — « لانه ما فنى فيه الا لحظ ذ نفسه » الذي جُذب السائر اليه — تعالى !

---

٩٤٠) املاه ابن سودكين. « ومن شرح تجلي فناء الجذب. وهذا نصه. « لم يغن عن الأشياء . . . . حظي عين وصل. » — قال جامعه : سمعت شيخي : سلام الله عليه ! يقول : في اثناء شرحه لهذا التجلي : ما هذا معناه. تجلي فناء الجذب هو تجلي الاضطرار. يقيمك الحق في حالة تنقطع عنك فيها الأسباب : فلا تجد متعلقاً سواه : فتستند اليه استناد الاضطرار. فيكون ما ابتلاك — (وهو) ما اعتقدته بلاءاً — هو عين النعمة والرحمة في حق السعداء. لان حالة الاضطرار لا تتوقف على المؤمن فقط. ثم انه ما فني إلا لحظ نفسه : وهو محل اضطراره : فلما جذبه اليه وأشهده تجليه ورآه في حظه : ترك حظ نفسه وزهد فيه. فقيل له : ارجع ! فقال : الى اين بقيت ارجع ؟ وما كنت اعلم ان الأمر هكذا. فالحمد لله الذي جعل حظي عين وصلي ! » [مخطوط الفاتح : ١٣٧ا] : —

٩٤١) اشارة الى قوله — تعالى : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ... » آية رقم ٦٢ من سورة النمل (٢٧). وانظر تحليل حالة « المضطر » من الوجهة النفسية والروحية في « ختم الأولياء » للحكيم الترمذي : مخطوط الفاتح رقم ٣٢٢٣ / ١٥٥ب. —

ا فناP. — ب الأصل : بقاءه. — ت الاصل : وبقاءه. — ث الاصل : فناءه. — ثَ من H. — ث الاشياءP ، الاسماءH. — ج الاصل : فناءه. — ح الاصل : بقاءه. — خ الاصل : دعاءه. — د الاصل : فناءه. — ذ يحظ KH. —

لأجله . « فلمّا رآه ر » اي الحق وما أغناه الحق به في بقائه ز ؛ « زهد في حظّه » اليسير وبقي على ماله من الحق .

« فقيل له : ارجع ! » بحظّك : وبالزوائد الموهوبة لك ، الى مقامك . « — قال : ما علمت س الأمر » الذي أُعْطيتُ في اضطراري ، « كذا . فالحمد لله الذي جعل حظّي ش عيَن وصلي » حيث صار الحق ، في البقاء ، حظّي !

ر رآه K ، رأه P . — ز الاصل : بقاءه . — س علمت H . — ش خطى K . —

(شرح) تجلي ذهاب العقول ا (٩٤٢)

CIX

(٥٠٤) هذا التجلي لِمَنْ يتقلب مع الأنفاس. فيعطيه واحدُ العَيْنِ: في كل زمن فرد، ما بحسبه من الاسرار الغامضة الخفية. حتى يُدرِك اسرار كل شيء ب في عين سر واحد خفي، مختص بآن واحد:

٩٤٢) املاه ابن سودكين. «ومن شرح تجلي ذهاب العقول. وهذا نصه. «المعرفة الحقيقية .... من هو من اهل الله – تعالى! – والسلام!» – قال جامع هذه المنح الالهية: سمعت سيدي وشيخي وإمامي – سلام الله عليه! – يقول، في اثناء شرحه لهذا: التجلي: ما هذا معناه. من تمكن من تدقيق الزمان ومعرفة دقايقه، وما يكون للحق في كل زمن فرد من الاحكام والتجليات – فانه [الأصل: فاجابه وكذا مخطوط برلين والتصحيح في مخطوط فيينا] العارف للحق عن امر واحد في كل زمان بما يعطيه حكم ذلك الزمان، لا (ينتقل ذلك الأمر ولا) ينحكي، اذ وقت العبارة عن الزمن المسئول عنه يكون الحكم فيه لزمن آخر من مرتبة ثانية تعطي حكماً آخر. فكلما سُئل (العارف) يقول: لا فرق بيني وبينك فيما تسأل عنه، فاني مشغول بوارد الزمان الثاني عن الزمان الأول. وكلانا، في هذا الباب، سواء. وهذا (هو) الاتساع الالهي الذي لا يقبل التكرار في العالم. وان رأيته أنت مكرراً فليس بمكرر، وانما ذلك حفظ ما مضى لك وتذكرة به؛ فرأيته في عالم حفظك، وكان الآتي في الزمن مثله، لا هو. قال الله – تعالى! – «وأتوا به متشابهاً» اي في الصورة. ومعلوم انه ليس في الحكم بمتشابه. – وقوله: «حتى يعود»، يريد ما قاله الجنيد، رضي الله عنه! عندما سُئل ان يعيد وارده ويمليه ليكتب عنه. فقال: «ان كنت اجريه فأنا أمليه» (وانظر الفتوحات ٣/٢٠٠). وهذه الحكاية ذكرها القشيري، رضي الله عنه، في رسالته (ص ٢٤). وقد احببت ان اذكرها هنا على نصها. وهي هذه «قيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب (انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ١٨٠ وطبقات الشافعية للسبكي ٢/٥١)، انت تتكلم على كلام كل احد. وهنا رجل يقال له الجنيد؛ فانظر، هل تعترض عليه ام لا؟ فحضر حلقته. فسأل الجنيد عن التوحيد. فأجابه. فتحير عبدالله وقال: اعد علي ما قلت: فأعاد، ولكن لا بتلك العبارة. فقال عبدالله: هذا شيء آخر لم احفظه. تعيد علي مرة أخرى! فأعاد بعبارة أخرى. فقال عبدالله: ليس يمكنني حفظ ما تقول، أمله علينا. فقال: إن كنت اجريه فأنا امليه! فقام عبدالله وقال بفضله واعترف بعلو شأنه». رحمة الله – تعالى! – عليهما. [الأصل: وهذا ما انتهى الينا من شرح التجليات بفضل الله تعالى وعونه وعوايد جميله ولطفه وبره واحسانه. والحمد لله على ذلك اولا وآخراً وظاهراً وباطناً. عفى الله عن كاتبه ومؤلفه وحافظه و(ا) ناظر فيه .... [ورقة ٣٧ا–٣٧ب]. مخطوط برلين: نجزت التجليات بحمد الله – تعالى! – وتوفيقه على يد العبد الفقير الى رحمة الله تعالى وعفوه وكرمه في سلخ جمادى الأول سنة اثني وثلاثين وسبعماية على يد زكريا بن يحيى الاقسراي. عفا الله.. عنه والسلام (على الهامش) مع المقابلة. مخطوط فيينا: تم شرح التجليات بعون الله وفضله وحسن توفيقه في نهار الخميس التاسع من شهر ربيع الثاني سنة ١١٤١ على يد العبد الضعيف الفاني محمد بن محمد الميداني. ختم الله له ولوالديه .....]. –

ا العقل KH – ب الاصل: شي. –

لا ينال ذلك السر ولا ينجلي إلاّ في ذلك الآن. فاذا أخذته العبارة في الآن الثاني. لا تفي بالمقصود. إذ للآن الثاني: سرّ وعبارة تخصه وَهَلُمَّ: الى لا غاية. ولذلك قال:

(٥٠٥) «المعرفة الخفية: أنوار تشرق ت. فان أخذتها العبارات: فلسان لا يعقل وخطاب لا يفهم. فاذا ردّ» عليه: انكارًا: «يقال له: ما قلتَ؟ — يقول: ما قلت. — فيقال له: لا ث ينجلي ما قلتَ لما فيه من الخدوش. «فيقول: لانه لم ينسمع ج» كما ينبغي. — «— فيقال له: أعد! — فيقول: حتى ح يعود!» اي الآن الذي خص به ما قيل. فان مقولي: اذ ذاك: لا يسعه إلاّ ظرفه الخصوص. ولا تكرار في الوجود حتى يعود بعينه[٩٤٣]. وما تراه: أنت: في صورة التكرار — فليس إلاّ تعاقب الامثال المتغايرة. —

«وعن مثل هذا يرتفع الخطاب: فانه مجنون» أيْ مستور عليه حكم

---

٩٤٣) يقول ابن عربي:

ولا اقول بتكرار الوجود ولا عود انتجلي فما في الأمر تكرار
البحر بحر على ما كان من قدم ان الحوادث امواج وانهار
لا يحجبنك اشكال مشكلة عن تشكل فيها فهي استار
وكن فطيناً بها في أي مظهره فان ذا الأمر اخفاء واظهار

مخطوط شهيد علي باشا ١٣٤٤/١٨٠

هذا جانب من جوانب الفكرة الاساسية في مذهب الشيخ الأكبر، اعني فكرة الخلق المتجدد او الخلق الجديد. ولنستمع الى تعريف لطائف الاعلام: «الخلق الجديد يعني به ما يفهم من باب الاشارة من قوله تعالى «بل هم في لبس من خلق جديد». وذلك ان هذه الآية الكريمة كما يفهم منها، بحسب ظاهر عبارتها، ما نزلت لاثباته من حشر الاجساد وتجديد الخلق في يوم المعاد — فكذا يفهم منها ما تشير اليه، في مقتضى ذوق الكمال بلسان الخصوص المفهوم لاهل الله؛ من تجديد الخلق مع الانفاس. فكما ان الكفار في لبس وشك من تجديد الخلق في يوم القيامة؛ فكذا اهل الحجاب في لبس وشك من تجديد الخلق مع الانفاس. فان كل ما سوى الحق.. من جميع مخلوقاته... لا بقاء لشيء منها. بل هي متجددة الوجود لحظة فلحظة. فهي لا تزال في فناء يعقبه بقاء، هكذا دائماً مع الانفاس... فلولا تجدد الفناء والبقاء لكان الامداد تحصيلاً للحاصل. لانه يكون ابقاءاً للباقي وايجاداً للموجود...» (ورقة ٧٥ب). وانظر الشرح المفصل لهذه الفكرة في

L'Imagination créatrice..., IIe partie, chap. I.
La récurrence de la création...; 149-154.
La double dimension des êtres, 154-161.

ت يشرق K. — ث ما يحلى K، ما ينحكى H. — ج يسمع H، سمع K. —
ح + اعود او HK. —

ما مضى من الآنات وما يأتي منها. فانه مع الآن الحاضر دائماً. ليس لشهوده سبيل الى ماضٍ وآتٍ قط. «ونِعمَ الجنون»! هو. —

(٥٠٦) وقد نبّهَ. قدس سره! في خاتمة الكتاب. النفوس المبتهجة بالعصمة عن خلطات الزيغ والعناد: بكلمة جامعة إنْ طرقت الاسماع الواعية وخالطت معانيها القلوبَ الأرْيَحيَّة — تجذبها الى محل النجاة وتُحلّيها بحُليّ الاصابة وتنشئها في السابقين بروح الحسنى وزيادة. وهي قوله: «صحة التوحيد وكتمان الاسرار وحسن الظن فيما لا يعلم؛ من علامات مَنْ هو من اهل الله. والسلام خ!».

(٥٠٧) اللهم! يا مَنْ توالى فيض فضله على العالمين
تارةً بقدر افتقارهم اليه
وتارة بقدر امتنانك عليهم —
متّعْنا [f. 96b] بشهود أنوارك
وكشف أسرارك
ورشف مدارك
في محلّ يجمع لنا بين الكِفْلَين من رحمتك
الموزعة على الكافة.
واهدنا في التحقيق الى غاية
يقوم بها المقرّبون
وعيونهم قريرة بحُلى الجمال
ونعمى الكمال
والمواهب الجزيلة الى الأبد.
وأقمنا على سواء سبيلك
هادين مهتدين
غير ضالين ولا مضلين.
واحرسنا بعين عنايتك
في حماك المنيع

خ — KH؛ + والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، تمت H؛ تم ÷ K. —

من هجوم الاهواء
ورجوم الاعداء
وظنون الاغمار
ونزول الاقدار
وغلبة الاشرار .
فان الرجاء بفضلك واثق
والوثوق بلطفك صادق .
فارزقنا خير ما عندك
في الحال والمآل
وسائر الاحوال .
ولا تحرمنا من ذلك بسوء ما عندنا
فانك الجواد الكريم
الرؤوف د الرحيم
وصلى الله على سيدنا وسندنا
محمد وآله وصحبه اجمعين . — وسلم تسليما !

د الاصل : الروف . —

رحلة الاب ارسانيوس شكري اروتين الحكيم

(تابع)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

استعمار كايين Cayenne

وفي هذا التاريخ وصل امر من السلطان في بهريز وما يليها بان جميع الفقراء الاولاد والبنات اليتامى وجميع الذين بغير صنعة والعواطلية من نساء ورجال ياخذونهم الى جزيرة Cayenne قد احتلوا بها السلطان لكي يعمروها لانها خراب ويجعلوها مسكناً للبشر لانها ارض حسنة وكبيرة جداً لكنها خراب فامر السلطان بان يأخذوا لها ستين الف نفر من بلاده (ص ٩٩) وايالتها لكي يعمروها فما كنت ترى في النهار والليل سوى الزعيق والبكاء والعياط واقع في بهريز وازقتها لان جميع المأخوذين يؤخذون غصباً وقهراً في اي مكان صدفوا واحداً واحداً او واحدة من هؤلاء المذكورين يجذبونهم قسراً اولاد وشباب وبنات حالاً يحملونه في القوجية ويرسلونه الى خان هناك لكي يصيروا وجبة تحرز ويرسلونهم .

فبعد هذا صار الرجال المتعينة على هذا العمل ياخذون لكل من يرونه ويستفردونه فعند ذلك قامت اهل بهريز على قدم وساق وكنت تسمع وترى كل يوم في اغلب ازقة بهريز قتالاً وقتلى الى حد يوم ١٥ حزيران وكان حاكما نهار سبت ونحن بالبيت وقت الغذاء واذا .بوجبة عظيمة على بابنا مكان نحن فيه ساكنين لان بيتنا بيت قاضي ذلك الصائح واذا داخل الى تلك الدار قدر عشرة انفار لاوند بعدة كاملة وبينهم شاب ابن عشرين سنة او اكثر ووجهه ورأسه وكل جسده مجروح والدم سائل من ساير جسمه وخارج باب الدار يمكن قدر عشرة الاف آدمي مع الصياح والعياط من جميع البشر واراد الخلق ان يهجموا على اللاوند لداخل الدار فسكروا في وجههم الباب لان باب تلك الدار متين مثل باب قلعة فبدت البشر الخارجون يرجمون الباب مع الشبابيك بالاحجار وكسّروا الباب شقفاً وكسروا ما كان من البلور على الشبابيك وجرّحوا وفجّوا كثيرين من اهل الدار وبعد كسرهم الباب هجم الناس على اولئك اللاوند ووقع بينهم (ص ١٠٠) ضرب السيف وضرب التفنك ووقع واحد قتيل تحت الشباك الذي نحن

واقفون نتفرج فيه وبعد هذا قدرت العالم على اللاوند واخذوا منهم ذلك الشاب الخرج وقتله العامة قدام شباكنا بالاحجار والعصي وبعد ان قتلوه ربطوه من رجليه وجبوه الى قدام بيت الحاكم بهريز وسبب قتله كان عواني على اهل البلد من جهة الذين ياخذونهم الى الجزيرة المذكورة وسبب اخذهم ايده مسحوباً بالحبل من رجليه الى قدام بيت الحاكم لان الحاكم عاطيه هوى ومقربه على اعوانه ورجموا بيت الحاكم وكسروا بلور شبابيكه وبعده صار الخبر الى بقية اللاوند حالاً ركب جمهور كبير لاوند مع مقدمهم وفي ايديهم السياخ والسيوف وجاؤا لناحية بيت الحاكم وهزموا العالم من على الباب وكنت ترى ذلك اليوم مثل ايام القيامة في بهريز وسكنت الاحوال وبعد كم يوم وقع التمسيك والشنق من الذين كانوا مقدام هذه الامور وفي فرنسا ترى كل جمعة يوجد جماعة للشنق والتكسير ولم يعتبروا ووقعت اشياء كثيرة عدلنا عن ذكرها خوفاً من ملل القارئ.

الزينة في ميلاد ابنة الدلفين

وفي ٢٨ حزيران ولدت حرمة الدولفين اي ابن السلطان بنت ولو تولد ذكراً لصار لنا خير عظيم وبعد ولادتها بكم يوم عملوا في بهريز حراقة عجيبة وغريبة من كثر الصناعات المصنوعة من البارود وكنت ترى الليل كالنهار لانك تشاهد شموساً واقماراً ونجوماً وسماوات واشياء ما تقدر تصفها باللسان وهذه الحراقة تكلفت سبعماية وخمسين كيس دراهم هذا والمولود بنت ولو كان المولود صبياً لتكلفت هذه الحراقة الفين ومية كيس هكذا قرروا لنا الذين لهم اطلاع ابصر كيف تكون هذه الحراقة المكلفة سبعماية وخمسين كيساً وبعد الحراقة امر الملك بزينة في بهريز والبلاد في الليل فقط فكنت ترى (ص ١٠١) انظام الثريات والقناديل والفنارات والفوانيس شيء يدهش العقل لانهم ينظمونهم نظام كتابات ومدايح للسلطان اشياء تقرأ بسهولة وقصور وقلاع ومراكب وغير اشياء ما يمكن تشخص بالكتابة وكل البلد تراها شاعلة بنار ولا مكان الا ومزين ولا زقاق حتى النهر ترى على وجه الماء قيق ونيران تظن بان النهر احترق ومع هذا كله تسمع اصناف النوبات والموسيقى في كل الازقة والاسواق والخمر مثل الماء ما في من يشرب وتفريق الدراهم لا تسأل عنه وملاعيب ووجوه لابسين ومساخر اشياء عجيبة وناهيك عن بهريز وزينتها وايضاً في ورسالية عملوا حراقة مكلفة عظيمة تكلفت اربعماية وسبعين كيس دراهم.

وفي ٢٤ ايلول مضينا الى مكان يسمى الكلوير Calvaire وهذا المكان هو كنيسة مبنية على راس جبل ومعمر فيه جميع الاماكن التي كانت في القدس الشريف وفيه جميع الاسرار التي تمت في الام السيد المسيح وهي معمولة بشكل عجيب بمثل صلاة المسيح بالبستان ومسكه وجلده واتيانه لعند بيلاطس ولعند حانان وقايافا وهيرودوس وحمله الصليب وصلبه ووقوعه تحت الصليب وقبره وقيامته وصعوده وارسال الروح القدس وبالنتيجة جميع الاسرار واحد واحد وكل سر قائم بذاته في شكل كنيسة صغيرة وحده وما ناقص كل سر سوى النطق لانه شيء عجيب نظنهم اشباح ناقصهم الروح فقط اشياء تخشع القلب الحجري وما قاسته سيدتنا مريم العذرى وما احتملوه التلاميذ والقبر مثل القبر الموجود في القدس الشريف قده وكسمه ودرجه فرد شيء وحقاً انها فرجة عظيمة وعجيبة .

في ورسالية Versailles

في ٢٨ منه رحلنا الى ورساليه لكي نودع الملكة والدولفين وغيرهم من الذين احسنوا الينا المحبين لاننا بقينا على نية (ص ١٠٢) السفر من بهريز وايضاً لكي نعمل حال الى اصحاب الديون لكي يصبروا علينا لانه وصل الى الاب ارسانيوس في هذه الايام مكاتيب صعبات فبعد ان وصلنا الى ورساليه وتشاورنا مع الذين يقدرون ان يساعدونا فاتفق الرأي على اننا لا نخبر الملكة بهذا الامر بل نبقيها الى شغلة تكون اكبر من هذه بل اننا نعطي عرضحال الى الوزير الاعظم منّا اليه من غير واسطه فكتبنا عرضاً وقدمناه من يدنا الى الوزير .

فارسل لنا الوزير الى عند افندي الديوان وهو ادمي لكي نفهمه جميع ما نريده مشافهة والمذكور يحكي مع حضرة الوزير فلما مضينا الى عنده رأينا ان موسه كاد وموسه سنتامان Saint Amant قد كتبا الى الوزير ضدنا والى افندي الديوان واخبراه ان رهبتنا ما لها نية تفي لاحد شيئاً وقد ارسلت من قبلها اناساً الى اسلامبول والى مصر وقد شحدوا مبلغاً يحرز وما وفوا الى احد شيئاً وكاتبين غير اشياء مضرة في حقنا ورأينا الرجل متخلقاً علينا كثيراً فوقع بيننا الجدال فاراد ان يضبط ما في يدنا من الشحادة ولانهم هكذا كتبوا له فاخذ الاب ارسانيوس يحاوله ويتقاتل معه حكم ثلاثة ارباع ساعة ولكن جدال يحرز ولم يزل يقطع عقله حتى اصلحه وازال من عقله جميع ما بلغوه اياه من الشر واخذ خاطره فبعد ذلك اوعدنا في قنطين بلو

يتكلم مع الوزير من خصوصنا ويعمل اشغالنا على الكيف لان الملك ثاني يوم كان عازماً على الذهاب الى فنطين بلو مع عيلته واهل المملكة الكبار لانه يمكث هناك حكم شهرين وفي كمبانية شهرين لاجل التنزه والصيد .

ويوم الاثنين مضينا لكي نسلم على الملكة فرأيناها عازمة ذلك الوقت على الذهاب الى الكنيسة لتقداس فمضينا الى نحو باب الكنيسة لكي نتفرج على الالاي وعلى دخولها الى الكنيسة فابتدأ العسكر يمشي ناس بعد ناس بالحراب والبندق وبعدهم اقبل منسنيور الدولفين ابنها وبعده الاتباع وبعده عسكر الملكة والاشراف والكردينال والاكابر الدولة وبعد كلهم اقبلت الملكة محمولة بالهودج الملوكي المكلف وحاملوها جملة اشراف فاشرفت من الهودج فابصرتنا فقبل ان تدخل الى باب الكنيسة وخلفها زوجة الدولفين ابنها وبناتها الثلاث مع جملة (ص ١٠٣) الاكابر وقواد العساكر فوقفت في باب الكنيسة ووقف كل الماشين ورفعت يدها واشارت الى الاب ارسانيوس ان يتقدم الى عندها .

فحالاً تقدم الاب ارسانيوس الى امام الهودج وعمل ما واجب عمله من تعظيم الى عظمة قدرها والدعا والخضوع فقالت له قد سمعت انك مريض الآن فكيف حالك فاجابها الاب اشكر الله يا سيدتي انني بنظرك بخير فقالت له احترس على صحة جسمك كل بالي عندك فاستكثر الاب بخيرها. فقالت له كيف اشغالكم هل احد يعترضكم او يضاددكم بشيء فقال لها الاب يا ستي الملكة اذا كان نظرك ونظر حضرة الملك علينا من يقدر يتعارضنا والآن قد جينا لكي نودع جلالتك ونرجو فضلك ان لا تنسينا مع رهبنتنا من حمايتك لان رهبنة مار انطونيوس الفقيرة مع رهبانها لم تزل تصلي وتطلب العون لحضرة صاحب السعادة والى كافة عائلتكم الملوكية واستقامة ملككم .

واستقامت تتحدث معي حكم ثلاث او اربع دقائق وجميع العساكر والاشراف واقفين وناظرين الى هذه الالتفاتة العظيمة ثم عملت لها تمني ورجعت وهي دخلت الى الكنيسة وصار كل اثنين يتحدثان بما رأياه من هذه الالتفاتة من ملكة فرنسا الى راهب شرقي غريب او قريب شيء لم يصر ابداً ثم امرت اننا نمضي نرى ابنة الدولفين الجديدة التي كان بلغ عمرها قدر اربعين يوماً فمضينا لكي نراها فرأينا على باب مخدعها الحراس

والبندق واخدام مثلها على باب ابنة السلطان الكبيرة فطلبنا حسب امر الملكة فمضت جليسة الملكة الثانية استاذنت من الدوشيس المعينة على باب ابنة الدولفين الجديدة وكانت اتي طلبت الاذن مادامًا اوزليه شاطلين (ص ١٠٤) الى ان صار الاذن وقلنا لهم ان الملكة امرتنا وصار اخذ ورد وعجق الى ان دخلنا .

فرأينا مثلها في خدمة ابنة السلطان الكبيرة بوابين وجليسات وخدام ورجالاً واشرافاً مع نساء اشراف واقفين هكذا لا فرق ابداً والمرضعات والمربيات ليلاً ونهاراً بالنوبة على الخدمة ثم جابوا تلك الابنة قدموها الينا وابصرناها وصلينا عليها واستقمنا عندهم قدر ثلث ساعة نتكلم معهم وندعي للبنت واعطونا اثني عشر غرشاً وخرجنا من عندهم وتغذينا عند واحدة مادامه من جليسات الملكة وفي ٩ تشرين الاول رجعنا الى بهريز ومضينا الى عند رهبان من رهبنة ماري اغوسطينوس .

مفترجات بهريز

ونظرنا عندهم في الدير ساعة شمسية قد عملها احد رهبانهم اسمه البادري ادور وهذه الساعة مصورها في الحائط وعلى الارض ومشخص بها الابراج الاثني عشر وايام السنة الثلاثماية وستة وستون يوماً وكل يوم ما له من درجات الشمس وكل برج صورة الفلك المستولي عليه وعامل لمدخل الشمس ثقوبة قدر مصرية كل واحد . وكل يوم تدخل الشمس من ثقب وكل شهر يبان فيها انتقال الشمس من برج الى برج وفي الاعتدال الربيعي والخريفي تقع الشمس على خط الاستواء المصور في هذه الساعة الشمسية وفيها معلمية فلكية عجيبة وهي في بهريز من جملة المفترجات المعتبرة جداً جداً لانها شيء عجيب حقاً وايضاً تفرجنا على مكان داخله العذراء مريم وابنها وملوك الفرس واتباعهم الجميع من شمع كافور وهم صنعة عجيبة والرجل الذي بيده يفرج الناس عليهم حين يبتدي يتكلم مع العذراء تبتدئ العذراء تأشر بيديها على ابنها وتتكلم من غير صوت بل بحركات يديها وعينيها مثل انسان حي وحين يتكلم عن الملوك المجوس (ص ١٠٥) تراهم يتقدمون ويقدمون هداياهم بكل وقار وسجود حين يتكلم عنه اتباعهم تراهم يعملون اشارات العبادة وحين يتكلم عن يسوع يبتدئ الطفل يفتح عيونه وثمه ويبكي وتسمع صوته مثل صوت الولد الصغير ويفرك عيونه بيديه ويقترح مثل الاولاد

الصغار حين يبكون ويبحث بيديه ورجليه ويصرخ ولا تظن الا انه ولد حي صغير ناطق لان مدينة بهريز حاوية على جميع صنائع الدنيا وكل شيء يصير في بهريز يصير اكمل مما يصير في غير هنالك يكفي ان ما يكون له مانع طبيعي ومعلمين كثير من الذين تكنسوا بلغات مختلفة .

روان Ronua

في ١٩ تشرين الاول درنا لينا مكاتيب توصية باطنتات من الرهبان الى جميع المدن التي نريد نسلكها في برطانيا ونرمنديا من بلاد فرنسا ورحلنا يوم التاسع عشر من بهريز الى سان جرمين الذي هو بعيد عن بهريز خمس ساعات ونزلنا عند رهبان الريكوله من رهبنة مار فرنسيس واستقمنا عندهم الى يوم الثالث والعشرين ورحلنا من هناك في قوجيه يجرها سبعة رؤوس خيل الى روان وكان داخل تلك القوجيه ثمانية انفار واحد راهب يسوعي وواحد اكليري Clerc ونحن واربعة انفار رجال ونساء .

وفي ٢٦ دخلنا روان فرأينا ان مطران روان ما هو موجود في روان بل في مكان بعيد عن روان سبع ساعات ففرقنا مكاتيب التوصية التي هي معنا واخذنا ننتظر مجيء المطران لناخذ منه دستور الشحاده وقد سمعنا من الكثيرين انه غير ممكن ان المطران يأذن لكم ان تشحدوا في ابرشيته فوقعنا في المرض القديم الذي كنا واقعين فيه حين دخلنا بهريز وهذه المدينة غنية (ص ١٠٦) جداً متجرها كبير واكثرهم بازركان ويدخل اليها مراكب كثيرة من البحر الى النهر الجاري في وسطها وهو المسمى سين Seine وهو الجاري في كل فرنسة وهذا النهر في روان عريض جداً ومركب عليه جسر مبني على شخاتير وعريض جداً ويسلك فوقه اثنا عشر خيالاً صفاً وعلى اطراف الجسر من الجانبين يسلك فوقهم ثمانية انفار وارض هذا الجسر مبلط جميعه بالحجر وطول هذا الجسر حكم اربعماية ذراع ومع كل ذلك حين يصل اليه مركب تراهم يفتحونه من نصفه يصير مثل زقاق يمر منه المركب وبعد يرجعونه مثل الاول مع انه مبلط وله مصاطب كما ذكرنا على طوله وفي نصفه مبني اوضتان كل واحدة تسعة اذرع وتسع خمسة عشر نفراً ام عشرين ومع كل هذا ينفتح لمرور المركب ويرجع وتسلك فوقه قوجيات وعجلات وخيل وحين ينقص الماء يرجع الجسر الى ما كان عليه وعلى كافة هذا النهر مخازن على طول النهر وكل مخزن نظنه خان او كنيسة عمارة مكلفة غير ان عمارة مدينة روان ما هي مكلفة مثل عمارة بهريز .

وبها كنايس بناء قديم وعجيب قوي مكلفات وهم ست وثلاثون كنيسة ما عدا الديورة وكنيسة نطردام مكلفة واحسن من كنيسة نطردام بحريز وثمّا جرسها واحد وستون قنطاراً حليباً وخمر هذه المدينة قليل ويشربون ماء التفاح عوض الخمر غير ان اللحم والطير والجبن والنجاص والتفاح كثير ورخيص واسم هذا الجرس الكبير المذكور جورج فرمبواز ويحتاج خمسة وعشرين نفر الى دقه حين يدقونه .

وبها دير البنديكتين وهو (ص ١٠٧) دير مكلف جداً وله كنيسة مكلفة جداً ثم الشرطروز Chartreux اي رهبان السكوت لهم دير خارج المدينة بعد ثلثي ساعة وهو بناء جديد وبناه من دير وبناء عجيب ومكلف جداً وذهبنا الى عندهم وعملوا لنا واجباً كثيراً وتغذينا عندهم غذاء مكلفاً وعندهم خمر طيب واجتمعنا معهم في اوضة الريس حكم ساعة ونصف وقوي صار لنا معهم الفه واعطانا اربعة غروش حسنة .

وحضرنا في روان عيد جميع القديسين في كنيسة نطردام اي كنيسة السيدة الكبيرة كنيسة المطران ودقوا ذلك اليوم الجرس الكبير المسمى جورج فرمبواز الذي صوته يرعد المدينة وسبع مرات يدقون هذا الجرس في السنة بسبعة الاعياد الكبار وسبعة ماية قدم دوره وسمكه نصف ذراع وعلوه خمسة اذرع سلطاني وهو مركب في مكان صعدنا اليه بثلاثمئة درجة كل درجه اعلى من نصف ذراع ويوم عيد جميع القديسين واجهنا المطران وهو قبلنا بوجه بشوش واعطانا اذن نشحد في ساير ابرشيته اربعة اشهر وذلك بسعي وكيله لان جبنا له مكاتيب توصية من بحريز واعطانا المطران ثمانية غروش حسنة ووكيله اعطانا غرشاً .

ثم بعده ابتدينا نشحد في جمعة واحدة كنيستين ولكن عطاهم قليل لان اهالي هذه المدينة بخيلون واعطونا اوضتين لاجل السكنى بكراء ثلاثة وثلاثين غرشاً بالشهر وهذا ارخص ما يكون .

فبعد ثمانية ايام جاء خوري ذلك الصايح وقال لنا اسمعوا مني اخرجوا من هذا البيت لان حيث هذا البيت عاطل وهذا شيء يضر بسمعتكم ولم يعد احد يشحدكم فصرنا في خطرين ان استقمنا هناك نخاف لئلا يتلف اسمنا وان خرجنا نخصر الذي يتبقى لنا من السلف (ص ١٠٨). لاننا كنا اعطينا سلفاً من الاول ولكن رأينا بان طلوعنا انسب لنا لاجل اسم رهبنتنا ولو خسرنا السلف الباقي فاخذنا نفتش على غير مكان فما قدرنا نحصل

لنا مكاناً مناسباً فعرضنا امرنا الى الخوري المذكور وعلى غير خوارنه وعملوا بينهم مشورة وسألوا عن المكان الذي ساكنينه فراوا بان الامر بخلاف ما كان يظنه الخوري والبعض من المحبين قالوا لنا ان الامر خلاف فعدنا ذلك الوقت استقمنا هناك الى حين رحيلنا من روان وصار لنا محبون كثيرون في روان ولكن عطاهم قليل.

ثم نخبر عن نهر روان. انه كما ذكرنا عريض جداً بالمدينة ويجري خارج روان مسافة ثماني عشرة ساعة ومنه يختلط بالبحر من ناحية مدينة دياب التي هي في ابرشية المطران المذكور وهذا النهر هو من العجائب لانه مشهور بالمد والجزر كل اربع وعشرين ساعة يفيض وينقص مرتين وذلك تابع لايام القمر لانه في ابتداء القمر يصير المد من نصف الليل الى قبل الظهر بساعتين ولم يزل فيضه الى الوقت المذكور قبل الظهر وحد فيضانه يصل الى حد بعد الظهر بساعتين ومن بعد نصف الشهر يبتدئ ينقص زيادانه الى حد اخر الشهر الى ان يرجع الى اصله اي قبل الظهر بساعتين وهذا معتاده دائماً لانك تراه صباحاً فايضاً الى حد ما ومن بعد الظهر ترى صار النقص به ويرجع الى الاولي وهذا المد والجزر الذي في هذا النهر هو جائئ من قبل البحر لان البحر حين يمد تراه يدخل الى النهر ذلك المد ويحشر ماء النهر ويرده الى الوراء ومن هذا يفيض ماء النهر وترى المراكب دائماً متنظره مد البحر لكي تقدر تدخل بسهوله الى النهر وتدخل منه الى روان لان بدون المد لا تقدر السفن تدخل في النهر ولا الى روان وكذلك ايضاً اذا ارادوا الخروج من روان على هذا النسق ينظرون المد والجزر وقد (ص ١٠٩) اظهروا لنا الاباء اليسوعيين في هذه المدينة محبة زايدة وشحدوا لنا من مدرستهم ثلاثة وثلاثين غرشاً وثلثاً.

وفي هذه المدينة يعتري اهلها مرضان وهما مرض السكتة والثاني مرض البيتي وهو انه يصير جسد المعتري بهذا المرض شبه جلد النمر مبقع كله باسود وابيض لانه نوعان ومن يموت بهذا المرض ان لم يدفنوه بعد موته باربع ساعات والا يتمزق جسمه ويتناثر وهذه الامراض تصير الى اكثر سكان هذه المدينة.

ورهبان سان بنوا Saint Benoit لهم بهذه المدينة دير قديم وكبير جداً ولهم كنيسة ما رأينا في فرنسا مثلها من حيث حسن عمارتها وبناها المكلف جداً ومن يقف في اولها لا يفرق الامرأة من الرجل اذا كان واقفاً في آخرها من

كبرها وطولها وعلوها وهي معقدة بالقناطر وتلعيب البناء شيء يدهش العقل وثم داخل الدير بيت مائدة تراه مثل عمارة الكنيسة ويا ما من مائدة طولها قدر مائة ذراع تجاري وعرضها مقدار عشرين ذراع ولها ستة عشر شباكاً بلور كل شباك قدر باب مدينة وجميع الشبابيك ملبسون من البلور ومصور بهم جميع آلام المسيح واسراره جميعها واسرار مريم العذراء وغير اشياء جميلة تدهش العقل واكلهم طيب وتغذينا عندهم جملة امرار ولكن اكلهم صيامي من غير ظفر من انواع البيض والحليب والسمك من غير اللحم وقد عزمونا ايضاً رهبان الغليان بضيافة مكلفة قوي ولكن مرادنا كانوا يطعمونا خبزاً فقط ويعطونا الذي تكلفوه على هذه الضيافة كان اوفق لنا .

وبعد ان استقمنا كم يوم في روان صار لنا عز وشأن وافر لانهم صاروا يتهادونا من كنيسة الى غيرها لكي نقدس عندهم وكل كنيسة كنا نقدس بها كنت ترى ازدحام الناس علينا مثل ازدحام القداس الكبير يوم عيد عظيم والكهنة ترافقنا من كنيسة الى غيرها وقال لنا (احد) من بعض الكهنة يا ابانا قداسكم علمنا كيف يجب علينا ان نحترم الاسرار الالهية وكيف نقدس مع انه كل كاهن هناك حين يقدس تراه كانه ملاك . انظر الى تواضعهم .

ورأينا هناك ساعة مركبة على بوابه وهي ساعة كبيرة جداً حتى سميت الساعة الكبيرة ، ومن كبرها تراها معبية البوابه (ص ١١٠) وعرضها من اعلاها وقد نظرنا ساعات كثيرة في بهريز وغير اماكن ولم نرَ قدر كبر هذه الساعة .

وابرشية المطران بهذه المدينة كبيرة جداً لان (فيها) يبلغ الف وثمانماية كنيسة وكل كنيسة ولها رعية قايمة بذاتها ومن حيث الغنى غنية جداً جداً وقد رأينا بها اغنياء اذا ارادوا ان يعرفوا كم يملكون من الاموال يتعبون كثيراً وما يقدرون يعرفون على التحقيق كم يملكون وهذه المدينة مرتبة الاحوال والنظام وبها مجمع برلامنت parlement اي جمهور المتشرعين ولها شريعة قائمة بذاتها تخص البازركان وحدهم وشريعة تخص احوال البلد ونظامه والدعاوي بهذه البلد حالا يقطعون الشريعة ويحكمون بخلاف شرايع الافرنج.

اليسارى

وفي فرنسا رهبنات لا عدد لها جزنا عن شرحهم لاجل الطولة ولكن نقول عن رهبنة الماتورين Mathurins وهذه الرهبنة تلبس ابيض ولها ثوب السيدة ولها ثوب مثل ثوب الكرمتانيه وهذه الرهبنة تشحد طوال السنة من فرنسا ومن جميع الممالك ومنها جمعوه بعد معيشتهم ولوازمهم يرسلونه مع جماعة من رهبتهم الى بلاد الغرب مثل تونس الغرب وطرابلس الغرب وبقية الجزائر ويفكون به اليساري الموجودين هناك من المسيحيين .

ولما كنا في بهريز سافر من عند هذه الرهبنة ثلاثة انفار الى الغرب وبعد خمسة اشهر رجعوا الى فرنسا بمائة وخمسة يسارى ومن الجملة حرمة وابنها معها وحين وصولهم الى فرنسا كل بلد الذي يمرون بها يعملون لهم زياحاً مكلفاً ويمشي اليسارى في وسط الزياح ومن جانبي الزياح بعض كنائسيين يشحدون للرهبان المذكورين حتى يصرفوا على اليسارى ومنها ينيض بعد المصروف يبقونه ايضاً لاجل مشترى يساره وقد جمعوا اموالا كثيرة من هذه الزياحات وفي ١٥ كانون الاول وصلوا اليساره المذكورين الى روان وعملوا لهم (ص ١١١) زياحاً في روان وحضرناه وهو زياح مكلف مثل زياح الجسد وصار ضرب مدافع كثيرة وكان طول الزياح قدر ثلث ساعة وهو مركب من رهبان وكهنة واولاد مدارس وبيارق وسناجق وبدلات وغفارات وحاملين عود الصليب المقدس وصورة سيدتنا مريم العذرى واليساره في النصف وحول كل يسير قدر عشرة اولاد صغار لابسين كتونات بيض وبعضهم لابسين لبس ملائكة بجناح وعلى روؤسهم اكاليل البعض منهم من الذهب والبعض من الفضة والازهار ومزنرين بزنانير فضة شكل الجنازير وروس الجنازير في يد اليساره وجميع اهل البلد تراهم مع الزياح لاجل الفرجة وترى اكثر من مايتين اب كهنة شحادين على الطرفين يشحدون لاجل هذه الرهبنة واطلاق اليساره ثم انه استقام هذا الزياح قبل الظهر بساعتين الى ست ساعات بعد الظهر وترى الطبول والزمور والآلات الطرب مرافقة الزياح والتراتيل والانغام شيء يسكت عنه .

عند مطران روان

وفي ٦ كانون الاول ارسل قدس المطران كلفنا لكي نتغذى عنده ثاني يوم ولكن لتعلم بان هذا المطران هو من اكابر فرنسا اولاً لانه ابن

اكبر اشراف فرنسا وثانياً لانه كردون بلو Cordon bleu[1] اي صاحب وظيفة سلطانية مثل الوزير ثالثاً لانه اكبر كنايسائية سلطانة فرنسا ورأسيم رابعاً لان له ابرشية من اكبر الابرشيات الموجودة في فرنسا لان مدخول ابرشيته كل سنة مايتا كيس دراهم وهو غني جداً ومحبوب من الجميع حتى يوم الذي ظهر خبر اننا انعزمنا عنده بلغ الخبر الى كل البلد انه عزمنا لغذاء عنده .

وذهبنا ثاني يوم لعنده فاستقبلنا بكل محبة وبشاشة وجلسنا عنده معه على المائدة وكان موجوداً على المائدة نحو من قنطار فضة من اواني وغيره ومن حيث الاطعمة والخمر شيء يسكت عنه ما رأينا ولا اكلنا مثله ابداً ولا شربنا مثل ذلك الخمر ووجد على مايدته اثنا عشر نفراً من أكابر الكنائسيين سكان روان وتفاوض معنا بالحديث كثيراً وسألنا عن رهبنتنا وعن جملة رهباننا وعن ما يخص الشرق والزم الى نايبه ذلك اليوم بأن يعزمنا لعنده ثاني يوم وثاني يوم الذي هو عيد ميلاد الرب (ص-١١٢) بالجسد تغذينا عند نائبه صحبة جماعة من الاكابر الكنائسيين الذي كل واحد مدخول وظيفته الكنائسية عشرون كيس دراهم كل سنة وبعده شحدنا ثلاثة ايام عيد الميلاد في ثلاث كنائس هذه اساميها : كنيسة السيدة وكنيسة المطران وكنيسة سان طوين وايضاً كنيسة الايسوعية وقد اوقدوا في ذلك اليوم في الكنيسة اليسوعية قدر التي ضوء ما بين شموع وقناديل وغير اشكال اضوية وجميع هذه الاضوية معمولة شكل كتابات وزهور وغير اشياء ووضعوا المزود مع الحيوانات والرعاة كانهم شيء طبيعي وبيوم عيد الختانة ايضاً صنعوا جميع ما يخص الختانة وجعلوا تلك الاضوية بنوع آخر احسن نظام من يوم الميلاد .

ملعوب الاوبرة Opera[2]

وفي ٣٠ من الشهر ذهبنا مع الخوري الى كنيسة مار بطرس والى كافة نهر روان فرأينا واحداً هناك ناصباً بيتاً كبيراً قدر قاعة كبيرة وداخله

---

١) وسام فرسان الروح القدس وصليب القديس لويس كان ملوك فرنسا قبل ثورة ٨٧ يمنحونه الى ذوي المقامات العليا .

٢) حوالى سنة ١٩٦٥ في سينما ريفولي في بيروت نصب جماعة من الطليان مسرحاً لماريونت marionnettes كانت تمثل عليه روايات اشخاص اصطناعية صغار وكانت معلقة بخيطان يحركها الفنان بحركات أشبه منها بالطبيعية فتبدو للناظرين اليها من بعيد كأنها تمثل الفعل من تلقاء ذاتها

مملوء كراسي وخانات منظومة ثلاثة مقامات وكل مقام وله اجرة معلومة اي الذي يجلس في المقام الاول يعطي ثلاث مصريات والمقام الثاني يعطي ست مصريات والمقام الثالث يعطى اربع مصاري وناصب هذا البيت على حافة النهر وهو رجل بندقي الاصل وفي هذا البيت شكل قنطرة كبيرة مثل مذبح كبير وعليه موضوعة عدة اشخاص مقدار الفي شخص منظومي الوضع وحيث ان الناظر يبصر كل بمفرده من تلك الاشخاص ومن جملة هذه الاشخاص منظوم ميلاد السيد المسيح وكلما يخصه من حيوانات ورعاة وملائكة ومار يوسف وسيدتنا مريم العذرى وغير جنود كلما يخص بيت لحم والميلاد فابتدأ المعلم صاحب هذا الملعوب يتكلم اولا مع الرعاة ويخبهم على الذهاب والسجود الى يسوع المولود في بيت لحم فحالاً تحركت الرعاة بحركة كانها طبيعية ونزلوا هداياهم عن روؤسهم بكل احتشام وورع ووضعوها امام مريم العذرى وامام (ص ١١٣) ماري يوسف وسجدوا على ركبهم امام يسوع وبدأوا يومون بايديهم وروؤسهم على موجب ما كان يتكلم صاحب الملعوب وكان بين هوءلاء الرعاة واحدة ابنة فجلست عند رأس الطفل وانحنت بكل احترام لتنظر الى وجه الطفل وفي ذلك الحين بدئ الطفل يبكي ويتحرك بيديه ورجليه ورأسه كانه ولد حي عمال يبكي ففي الحال تلك الابنة تسلمت السرير الراقد عليه الطفل واخذت تحركه كما الوالدة تحرك السرير الى ولدها وتفعل اشارات كانها تتكلم معه ولكن كل هذا بحركة كانها طبيعية ثم بعده ظهر نجم يضيء في ذلك المذبح وصار يمشي في سماء ذلك المكان كانه كوكب وظهر بعده ملوك الفرس راكبين على خيول مكللة وجمال ونوق واتباع وعساكر وجنودهم تابعين النجم وخرجوا من باب مكلف في ذلك المكان كانه باب مدينة والخيل ماشية بهم وذلك الباب واطئ فكل واحد منهم انحنى واحنى رأسه تحت الباب مثلما يكون انسان ذو عقل ولم يزالوا سايرين حتى قربوا من دار هيرودوس فعند ذلك غاب عنهم النجم واذا بواحد جندي من جنود الملك اخرج بوقاً كبيراً شكل زمر ورفعه على فمه ونفخ فيه صوتاً حتى كاد يسمع من مسافة فحالاً انفتح هناك باب بيت هيرودوس وظهر منه جندي بيده بوق مثل ذلك البوق وزعق فيه وكان يميل على الجانبين اي يعطي خبراً الى الجانبين وبدأوا

اما تلعيبها فكان بواسطة يد الفنان الخفية وراء المسرح والبعد بينها وبين الناظرين يحول دون تمييز الخيطان التي كانت تلعبها . وان ما رأيناه منها في بيروت دليل على ان صاحب الرحلة صادق بما قاله وقد ابدع بوصفه في هذا المشهد كما في غير ذلك مما قاله عما رآه من عجائب وغرائب تكاد لا تصدق.

يتخاطبون مع بعضهم عن اين يولد المسيح وظهر حالاً هيرودوس وهو جالس على كرسي وديوانه حوله مع عظما اليهود واجناد وعساكر واخذ يسأل عن محل فعند ذلك خرجت الفرس من المدينة وعند خروجهم ايضاً احنوا رؤوسهم لاجل قصر الباب وكل واحد منهم كان ينحني تحت عتبة الباب ويمر (ص ١١٤) فعند ذلك حين خروجهم من المدينة ظهر نجم النجم وبدأوا يتبعونه حتى انتهوا الى حيث الطفل حالاً نزلوا عن خيلهم والجنود الذين معهم تسلموا تلك الخيول والملوك اخذوا قرابينهم بيديهم واتوا الى حيث الطفل وتبدوا كل واحد بعد رفيقه على ركبهم وكنت ترى كل ملك حين يسجد يأتي واحد من اجناده ويرفع التاج عن راسه وحين ينهض الملك يسجد بكل وقار وهيبة ويقبل يد الطفل ويضع الهدية امامه وترى الطفل حالاً يميل رأسه الى نحو الملك ويظهر على ذاته اشارة الرضى والفرح ويفرفح بيديه ورجليه كانه فرح ثم ترى مريم العذرى ومار يوسف يشكران فضل ذلك الملك وقبل ان ينهض الملك يرجع ذلك الجندي يضع التاج على رأس الملك والثلاثة ملوك قدموا هداياهم على هذا النسق وخرجوا مسافرين من غير ذلك الطريق الذي اتوا منه فبعد ذلك هيرودوس جمع مجمعاً من احبار اليهود وتحقق منهم عن اين يولد المسيح واظهر امارات الغضب جداً وامر بقتل كل اطفال بيت لحم واذا بجلاد مقبل وفي يده ولد طفل ماسكه من يده وامه وراءه تبكي وتتململ على الجلاد وذلك الجلاد ضرب ذلك الطفل بالسيف وقطعه شطرين فحالاً ام ذلك الطفل وقعت ميتة بعد ان لطمت على وجهها ثم بعده رأينا قطيع غنم ظهر في ذلك المكان كانه غنم طبيعي لا فرق وبدي يرعى واذا بديب كاسر خرج على ذلك القطيع فبدأ كلب الراعي ينبح كثيراً مثل نبح الكلاب بكل صراخ والراعي نائم وهجم ذلك الديب على تلك الاغنام وخطف غنمة وذهب واذ بالراعي انتبه من رقاده واخذ عصاه وركض في اثر ذلك الديب ولحقه وبدأ يضربه بذلك العصا والديب راكض في اثر الغنم وداخل بها الى مغاره هناك ولحقه الراعي وغاب الاثنان واذ بعد قليل خرج الديب وفي فمه الغنيمة من غير طريق والراعي يضربه بالعصا وغابوا الجميع عن العين فما رأينا والا بظلمة عظيمة كانها ليل دامس واذا بساعة تدق من ذاتها فبعد ان دقت الساعة واذ بديك ظهر ورفرف (ص ١١٥) بجناحيه وزعق ثلاثة اصوات كانه صوت ديك طبيعي ثم بعده طلعت الشمس من فوق الجبل ولكن شمس حقيقية تضي ولها شعاع وبدت تتعالى مثل الشمس فعند ذلك نهض واحد

راهب حبيس بثياب رهبان وبيده عكاز وبيده الاخرى جرس فرفع قلوسته ونظر الى فوق ودق الجرس الذي بيده فحالاً نهضت تلك الاشخاص الموجودة وبدأوا جميعهم يشتغلون من كافة الصنائع والحرف مثل حدادين وصياغ وكسارين حطب : حلاقين : خياطين ومن ساير الحرف وكنت تسمع اصوات الجواكيج والآلات مثل اصوات الالات المدنية ترى الحدادين ثلاثة يدقين على فرد سندان والمعلم بيده الكلباتين وماسك الحديد والجواكيج طالعين ونازلين مثل شغل البشر المعلمين شيء يدهش وكذلك بقية الصنائع جميعهم يشتغلون مثل شغل هؤلاء كانه طبيعي ولا يفرق شيئاً ابداً وكل منهم مشغول في شغله وحين يقصر احد في شغله من هؤلاء يزعق فيه صاحب الملعوب يبتدئ يشتغل بعجلة وبعد ذلك زعق عليهم حتى يبطلوا شغلهم فوقفوا جميعهم بطالين فبدأ يشتغل كل واحد بمفرده ويتكلم معه ويامره وذاك يطيع ما يامره وبعده غابت الشمس وطلع القمر والنجوم فعند ذلك امر المعلم الى صاحب الارغن ان يعمل موسيقى فحالاً نهض شخص والتفت ظهره الى البشر وجلس على كرسي وعمل نوبه بالارغن مثلما يكون انسان وحين يتكلم صاحب الملعوب يسكت الارغن والشخص الذي يدق الارغن يلتفت الى نحو البشر ويتفرج عليهم كانه انسان ويسمع ما يقوله المعلم وحين يسكت المعلم ترى الشخص يركض الى الارض حالاً ويبتدئ يدق بالارغن ولكن موسيقى صحيحة فبعد هذا الملعوب واذا بكل ما كان تغير وظهر رجل ذو هيبة عظيمة وظهر نوح وبدي ذلك المهيب يخاطب نوح ويامره بعمل السفينة لانه يريد يرسل طوافان عرمرم فبدأ (ص ١١٦) نوح يعمر السفينة الى ان كملت حالاً ظهر نوح وعائلته وفتح كوة السفينة فبدت الحيوانات تقبل من جميع انواع الحيوانات منها زوجان زوجان ومنها زوج وبدأوا يدخلون السفينة من غنم وبقر وغزلان وبقر وحشي وسباع وحمير والنتيجة من اجناس الحيوانات وكلهم اشياء طبيعية كانها احياء وبعده وردت من جميع اجناس الطيور وجميعهم يدخلون من كوة السفينة ثم بعده دخل نوح وعيلته وبعد قليل واذ بغيم كثيف ظهر من وراء الجبل وصار ظلام وبدأ البرق والرعود والصواعق وفتحت ميازيب السماء وانفجرت ينابيع الغمر وكلما له الرعد والبرق والصواعق بزيادة حتى صار وهم على كل الارض وبعده خرج ذاك الراهب الحبيس الذي مر ذكره وصار يدق جرسه ويزعق قد دنى آخر الزمان وبعد قليل واذا بالسفينة عايمة على وجه المياه وكنت ترى البشر مخنوقين على وجه الامياه والبعض يسبحون على

وجه الماء لكي ينجوا بانفسهم وبعده يختنقون وكل هذه الاشياء ما تنظرها الا شيء طبيعي فتعالت الامياه فوق الاجبال العالية وما بقي على وجه الارض ولا نفس حية . وتلك السفينة عايمة على وجه الامياه ثم اخذت الامياه تنقص قليلاً قليلاً فعند ذلك فتح نوح كوة السفينة وسرح الغراب فمضى ولم يعد بل انه كان يرعى من لحوم البشر المخنوقين من جسم الى غيره ثم بعد ذلك سرح نوح الحمامة فمضت وحامت على الامياه ورجعت الى السفينة الى عند نوح ثم سرحها مرة ثانية فرجعت وفي فمها عرق الزيتون ولكن حين رجعت رأت ان السفينة مغلقة فوقفت على جانب السفينة الى ان فتح نوح الكوة ودخلت وكل هذا بحركة تدهش كانها حية وبعد هذا انكشف الغيم وظهر قوس وقدح داخل الغمام وظهر ذلك المهيب يخاطب نوحاً واعطاه (ص ١١٧) العهد وكل هذا كانك ناظر لشيء عياناً من غير ان يفرق عن الاشياء الطبيعية وسرح نوح الحيوانات التي كانت معه في السفينة وخرج مع عيلته وكمل الملعوب . انظر الى هذا الملعوب كم مكلف دراهم . وبعد خلوصه زعق صاحب الملعوب على صاحب الارغن فدق نوبةً وختم بها الملعوب .

وفي ١٤ منه رحلنا من روان الى البوف Elbeuf وسافرنا في سفينة في النهر المسمى السين والسفينة مكلفة قوي وكبيرة تسع مقدار ثلاثماية نفر وما تكلفنا سوى خمسة عثمانية على كل نفر والسفينة نظيفة بخوانات ومساند حتى الراكب لا يتعب وبعد وصولنا الى البوف وشحدناها واستقمنا بها سبعة ايام وجمعنا بعد مصروفنا من مدينة البوف ثلاثة وخمسين غرشاً وصار لنا بها عزية وضيافات كل يوم صباحاً وعشية وهناك دير راهبات ارسلين urselines عملوا لنا عزيمة مع عزية زابدة واعطونا احد عشر غرشاً احساناً .

البوف هي قصبة بعيدة عن روان خمس ساعات وهي غنية جداً بها ثمانون كرخانة جوخ احسن جوخ فرنسا يخرج من عندهم وهذه الكرخانات على حافة النهر وحول هذه القصبة ضيعتان رنجيال[1] غير اغنياء اسم الواحدة كوتيه والاخرى اميات ومناخ هذه القصبات طيب جداً ومرخصة لان اللحم والطير رخيص لان الديك الخصي - قدر الديك الهندي مشوي حاضر ثمنه ثلاث عشرة مصرية وخبزها طيب وشروبهم ماء التفاح وثمن سوداية الخمر خماني مصاري وبها كنيستان الواحدة لمار يوحنا والاخرى لمار اسطفان وكل

١) رنجيال = عمال كذا في قاموس برتلمي في اللغة المحلية .

كنيسة ذ اخوية موجودة لدفن الموتى الذين هم من البوف . تشتمل هذه الاخوية على اربعة عشر نفر اغنياء وكل سنتين يغيروهم ويضعون غيرهم وهؤلاء يحملون الموتى ويقبرونهم ويعطون عنهم قداديس وكل جمعة يقدسون قداساً كبيراً للموتى مع غير قداديس وهم علامة هذه الاخوية (ص ١١٨) ويشتركون بها انهم حين يدخلون الى الكنيسة يضعون على كتفهم شكل بطرشيل عريض وله من ورائه شكل صورة قبر ملزوق فيه وكل جمعة يتغذون يوماً واحداً .

وفي ١١ رجعنا الى روان لكي نكمل شحادتنا وشحدنا شنوان نطرضام Chanoine Notre Dame وكتبنا عرض حال الى كبانية الاسرانس من الذين يضمنون ارزاق المسافرين في البحر ولم يعطونا شيئاً بتكلم ان كل منا اعطى بمفرده وفي تلك الايام قبل بكم يوم صار فرتونه في البحر وخسروا مثل مايه غرش لان غرق بهذه الفرتونه جملة مراكب ومضينا هناك الى عند رجل حكيم المارستان مال روان اسمه موسى لاك ورأينا عند المذكور قاعتين ملآنتين اشياء عجيبة وغريبة من كل الاشياء كلها عمل هندسة وبعض حيوانات اشكال وانواع ورجال ونساء مجردين من اللحم وهم عظام ومنهم مصبرين البطن والامعه والعروق وهم باقين على حالهم ومن جملة القطع التي عنده بندقية يعبيها من الهواء ويقوس بها رصاصاً من غير بارود وقد قوس بها رصاصة على دفة سميكة قدر اربعة اصابع ونفذت فيها الرصاصة الى الوجه الاخر ونفذت الى الحائط قدر اصبعة وقد عباها مرة واحدة وقوس بها خمسة عشر قواساً ونفذ كل قواس من الدق وهي معباية من الهواء وترمي الى خمسين فشخة بعداً .

ورأينا عنده غير عجائب لاجل تفريغ الهواء من الاين (؟) وغير اشياء التي ترمي ناراً من الهواء من غير واسط كلها اشغال هندسية عجيبة. وصفة اخراج هذه النار هي هكذا: كرة زجاج بلور قدر بطن صلاحية[1] مدورة ومسدودة الفم ومركبه على دولاب محفوظة جوانبها بتلويب من الخشب الصلب وعليهم الزفت والتلويب المذكورات معلقات ببكر والبكر لهم وتار شبه دولاب غزالة القصب او دولاب الفتالين وامام تلك الزجاجة قصبة قدر ذراع ونصف من التنك ورأسها مسدود نحو الزجاج وملفوف عليه شريط

١) الصلاحية هي القنينة وتعرف ايضاً بالالفية وصاحب الرحلة من بيت الحكيم او الطبيب وله المام باواني العقاقير والصيدلية .

اصغر وهذا الرأس يدق تلك الزجاجة ورأس (ص ١١٩) تلك القصبة الاخرى رفيع ومثقوب صغير وحين يريد ان يخرج النار يأمر واحداً ان يدير ذلك الدولاب الكبير بسرعة والمعلم او غيره يضع يده على تلك الزجاجة فبعد قليل ترى النار خارجة من ثقب تلك القصبة التنك مثل شرار نار وكثيره هذه النار نار حقيقية لانه حرق بها روح النبيذ جملة امرار ومن العجب انه منها وضع هذه الزجاجة لا يخرج منها نار ما لم يوضع عليها يد انسان وزعم جميع المعلمين ان هذه النار هي نار الحرارة الغريزية التي في الانسان. وعنده زجاجة ملآنة ماء صافياً وفيها قطعة شريط نافذ من فمها يوضع ذلك الشريط في فم تلك القصبة التنك ترى حين تخرج هذه النار تدخل الى الصلاحية وتصيرها كانها كرة نار وجميع الحاضرين يحسون بوجع في ظهرهم اذا اندقروا بهذه النار كانه احد جذبهم بعصا على ظهورهم وزعموا اصحاب الهندسة ان هذا شيء طبيعي.

بلاد دياب

ثم في ٢١ شباط رحلنا من روان الى بلاد دياب Dieppe وكان رحيلنا في قوجيه طويلة يسحبها اربعة رؤوس خيل وكنا اثني عشر نفراً داخل هذه القوجية نساء ورجالا وقسيساً كبوجياً من الجملة وكنا متضايقين جداً لاننا كنا على بعضنا لا نقدر نتحرك وقد تضايقنا جداً حتى حسبنا ان ارواحنا ضجرت والطريق توحل جداً من شدة الامطار وعادت القوجيه تغرز في الارض الى قرب قلب الدولاب وتهنا في الطريق حتى لزم صاحب القوجية ان يستكري واحداً لكي يهدينا على الطريق وتعذبنا بهذه الخطرة قوي كثير وكان تناتنا يومها سبع ساعات ونمنا تلك الليلة في ضيعة وكانت عشاؤنا فخذه غنم منتنة مبشحة وقضينا تلك الليلة تعباً وجوعاً لا اراك الله مكروهاً وتاني يوم سافرنا على هذا النسق وكان نهار تلج وبرد شديد وبعد الظهر بثلاث ساعات وصلنا الى دياب ونزلنا عند الكبوجيين وقبلونا (ص ١٢٠) بكل محبة لكن ذلك اليوم فقط وتاني يوم قالوا لنا بطريق المحبة واعتذروا منا ان ما عندهم مكان ولا فرشات سوى الذي اعطونا اياهم ومزمع ان يأتي لعندهم تلك الليلة رهبان والرئيس ليزوروا ديرهم فلزم اننا نبصر لنا موضعاً لنسكنه.

وفي ٣ شباط (اذار ؟) فرقنا مكاتيب التوصية على اصحابهم ومن جملتها

مكتوب الى واحد بازاركان اسمه موسى داويد والمذكور قرأ مكتوبه واعطانا عشر مصريات وما اراد يتكلم معنا ومكتوب ايضاً الى مدامه لوراند فما رادت ان تبصرنا ولا اخذت مكتوبنا بل ارسلت لنا تماني مصاري وغيرهم كثيرون ما اعطونا شيئاً وبعده بيوم اخذنا مكاتيب الى الخوارنة فالخوري الواحد رأينا فقبلنا واعطانا اذناً نشحد مثل باقي الفقراء في باب الكنيسة لانه رجل جعيدي لا يفهم كلام ولا يترك المتكلم يتكلم من شدة عياط فما قدرنا نستوفي معه معنى فرحنا عند الخوري الآخر فالمذكور قبلنا بكل محبة واوعدنا انه يعمل لنا كل جهده باسعافنا وانه وجد عنده خوري ذلك النصايح فاعطينا مكتوباً ووعدنا بكل محبة واخذنا اوضة في ذلك المكان وفي اليوم الرابع مضينا الى عند حاكم البلد وعند الاكابر المتكلمين وقرأناهم امر السلطان فاذنوا لنا بالشحاده واستقمنا الى اليوم الاحد لكي يوصوا لنا في الكنائس فيوم الاحد شحدنا مدينة دياب وصار لنا محبة من اهل المدينة وصاروا الجميع يلحقونا من كنيسة الى كنيسة لاجل سماع قداسنا لكن اهل مدينة دياب ما هم خيّرين وكان ايام شحادتنا كلها برد شديد وهذه المدينة قوي باردة حتى انهم يضعون مناقل النار على المذبح لكي يقدروا يقدسون.

وهذه المدينة بحر وجميع اهلها على كيسهم مراكب لصيد السمك وغالب تجارتهم من السمك وبها اغنياء (ص ١٢١) وكثير منهم اراطقة اي كلوينية وعمارة هذه المدينة جميلة جديدة وسبب تجديدها لان الانكليز من مدة سنين حاربوا هذه المدينة وحرقوها وهدموها بالاطواب والقنبرات فلاجل ذلك عمرها الفرنساويون عمارة جديدة وهي معمرة على فرد علو كأنها سطح واحد ولا حيط اعلى من حيط والامكنة كلها متساوية وبها ثلاث كنائس.

القول على مدينة دياب بهذه المدينة الكنائس ثلاث الواحدة سان جاك واحدة سان رمي والثالثة في الصائح البراني وبها دير للكبوجيين وايضاً الى الكرملتانية وغيرها وبها ينتهي نهر السين المذكور الجاري في كل فرنسا وهواء هذه المدينة رفيع طيب احسن من (غير) اماكن ولكن بردها شديد جداً والمعاش والسمك وغيره رخيص وخمرهم ماء التفاح والفواكه كثيرة والطيور كثيرة واسكلة هذه البلده قوي حسنة لانها عمارة سلطان فرنسا حديثاً حتى تدخل المراكب للمينه بسهولة الى حد البلد وتخرج من البلد بسهولة من

غير واسطة لان المينا على حافة البلد ومعمره من الحجر وشيء متين قوي واستقمنا بهذه المدينة اربعة عشر يوماً.

وفي اليوم الخامس عشر رحلنا الى مدينة سان ورلي بعيده عن مدينة دياب ستة ساعات ودخلناها في ١٥ شباط وصار لنا تعب كثير بالطريق وهذه المدينة قصبا بالنسبة الى غيرها لكنها باب بحر واهلها جميعهم متجرهم السمك لان على كيسيها مراكب جملة لاجل صيد السمك وسمكه هو الزنكله anguille وهنا مكان الذي يجي منه الزنكله الى كل البلاد وغالب اهلها متظاهرون بالفقر لان على ما بلغنا من اناس ثقاة انهم اغنياء ولكن كسمهم وعيشهم فقري لانهم بكسم فلاحين ولا لهم اكل مثل بقية البلاد التي مررنا عليها وبخلاء جداً لان الدراهم عندهم قليلة وعزيزة وشحدنا بهذه البلدة ثلاثة ايام جمعنا اربعة غروش فقط وتكلفنا كراء (ص ١٢٢) الطريق اليها مع مصروفنا واكلنا وكراء اوضة عشرة غروش وتلتين فيكون خسرنا من كيسنا ستة غروش.

فيكان Fécamp

ورحلنا منها في ١٨ شباط الى فيكان Fécamp بعيده عنها ست ساعات وهي قصبة على حافة البحر والنهر وبها جماعة معتبرون واكابر واشراف ولكن غناهم قليل وبها فقراء كثيرون وهواؤها مليح وبردها شديد لان الجليد في شوارعها سمكه ثلث ذراع وبها كنائس واديره كثير لم نشرحها لاجل الطولة ولكن نقول عن دير به ذخيرة ثمينة وهي داخل صندوق من ذهب وهو دم سيدنا يسوع المسيح جزؤ وهذه ذخيرة فريده ووحيده ما رأينا مثلها في كل حياتنا وهذا الدير يعطي صدقات كثيرة للفقراء كل يوم يفرقون على جميع المساكين خبزاً ومن مدة زمان صار بهذه البلد غلاء وكانوا يفرقون كل يوم على الفقراء الذين يبلغ عددهم ثلاثة آلاف فقير لكل واحد نصف ليرة خبز وكانوا يرسلون يشترون القمح والشعير باغلى الأثمان ويعطونه للفقراء ونحن حين وصولنا الى فيكان نزلنا عندهم وقبلونا بكل محبة وسعوا امامنا لاجل جمع الاحسان من البلد ووجدنا في ريس صاحباً معنا من روان والمذكور جاهد معنا كثيراً واعطونا عندهم اوضتين كبار وفرشتين نظاف مكلفات وخزمتكاريه تخدمنا واكلنا عندهم وبعده اعطونا ستة عشر غرشاً احساناً وشحدنا من المدينة اربعة واربعين غرشاً ورحلنا منها الى مدينة لواز.

ولم يتركونا نرحل من عندهم حتى عملنا المرفع الكبير عندهم في دير ووظيفة ريس هذا الدير مثل الاسقف يلبس تاجاً وصليباً وعكاز ويحكم على ست وثلاثين كنيسة اعوام يقيم ثم يامره خوارنة ويمنحهم الاعتراف نكهنة ويحكم عليهم مثل المطران في أبرشيته . (ص ١٢٣) ويحكم ويقاصص الكهنة اذ اقتضى الامر مثل المطران وله في رومية نايب عام وهم اغنياء ومتشددون في قوانينهم ولما دخلنا فيكان رأينا ريس هذا الدير مريضاً مرضاً ثقيلاً وهو كان يتقايا كلما يأكله واستقام بهذا المرض .

وهذه المدينة اي فيكان مينا عسرة جداً وقد عطلت مراكب كثيرة بهذه المينا ولاجل ذلك ابطلوها واراد السلطان ان يعمرها فاخبروا اصحاب الهند[1] بان هذه المينا اذا راد يعمرها يجب ان البحر ياكل من البلد قدراً عظيماً فلاجل ذلك تركوا عمارتها والآن لا يمر بها سوى الشخاتير الصغار .

واما الذخيرة التي مر ذكرها اي ذخيرة دم المسيح سبب وصولها الى هذه المدينة كان على هذا النسق وهو ان نيقوديموس حين نزل جسد يسوع عن الصليب جمع الدم الاقدس الذي جرى من تلك الينابيع المقدسة وجمعه كله في حق من فضة واخفاه عنده وقبل موته اعطاه لابنه البكر واوصاه بحفظه مكرماً وموقراً وكتب شهادته على لوح من نحاس وقصة هذا الدم الكريم واوصى ابنه ان قبل موته يسلم هذا الدم لابنه البكر مع لوح الشهادة بعد ان يوضح هو ايضاً شهادته بهذا اللوح ويوصي ابنه ايضاً ان يفعل كما فعل عن سلف وصار كل من اولاد نيقوديموس يورث لابنه البكر هذا الدم الكريم ومع وضع الشهادة باللوح المذكور الى جملة اجيال الى ان صار حرب اورشليم من الامم الغير مومنين وتسلموا مدينة القدس ونهبوها فحين راى ابن نيقوديموس ان الامم تغلبت على المدينة ما عاد يقدر يحفظ هذه الذخيرة فاخذها وهرّبها (ص ١٢٤) الى مدينة يافا ودخل هناك الى بستان قريب البحر وقطع شجرتين وحفرها قدر ما يسع ذلك الحق واللوح ووضع ذلك الحق واللوح داخل هذه الحفرة وسد عليهم سداً محكماً وكتب على لوح آخر صورة المجبورية(ما جرى) كلها من ابتدائها الى انتهائها وسبب وضع هذه الذخيرة الشجرة وعلقها والقاها في البحر من النهر الجاري هناك الى البحر فقذفت الامواج باذن الله وارادته الى مينة فيكان المذكورة الى فم نهر داخل الى البحر ووقفت هناك واورقت واعطت اغصان مثل شجرة وهي بفم ذلك النهر.

١) الهند لفظة فارسية معناها الفن .

الى يوم خرج حاكم فيكان للصيد فصادف ارنباً ابيض اللون فاخذ الحاكم يكد وراه حسب عادة الصيادين مع كلاب الصيد فلا زال ذلك الارنب يركد والحاكم تابعه حتى انتهى ذلك الارنب الى عند تلك الشجرة والتجأ اليها ووقفت الكلاب حالاً بعيداً عنه جداً وما عادوا يقدرون ان يتقدموا الى قدام ولا قدماً واحداً ولا يتقربون لذلك الارنب فلما وصل الحاكم المذكور لنحو الكلاب وراهم وقوفاً فاراد ان يقترب الى ذلك الارنب فما امكنه ولا امكن جواده فحالا عرف ان ها هنا موجود شي واجب له الاحترام فنزل عن جواده وتقدم الى الارنب فرآه ملتجئاً الى الاغصان التي هي اغصان شجرة التين مع ان هناك غير ممكن وجود التين فارسل حالاً اناساً من غلمانه يخبر مطران المدينة الذي هو ريس هذا الدير بما رآه فحضر المطران حالاً مع من اهل الاكليرس لكي ينظروا ما هذا العجب فحين وصول هولاء غاب عنهم ذلك الارنب فنظروا الى اغصان تلك التينه فرأوها مفرعة من تينة غير مغروسة في (ص ١٢٥) الارض اخرجوها من الماء واخذوا يفتشون ليروا ما سبب ذلك فراوا ان في تلك التينة مكاناً مغلوقاً ففتحوا ذلك الثقب فراوا ذلك الحق واللوحين المكتوبين بلغة العبرانية وعرفوا ان هذه ذخيرة مكلفة فاتوا باناس يعرفوا بهذه اللغة العبرانية لان هناك موجود اناس يعرفوا بساير اللغات فلما قرأوا ورأوا ذلك الدم حالا نقلوه بزياح عظيم مع الفرح الكلي ووضعوه بهذا الدير ولم يزل الى الان ونحن تشرفنا بنظرها ورأينا الالواح الاثنين وصنعوا مكان هذه الشجرة التين باب من حديد ولم يزل الى الان باقي لاجل الاحترام ومن هناك تاخذ اهل البلد ماء لاجل المرضى لانه اشفى كثيرين ورأينا جانب ذلك الحق حق اخر من الذهب وفيه حنجور من البلور داخله دم ايضاً فسألناهم ما هذا الدم فاحكوا لنا انه من مدة ثلاثين سنة اتى الى عندهم راهب من غير رهبنتهم وتوسل الى الريس ان يقبله في رهبنته فتوسل اليه كثيراً فقبله ومكث مدة سنين عندهم الى وقت الفرصة ونشل من هذا الدم الاقدس قليلاً بهذا الحنجور وهرب به فمع نزوله الى البحر هاج عليهم البحر حتى كاد يغرقهم ورجعت بهم السفينة امراراً عدة الى مينة فيكان واشرفوا على الغرق لا محال فلما راى ذلك الراهب المسكين ما حل بالسفينة نوى نية ثابتة انه يرد ذلك الدم في مكانه ان نجا من الغرق فحالا هدي عليهم البحر وارتدت تلك السفينة الى مينة فيكان فخرج ذلك الراهب وقر معترفاً بما فعل اما الريس فرد ذلك الدم الى الدير فوضعوه جانب ذلك الحق (ص ١٢٦) في ذلك الحنجور وشهادة حقيقية وتذكاراً لتلك الاعجوبة والتقديس

برنردوس حين يتفلسف قايلاً وسايلاً هل المسيح اخذ كل دمه بعد قيامته وصعوده الى السما الدم الذي جري من جروحاته الخمس الاقدس فيجاوب هذا القديس قايلاً ان المسيح ترك من دمه على الارض ولاثبات ذلك ان في مدينة فيكان في دير البنديكتين موجود من هذا الدم الزكي حقاً[١].

وفي ٢٥ شباط رحلنا من اللوار الى مدينة منترليه فهذه مدينة صغيرة طيبه المناخ وهناك دير راهبات بندكتين وريستهم ام ابّه Abbesse وعلى صدرها صليب من ذهب وتمسك بيدها عكاز جدوي من فضة وذهب وهذا مجمع مثل مطارين الابرشيات وتحكم على ثلاث عشرة كنيسة برواز Paroisse وهي تقيم لهم خوارنة ووكيلها لا يقدر يمنح احد سر الاعتراف من الكهنه الا بإذنها وتحكم على جميع هذه البراويز والكنايس مثل المطران في رعيته ولكن لها عقل ومعرفه عجيبه ولها بازجية ووكلا ومديرون والكل من راهباتها ومن كهنة وعوام وهذا الدير متشدد في قانون لبسهم مثل لبس القديسة كلارا عصبة بيضاء على جبينهم وثوب اسود طويل للذيل وزنار جلد قليل العرض وعلى صدرهم لثام ابيض الى الزنار وغطاء اسود طويل الى الارض الى وعلى روؤسهم قميص صوف وما ياكلون اللحم ابداً سوى في المرض وبعد نصف الليل بساعتين ينهضون الى الصلاة الليل وابوابهم مسكره ما يدخل عندهم احد قط غير ولد ابن اثني عشر سنة وهذا يدخل في الاعياد الكبار لاجل دق الارغن ولهم (ص ١٢٧) ترتيل عجيب وجليل جداً في صلواتهم واصواتهم رايقة جداً وحين ما وصلنا لعندهم نزلنا في ديرهم وقبلونا جداً بكل محبة وعملوا لنا واجباً كثيراً وبأمر هذه الريسة قدرنا ان نشحد هذه المدينة واجانا منها احسان ثمانية وعشرون غرش لان هذه المدينة ما هي غنية وصغيرة وصار لنا من الدير والريسه ستة عشر غرشاً وارسلتنا من عندها على خيل الدير وهم خيل مكلفات الى مدينة اللوار دخلناها اول يوم اذار.

هذه المدينة جليلة وحسنة جداً ازقتها عراض جداً حتى ان كل زقاق يسلك بعرضه ستة اوجيات على عرضها جانب بعضها وجميع بناها علواً واحداً ولها مينا عجيبة ما راينا مثلها قط والمد والجزر بها امر عجيب لانه حين يمد البحر تمد هذه المينا حكم ميلين وحين يجزر يرجع الى الوراء ميلين وحين المد ترى الاماكن اليابسة بحراً وحين الجزر ترى البحر يبساً وكل يوم

١) ان صاحب الرحلة يذكر بامانة ما سمعه دون ان يبت في صدق الرواية وان استشهد بقول القديس برنردوس فذلك حيث برنردوس «يتفلسف» ومعناه ان الخبر يحتمل الشك واليقين.

يصير هذا المد والجزر مرتين وفا جسر ينفتح ويغلق لاجل دخول المراكب وخروجها وفا غير مينات ملاح وكبار وجميعها مبنيات بالحجارة وهي داخلات البحر حكم ميل ومن هناك يلاقون للمراكب حين تدخل وهذه الاماكن كلها متنزهات جميله جداً وهي مدينه حصينه قابله للحصار لان بينها وبين لوندرة بلاد الانكليز اثنتا عشر ساعة في البحر واصوارهـا حصينة جداً والنواطير ليلاً نهاراً على الاصوار مثل مالطه بفلايق سلطانية وفي الليل كلما ما دقت الساعة ملزوم برج من الابراج يتبعه يدق الطبل وتتبعه جميع الابراج النواطير ومن يكن منهم نايم ولم يدق طبله يرتبوا جزاه تاني يوم من حاكم المينا وفا ابواب عجيبه في النهار جسوره وفي الليل يرفعونهم يصيرون الابواب وحوطا خنادق وجاري بهم الماء من البحر وفا قلعة جليلة حصينه ذات اطواب ومدافع وقنبرات وغيرهم منهم يرمون بعد اربع ساعات واكثر (ص ١٢٨) وبها كنيسة السيدة وهي برواز مثل كنيسة المطرانية وكنيسة ماري فرنسيس وفيها دير كبوجيين قوي ناس ملاح نزلنا عندهم وفي هذه المدينة خزنتان سلاح قوي جليلات كل واحدة داخلها اربعون الف بندقية وما يتبعها من سيوف وفرد طبنجات وسياخ وبخنات اشكال اشكال وغير اصناف من العدد والمكلف وشحدنا باباً باباً لان الخوري الكبير ما كان يومها حاضراً هناك لكن اخيراً وكيله المسمى بلهاش عمل معنا محبه وواجب وعرفنا عنده مرتين واستقمنا هناك احد عشر يوماً ورحلنا منها الى ابرشية لزيو Lisieux لان مدينة اللوار وهي اخر ابرشية روان وكان رحلتنا منها في ١١ ادار ونزلنا في شختور صغير وكنا به قدر ستين نفر نسا ورجـال وكنا به على بعضنا البعض وكان ذلك الوقت البحر كبيراً جداً وهذه المسافة من لوار الى انفلور Honfleur خطرة جداً غاية الخطر واستقمنا في البحر ساعة ونصف وصلنا الى انفلور ورحلنا تاني الايام من انفلور على الخيل الى لزيوه وهذا الطريق عسر جداً كان من شدة المطر والريح لانه ما سكن عنا ولا دقيقة واحدة حتى كاننا ذلك اليوم جميعه كاننا ماشين في نهر ماء ومررنا في طريقنا على مدينة صغيرة اسمها بونت دوديك اي جسر المطران بعيده عن انفلور ثلاثة ساعات وبطرنا هناك فطور الظهر لان الايام صيام الاربعين منها رحلنا الى لزيو ووصلنا بعد الظهر بخمسة ساعات لانها بعيده عن جسر المطران اربعة ساعات ونزلنا هناك في اوبرجه وثاني يوم قابلنا المطران المذكور قبلنا بالمحبة والود واعطانا اذناً اننا نشحد في ابرشيته.

مدينة لزيو مدينة صغيرة ظريفة فيها اربعة كنايس الواحدة كنيسة المطران

وبقية الكنايس خوارنة وبها ثلاثة ديورة الواحد كبوشين والثاني جاكوبين والثالث ماطورين وبها دير نسا بنات من رهبنة مار بنديكتوس وهذه المدينة مشحونة بشر كثير وهم اغنيا وما هم كرما احسانهم قليل واستقمنا بهذه المدينة نحو عشرة ايام في دير رهبان الجاكوبين النوم عندهم والأكل عند رهبان الماتورين الذين يشترون الاسارى كما مر القول وصار لنا عندهم عزيه وكرامه وعند الخوارنه وعند اكابر (ص ١٢٩) البلد وشحدنا في هذه المدينة نحن اربعين غرشاً فقط لانهم بخلاء ورحلنا منها في ٢٣ ادار الى دير قريب من هناك بنديكتين اسمه كرميل قد تغدينا عندهم واعطوا كل واحد منا غرشين احسان ورحلنا الى ديرين الواحد نساء والاخر رجال بعيد الواحد عن الاخر ربع ساعة وقبلونا في الديرين بكل محبة ولكن دير النسا كان لنا به توصية من جماعة مكلفين فارادت الريسة اننا نزل عندها وارسلت اتت بخيلنا من مكان الذي كنا به الى ديرها واستقمنا عندها يومين بعزيه وكرامه زايده وقدسنا لهم ورتلنا بلساننا وقوي انبسطت واعطونا احسان ومكاتيب وصايا مكلفة وسافرنا من عندهم وبعد ان ودعنا دير الرجال واعطونا احسان ايضاً وهذه الاديرة ثلاثة منفردة في البرية عن البشر وهم أغنياء بزياده والاديره مكلفة جداً ومدخولهم في كل سنة يدخل لكل راهب وراهبة قدر الفين غرش وريسة هذا الدير من اكابر فرنسا وراهباتها ايضاً بنات اكابر ايضاً وفيهم ايضاً جماعة يشتغلون في البساتين مثل البساتنه لاجل التسلاي ليلاً يكونوا بطالين.

ورحلنا من عندهم في ٢٤ اذار الى بونته دومير وهي مدينــة صغيرة ظريفة وبها اربع كنايس كبيرة سان انطونيوس والثانية سانت سيكر والثالثة سانت جرمين والرابعة سانت كليمونه وهذه تخص ابرشية روان وهذه المدينة ماؤها كثير واهلها محبون واستقمنا بها اربعة ايام ورحلنا منها الى انفلور ونزلنا عند الكبوجيين وعملونا واجباً وعزية كثيراً لانهم موصايين هكذا بنا من ريسات الديورة المذكورين وواجهنا وكيل السلطان حاكم المدينة واعطيناه مكتوباً له معنا من الريسة وقبلنا بكل محبة وتغدينا عندهم غداء مكلفة واعطانا اربعة غروش احسان وواجهنا خوري المدينة واعطيناه مكتوباً له له معنا والمذكور اعطانا قابلية وعمل لنا محبة ووصى لنا ثاني يوم في الكنيسة وصيّة مليحة واستقمنا هناك احد عشر يوماً لان الهواء (ص ١٣٠) كان عاطلاً قوي من حيث المطر والهوا وغيره وشحدناها باباً باباً ودكاناً دكاناً. وهذه المدينة باب بحر من لوار الى هناك والى غير بلدان ولكن هذه المدينة كبيرة وظريفة جداً ولكن ما هي غنية مثل غير مدن وفي هذه المدينة المد

والجزر في البحر شيء عجيب وغريب لان المد حين يصير في هذه المدينة يغطي مسافة ثلاث ساعات في البحر حتى يصير اليبس بحراً عرمرماً وتجري به المراكب وحين يجزر البحر يسير موج ونو عاظل مثل نو البحر وبعد كام ساعة يجزر البحر وترتد الامياه الى الوراء ويصير اليبس وترى على طول الطريق مراكب مرسية على الارض واوثق عمال زرق واحطاب وغير اشياء لكن على الارض وهم ينتظرون المد ويسافرون به من على اليبس بكل حينه مثل ما يكونون في وجه البحر ويزجر ويمد على اربع وعشرين ساعة مرتين وحين يمد يرفع تلك المراكب عن اليبس ويسافرون ونظرنا في مواضع كثيرة جسوراً والارض تحتهما ناشفة يابسه رمل يابس وبعد ساعة مررنا بهما واذا بهما تحتهما الماء اكثر من عشر قامات ماء وامواج وهنكمه مثل البحر والمسافه من لزبو الى بونت دومير خمس ساعات ومن بونت دومير الى انفلورا اربع ساعات والطريق طيب سهل سوي ثم رحلنا الى بونت لوديك في ٦ نيسان وهي بعيدة عن انفلورا خمسة لويكات اي اربع ساعات وهذه المدينة ما هي غنية وهي على حافة النهر وبيوتها اكثرها لم منافذ على البحر وكل بيت وله بستان واهلها محبو الغريب ومناخها طيب واستقمنا بها يومين وشحذناها ورحلنا منها الى شكان في ٨ نيسان وذلك اليوم وصلنا الى شكان وذلك النهار أسوأ الايام من شدة المطر لان من حين خرجنا حتى دخلنا كاننا غاطسين في نهر ماء وهواء بارد وبرد شديد ما قاسينا مثله في كل ايام سفرنا الى وصولنا الى ديف وهي قصبة فقيرة وبها ملعب نزلناه ووقدنا به النهار لكي ندفي وتيبس اثوابنا بالممكن وتغدينا هناك ورحلنا الى تكان وقد خف المطر قليلاً وبرد الهوا كثيراً الى ان وصلنا الى تكان ونزلنا عند رهبان البندكتين وهو دير مكلف (ص ١٣١) اكثر من الفي كيس وغني جداً ونمنا تلك الليلة عندهم وتاني الايام تغدينا عندهم وارسلنا اخذنا خيلاً بالكراء ورحلنا الى ايبيوا حيث صرابة المطران وحين خرجنا من الدير الى حوش الدير لكي نسافر راينا صاير هوي شي ما يقدر بالعقل ومن شدة الهوا كان يحملنا ويردنا الى ورا حيث ما هو متجه على غير خاطرنا لنا وللرهبان الذين خرجوا لكي يودعونا فاخيراً التزمت الرهبان انهم يهربون الى داخل الدير خوفاً من الهوا وما سمحوا لنا ان نسافر في مثل هذا الهوا ولكن نحن اردنا السفر لانه بقى لعيد الكبير يومين فسافرنا في شدة ذلك الهوا وكان الهوا يردنا من شدة المطر وللخيل ولم نزل مرافقين لهذا الهوا الى بيوه وتبعد هذه عن كان ست ساعات لكن من شدة المطر والهوا ما عادت تسلك الطرق.

بيوه Bayeux

فوصلنا الى بيوه Bayeux ورؤسنا مثل الطبول وكان وصولنا اليها ما بين المغرب والعشى قدر ثماني ساعات طريق ونزلنا في اوستاريه اخذنا لنا اوضه بفرشتين واسم تلك الاوستاريه كرند اوتيل وثاني يوم الذى هو يوم السبت العظيم واجهنا المطران المسمى بول دالبرت دلوين مطران بيوه وكان موصى فينا من الخيين ومن سلطانة فرنسا القديسة توصية مكلفة بتحرز فحين رآنا حالا أعطانا عني قبول وواجب واخبرنا ان علو شان الملكة قد اوصتني بكم جداً جداً وقد حلت بقدومكم البركة واخذ يتلطف بنا ويعطينا قابلية عجيبة واعطانا اذناً اننا نشحد في ابرشيته ثلاثة اشهر واطعمنا معه على المايده امراراً عده واعطانا اربعة وعشرين غرشاً واستقمنا عنده وطلب منا ان نقدس في كنيسته السرية التي داخل صرايته لكي يسمع قداسنا فاجبناه بالطاعة وثاني يوم حين قدسنا منذ ابتدا القدّاس الى تمامه وهو راكع على ركبه بكل عبادة وتضرع وبعده اعطى اذناً الى الجميع انهم ياتون ويدخلون الى كنيسته لاجل سماع قداسنا وكان يصير زحمة عالم مثل تراب واعطانا اذناً اننا نقدس في الكنيسة الكبيرة والشنوان (ص ١٣٢) مع الدوين ريس الشنوان Doyen des chanoines ايضاً اعطانا هذا الدستور وللمطران واحد كاهن يخدمه في الكنيسة محل الصلاة اسمه لابه جيل L'abbé Gille فهذا المذكور تعين لمرافقتنا في كل اشغالنا في مدينة بيوه من قبل المطران.

ومدينة بيوه هي مدينة صغيرة بها نهر جاري في وسطها وبها خمس عشرة كنيسة رعية ومن جملة هذه الاديره ديران لاجل الفقرا والمرضى وواحد الى اولاد وبنات الفقراء لكي يعيشوا هناك واكلهم وكسوتهم وجميع معاشهم من هذا الاسبتال ولا يقدر احد على الخروج من باب هذا الاسبتال بغير اذن معلوم ومصرح والابواب جميعها مقفلة عليهم دائماً وجميعهم يشتغلون الى الاسبتال الى حين يكبرون ويتعلمون الصنعة كالواجب وذلك الوقت الذي يطلب الخروج يخرجونه على خاطره ودخلنا ورأينا به اكثر من ثلاثمائة بنت ومقدار مايتي صبي مع الرجال البعض مرضى وبعضهم لاجل تعليم الصنايع وايضاً موجود اسبيتال اخر حيث بنات الفقراء من جميع البلد ومنهم موجود بنات اكابر يرسلونهم لكي يتعلموا في هذا الاسبيتال حبياً من غير اجره وشغلهم الانديشا ويوجد هناك راهبات يسمونهم اخوات المحبة والمذكورات يقدمون كلما يلزم لهذه البنات من لوازم مشغل الانديشا وجميع الذي تشتغله

هذه البنات من الانديشا يبيعونه ومنها بلغ ثمنه يرفعون رحاله الذي اصرفوه فقط والذي يفيض يردونه الى البنات كل واحدة حسب ما يخصها من غير ان يندقوا (؟) منه شيئاً ابداً وبهذه المدينة اشراف كثير من فرنسا واكثرهم حط الزمان بهم فاتوا وسكنوا هذه البلدة وهذه البلدة بعيدة عن البحر مقدار ساعتين وماؤها مالح ولكن يشربون منه ولا يضرهم وبها جملة صرايات مكلفه واهلها ذوو محبة وانس وبردها شديد وحرها شديد والخمر عندهم قليل جداً وشربهم ماء التفاح ومعاشهم رخيص مثل الخبز والخضرة وغنامهم قليل ما بها متجر اكثر شغل اهلها الانديشا والجرابات الترنجيات والكتان وما اشبه ذلك واستقمنا هناك خمسة عشر يوم مطرانها عمل لنا واجب عظيم مع عزيه وكرامه كثيراً حتى انهُ (ص١٣٣) في يوم واحد ارسل لنا قوجيته التي يركبها ذاته وكان يسحبها ستة روس خيل وهي مكلفة اكثر من خمسة عشر كيس دراهم وارسل معها جميع خدامه وهم خمسة انفار بلبس مكلف جوخ احمر مزركش بالقصب والانديشا بعرض اربع اصابيع وذهب لكي يرافقونا منهم ثلاثة ركبوا خلف القوجيه واثنان قدام لكي يمشوا قربه وارسل معهم اكبر الكهنة الذين عنده اوموزيه Aumônier اي الذي يقدس له ارسل لكي يرافقنا داخل قوجيه وارسل هذا الكاهن له به اوتيه (؟) شنوان كنيسة الاسقفية المذكور رجل مكلف جداً وصاحب علوم زايدة وهو من نسل اشراف ومن بيت اشراف وله علاقة من وظيفته من السلطان وهو معلم بالهندسة جداً حتى ان سلطان فرنسا ارسله مرتين الى بلاد وينكي دنيا لاجل قياس الارض والحكم على البناء هناك لكي يعرف مناخ تلك الارض وحكمها المذكور وقدم معنا حوادث ومحبة زايده واعطانا احساناً وساعدنا كثيراً في اشتغالنا فركبنا مع المذكور ومضينا الى عند المطران الى صرايته التي هي بعيدة عن البلد حكم ساعتين وهي صراية مكلفة ومعظمة جداً وكبيرة قدر قصبه وامامها حرش غاب وطول وعرض حكم ساعة زمان وذاك الحرش مهندم جداً كانه بستان منظوم مكثنا ذلك اليوم عند المطران في صرايته على أكل وشرب وعزيه ومشروب اشكال اشكال. وقد تفرجنا عنده على بعض قطع واشياء تذهل العقل ومن الجملة تفرجنا على ذركة اي مخروطة وهي مكلفة عشرة الاف ثلث ومثلهم كثيراً مخرطات ومنهم واحدة المذكورة تخرط اشكال اشكال بمخرطة واحدة تقدر تخرط اشياء مدورة واشياء بيكار البيضة وما شيت تقدر بتلك المخرطة وكل ذلك بسهولة من غير تعب واعطانا من شغله قطع سن سمك وسن فيل شغل عجيب واشتغل امامنا. وتفرجنا عليه على شغله ثم راينا

مراية عجيبة وهي اذا وضعت هذه المرآة امام الشمس وسكت امامها عود حطب عن بعد عشرة تفنقات (٣) انسان حكم (ص ١٣٤) ستة اذرع ترى حالا عود الحطب التهب واحترق مثل التهاب الكبريت واذا وضعت امام هذه المراية في ظلام الليل شمعة مضية وجلس واحد امامها بعيداً عنها اربعين ذراعاً فانه يقرأ في اي كتاب اراد كما يقرا في ضوء الشمس في النهار ولو منها كان الخط رفيعاً واورانا نظارات هندسيات تريك الشيء اكبر مما هو اثنتي وعشرين الف مرة مثلاً وضعت برغوث ونظرت تراه قدر ما هو واثنتان وعشرون الف مرة تراه قدر خابيه ورأينا عنده اشياء غريبة وعجيبة وهو من بيت اشراف فرنسا واصله لاحق الى دم السلطانه ومحبوب من السلطان كثيراً ومن جميع ارباب الدولة وهيبته لطيف وحسن الوجه جداً وهو في العمر نحو سبع واربعين سنة ولما ردنا ان نذهب من عنده رافقنا الى اسفل الدرج الذي في صرايته وودعنا بكل محبة .

ورجعنا من هناك الى بيوه لدير الرهبان البنديكتين وهو دير غني جداً وبناه حسن ورحلنا من تاني الايام الى شكان وفي بيوه تسعة كنايس مكلفات وقبلونا اهل بيوه بكل محبة وفي ٢٥ نيسان رحلنا من بيوه الى شكان وهذه ايضاً مدينة لطيفة جداً جداً واهلها اغنياء وهي كبيرة قدر روان بعيده عن بيوه ستة ساعات وبها اغنياء كثيرون وغير كرماء بل بخلاء وشحدنا في مدة ستة وعشرين يوماً لان بها تسع كنايس براويز كبار وبها ديــر لليسوعية ولهم مدرسة لكافة العلوم الكتابيسة ولها مدرسة اخرى لكافة العلوم المعلومة مثل فلك وهندسه وطب ومنطق ولاهوت وادب ومدرسة ايضاً على هذا النسق مختصة للفلسفة واللاهوت وهي عند خوري سان سورر ومعلمها من كهنة هذه الكنيسة ولهم عادة وهي انهم على الغدا عوض القراة بكتاب يعملون مراسلة سوءال وجواب ما بين اثنين من اولاد المدرسة يوماً هندسة يوماً لاهوت يوماً طب يوماً منطق وقس على ذلك كل هذا عن ظهر قلبهم بغير كتاب ويسالون بعضهم عن الفلك والارض والمنازل وما اشبه ذلك وقد تغدينا عندهم ورأينا ذلك وناهيك حين ترى اولاداً (ص ١٣٥) صغاراً في عمر اثنتي عشر سنة يتكلمون في علوم عالية جداً والروءساء والمعلمون يسمعون لهم ومتى غلط احدهم حالا المعلم الموجود يرده ويلزمه ان يعيد العبارة الى حينها يصححها ولهم غير مدارس ايضاً لتعليم لعب السيخ والسيف والحرب وما اشبه ذلك وبها دير كرملتانيه غير حافيين ودير سكلند مكلف ودير كبوجين ودير جاكوبين وبها عدة ديورة للنساء وبها دير بندكتين الذي

زلنا عندهم وهو دير كلف جدًا قط في عمرنا ما ابصرنا مثله لا في فرنسا ولا في مكان اخر وله كنيسة كانه بربه ومتسعه كبيرة وبها ارغن ثمنه اربعون كيس دراهم قوي مليح وكبير جدًا وعلى ما احكوا لنا ان في ساير فرنسا غير موجود مثل هذا الارغن وحقاً ما راينا مثله في كل ملك فرنسا ورهبان هذا الدير قانونيون ومشردون ورحومون للغرباء وعملوا معنا محبة وواجباً عظيماً مكثنا عندهم ستة وعشرين يوماً وكل يوم كانوا يعينون اثنين رهبان كهنة لاجل خدمتنا لان بهذا الدير كلهم كهنة وكلما يلزمنا كانوا يحضرونه لنا من غير ضجر ولا زعل وعندهم خدام كثيرون من العوام وكلمن له وظيفة تخصه ولم يقبلوا في رهبنتهم راهباً او كاهناً مــا لم يكن دارس العلوم ولهم ايضاً كنايس خاضعة لهم وهم مميزون من طاعة المطران وفي هذه المدينة دير راهبات من هذه الرهبنة بنديكتين .

لكن يا له من دير قوي غني جدًا جدًا وله ام ريسه ابيس Abbesse على صدرها صليب ذهب وحين تكون في الخورس تمسك عكازه ولهــا كنايس براويز خاضعة لها ولها حكم على جانب من بلاد شكان وخارج كان موجود ستة مشنقات لاجل شنق المجرمين المحكوم عليهم بموت الشنق فيها مشنقتان تحت حكم ريسة الدير المذكورة واربع تحت حكم حاكم شكان لان هذه الريسة تحكم مثل حاكم وتامر بقتل بعض المجرمين المختصين بتربيتها ولها جملة عساكر المتقلدين بآلة الحرب منهم خيالة ومنهم زلم ويوم عيد الثالوث (ص ١٣٦) الاقدس تاتي هذه العساكر كلها وهم متقلدون بآلات الحرب الى حول هذا الدير ويعملون زياحاً حافلاً مع اهل تلك الناحية في البلد كلها مع كهنة هذا الدير وهناك موضوع جنزير على الباب فكل منهم يوضع رجله على الجنزير ويرفع يده اليمنى الى نحو السما بنوع قسم انه دايماً الي الموت يحامي ويدافع ويطيع الى هذا الدير والريسة وبعدهم ياتي حاكم البلد مع اكابر المدينة وهم بنوع زياح ويركعون في الكنيسة ويقدم الحاكم مفاتيح المدينة بين ايادي الريسة ويقدم كل سنة حسب المعتاد ومدخول المدينة ثلاثة ايام منها دخل الى مدينة من مال السلطنة وغيره جميعه الى هذه الريسة ولهذا دير الكنيسة اللطيفة جدًا ما هي كبيرة بل مكلفة جدًا وجميعها من الرخام والاحجار الكريمة تدهش العقل ولها جملة اناس لاجل الموسيقه ماهرون جدًا ولها جملة من الراهبات ايضاً نوباتيــة ماهرات لاجل صلاة الاحتفالية ولهم اصوات شجيه ولهم خبره في دق ساير الالات مثل الارغن والشبابه وكمنجه وغير الات وتقدمنا عند هذه الريسه مرتين وعملى لنا واجباً

واعطتنا حسنة والراهبات ايضاً عملوا لنا واجباً ومحبة وهنالك كنيسه بعيده عن شكان قليلاً وهذه كنيسة صاحبة عجايب كثيرة وظاهرة اسمها كنيسة السيدة ومخلصة وقدسنا بها وزرناها وتغدينا عند كهنتها وهم شنوان تابعين شنوان كنيسة بيود ومن ساير فرنسا ومن غير اماكن بعيده ياتون الى زيارة هذه الكنيسة ولان عجايبها ظاهرة في كل مكان وكل زمان ومدينة شكان بعيده عن البحر نحو من ثلاثة ساعات وهواها طيب وبردها شديد وصيفها قصير والامطار دايماً غير منقطعة عنها ولا بالصيف وقد استقام بها المطر كل يوم سبعة اشهر وافسد زروعها مع كافة الغلات وصار ضرر عظيم في البلاد من قبل كثرة الامطار فرحلنا منها الى مدينة فالس Fals بعيده عنها سبع (ص ١٣٧) ساعات ورقدنا هنالك ليلة واحدة ويوم ٢١ ايار رحلنا الى سيس فراينا مطرانها مسافرًا وهي بعيدة عن فالس عشرة لويكات اي ست ساعات ونصف ومررنا في طريقنا على مدينة ارجنتان Argenton وتغدينا عند راهبات الاسبيتال الكبير وارجنتان بعيده عن فالس خمسة لويكات ومنها الى سيس خمسة لويكات ودخلنا سيس فراينا مطرانها مسافرًا في مدينة روان فرحنا لعند وكيله الخوري الكبير فما راد يعطينا دستورًا اننا نشحد عنده من دون علم المطران فتوسلنا اليه كثيرًا الى ان اعطانا دستورًا لنا اننا نشحد مدينة النسون الى ما ياتي المطران والجواب .

النسون Alençon

فرحلنا تاني يوم الى النسون وهذه مدينة وسط ما هي كبيرة ولا غنية ونزلنا عند الكبوجية فما قبلونا الا غصب عنهم ونزلونا في اوضة عميقة وحين مكثنا حكم ساعة حسينا حالا ببرد لزج وبدت روسنا توجعنا فذهبنا نفتش على مكان غيره فلم نجد احدًا يقبلنا لانهم قط ما ابصروا مثلنا بشرًا ولا احد خطر لهم بشكلنا فصاروا الجميع يتعجبون منا حين يرونا واكثرهم يخافون منا وصرنا بذل عظيم من هذا القبيل وفوقنا مطر كثير فمضينا الى عند الخوري لكنه قوي ناس اجواد واحكينا له قصتنا فارسل معنا واحدًا من اتباعه وذاك ايضاً بالجهد حتى قدر ابصر لنا اوضة في ملعب الدولقين وذاك المكان مع انه ملعب الا ان كراء الاوضة كان غالياً جدًا واستقمنا هناك ثلاثة ايام فبعده يوم الرابع ارسل الانتندان Intendant واحدًا من اتباعه لكي يعزمنا الى الغداء عنده على مايدته لاجل تاني يوم لاننا سابقاً كنا مضينا الى عنده لاجل دستور الشحيده لانه حاكم البلد مثل باشة البلد

وتحت يده حكام في المدن التي هي تحت حكمه فمضينا ثاني يوم الى عنده وتغدينا عنده وعمل لنا واجباً (ص ١٣٨) سالنا عن مكان الذي نازلين فيه فاحكينا له عن مكان الذي نحن فيه فقال لنا ان ذلك المكان غالي عليكم ولكن انا برسل الى واحدة ريسة ملعب آخر يقال لـــه المدن انزلوا هناك فشكرناه وبعده ارسل الى الريسة المذكورة وامرها بما وعد والمذكورة قبلت وانزلتنا عندها في ملعب المدن واستقمنا في المدينة النسون نحو من عشرة ايام وشحدناها فما حصلنا منها مثل الامل بل صار لنا منها خمسون غرشاً لان اهلها غير كرام.

ورأينا بهذه المدينة رهبنة جديدة وهي بنات قديسه كلارة وهذه الرهبنة ضيقة وصعبة مثل رهبنة التراب واكلهم دائماً البقل ولا يأكلون سمك ولا بيض ابداً وصلواتهم طويلة صيفاً مع شتاء حفاة من غير ان يلبسوا باجرهم شيئاً وممنوع عندهم الاصطلاء على النار مع ان بردهم هناك شديد وكسوتهم مثل كسوة راهبات الكبوجين وايضاً رهبنة ثانية اسمها بنات العذراء ايضاً ضيقة الا انها ما هي مثل تلك ودير بنات بنديكتين ودير رهبنة زيارة العذراء ولكن سكانه بخلاء كثيراً ما راينا مثل بخلهم في جميع فرنسا لاننا مضينا الى عندهم صحبة كاهنين وتوسلنا اليهم كثيراً فما امكن ان ناخذ منهم شيئاً ومع انهم لهم مدخول مقدار عشرة إكياس دراهم في السنة وهم ثلاث عشرة راهبة فقط وكانوا حين نطلب منهم حسنه يبكون ويشكون لنا القلة وفي هذه المدينة اسبتالان برسم المرضى وراينا بهذه المدينة ديرين وهما من رهبنة ما رايناها قط جديدة ومن هذه الديورة صادر خير عظيم بكل فرنسا وهو انه دير الواحد الى البنات تخدمه بنات خايفات الله وفايدة هذه الرهبنة ان السلطان له جماعة بعلوفة يتوقعون لكي يخبروه عن اولاد الاراطقة مثل ارطقة كلاونيوس Calvinius وغيره من ساير الارطقات فمتى (ص١٣٩) صار له خبر حالاً يرسل امر الى حاكم تلك البلدة بالمخفي وياتي باوليك الاولاد من عمر سبع سنين واكثر فيرسلهم الى تلك الديورة البنات الى عند البنات والصبيان الى عند الرهبان وهناك يعلمونهم قواعد الايمان ويجعل لكل واحد منهم تعيين خمسين غرشاً وان وجد احد الاولاد ابوه ذو مال يلتزم ابوه بمعاشه بالزام السلطان له وهذه العلوفة جعلها السلطان لاولاد الفقراء وايضاً ترى اكابر من فرنسا يرسلون اولادهم الى هذه الديوره لاجل التعليم لانهم يعلمونهم الادب والاحتشام وخوف الله مع صنعة لان في هذه الديوره تعليم صنايع شتى حتى دق آلات الموسيقة وترى في كل دير من هذه الديورة جملة اولاد

وبنات لاجل العلم وريس دير الرجال رجل قديس محتشم عالم عامل واكثر من عنده في الدير تراهم قديسين وقد عملوا لنا هذه الديوره مساعده عظيمة ورئيس هذا الدير ارسل معنا اثنين كهنة لاجل الشحاده وهما كاهنـان معروفان وقد شحدا لنا المدينة باباً باباً ولم نحصل حسب ما املنا ولولا هذان الكاهنان فما قدرنا نحصل نصف الذي حصلناه .

وهذه القصبة هي مدينة صغيرة قدر طرابلوس وبناها مليح وهواها طيب لكن ماؤها مالح وبها نهر جاري وهذا النهر هو الفاصل بين نرمنديا وبين البرش واسم هذا النهر لاسرت La Sarthe ومتجر اهلها الكتان وشغله لان بهذه المدينة يشغل الكتان وشغل نساء هذه المدينة نوع تطريز يخص لبس الاكابر واشراف فرانسا ولكن شي يدهش العقل لانك ترى قطعة كتان او (ص ١٤٠) قطعة خامه مطرزه من هذا التطريز طولها نصف دراع وعرضها اكثر او اقل يساوي احياناً قرب مأية غرش واكثر مع ان ما بها ذهب ولا فضة ولا تعب سوى مطرزه كتان ابيض الا ان شغلها شيء غريب وعجيب .

سيسي Sissy

وفي ١ حزيران رحلنا الى سيس رجعنا لكي نشوف المطران لاننا سمعنا انه رجع من روان فرجعنا ونزلنا عند البناديكتين وقبلونا وصار لنا منهم عز واكرام كثير ربنا يكثر خيرهم لانهم حنونين على جنس الغريب فسألنا عن المطران فرأيناه انه بعيد عن سيسي وايضاً وكيله رحل لعنده فحرنا في امرنا ولم ندر كيف عدنا نعمل لان الايام ذاهبة من غير فايدة ونحن من مكان الى مكان مثل المنزلجيه ولم قدرنا نحظى بالمطران لكي نتكلم معه وننهي امر شحادتنا في ابرشيته فالتزمنا انا نرحل الى عنده حيث هو فاستخبرنا اني يوجد اناس قالوا لنا انه يوجد في يام بعيدة عن سيسي اربع ساعات ناس قالوا يوجد في ارجنتان او في فلوره وكل من هذه الامكنه في ناحيه بعيده عن مكاننا وبعده اعتمدنا نروح الى ارجنتان وان ما رايناه نمضي الى حيث هو وفي كل يوم يرسل له زخيرة الى ارجنتان فرحنا الى عنده للارجنتان فما رايناه قالوا لنا انه في مدينة يام وصار علينا المساء والدرب عسر علينا جداً من خصوص الوحل والخرش وخطر الدرب ونحن غرباء المكان ولا نعرف الدرب فنمنا في تلك الليلة وثاني يوم نرحل الى عند المطران فمضينا تلك (الليلة) الى دير الكبوجيين وترجيناهم لكي ننام عندهم تلكا الليلة فقط وثاني

الايام نرحل الى عند المطران فما امكن ذلك فعرضنا عليهم الباطنتات الذين معنا فبدوا يشكون حالهم انهم فقراء وما عندهم مكان ودعوا واحد من خزمتكارية الدير وامروه ان يمضي معنا يرينا الملعب لكي ننزل به تلك الليلة فقلنا لهم هل يليق بكم ان راهبين (ص ١٤١) كهنة غرباء يرقدان في اوبرجه ويكونان في بلدة داخلها اديرة رهبان فما امكن ان يقبلونا عندهم ولا نحن قبلنا ان ننزل في اوبرجه فرحلنا حالا من ارجنتان الى يام.

وكان وصولنا اليها ثامن ساعة من الليل فدخلنا الى يام فرايناها قصبة فقيرة فطلبنا اوبرجه لكي ننزل بها فاخذونا الى اوبرجه دنية قوي وخربانه ووخمة كثير فطلبنا من الذي جابنا ان ياخذنا الى مكان انظف من هذا المكان فقال لنا هنا احسن ما يكون فالتزمنا ان ننزل هناك وسألنا عن مكان المطران فقالوا لنا انه عند ابنة اخته ريسة راهبات فحالاً ذهبنا الى عنده بالليل ودخلنا الى عند وكيله واخبر المطران بقدومنا فحالاً ارسل احضرنا الى عنده واورانا محبة وقال لنا ان الاب توريس خوري روان الكبير ومطران روان اوصونا فيكم حلت بكم البركة ومطران روان مهما عمل لكم واجب فانا مستعد ان اعمل لكم اكثر فطلبنا منه اذن ان نشحد سيسي لكي نرحل من يام لانها مدينة زغيرة وفقيره وما بها مكان لراحة الغريب فرضي بذالك وارسل حالا احضر الخوري وامره ان يعطينا اذناً مثل اذن مطران روان وبيوه لان ذلك ارسل له سابقاً مكتوب توصيه فينا واخذ المطران يستعذر منا حيث ليس يوجد عنده مكان في ذلك الدير لكي يقبلنا به وكان ذلك حقاً لان المطران واتباعه قد اخذوا كل اماكن التي تخص الغرباء في ذلك الدير فرجعنا من عنده الى الاوبرجه حيث كنا وتمنا هناك تلك الليلة وقضينا ليلة قوي ودنية من البرد الشديد والوخم وما شاكل ذلك تاني يوم رحلنا بعد اخذ الاذن والمطران امرنا ان ننتظره الى عيد الجسد فرجعنا الى سيسي وشحدناها باباً باباً ودكاناً دكاناً.

القول عن مدينة سيسي.

(ص ١٤٢) هي مدينة فقيرة ولكن بها أشراف كثيرون وشغل اهل هذه المدينة الكتان ونساؤها يشتغلون الصوف والقديمات والحرير وغير اشيا وبها اربع كنايس وفيها مجمع شتوان وهواها وماؤها طيب وعمارتها ما هي قوي مكلفه ولكن اصحابها اهل اناسه وبها مدارس للعلوم مثل الفلسفة ولاهوت وغيره وأستمنا هناك اربعة عشر يوم وقلسنا عند المطران في كنيسة السر

في صرايته وتغدينا عنده واعطانا واحد ذهب وثمانية غروش ورحلنا الى عنسون Ançone ونزلنا في مكان الذي نزلنا به سابقاً ورحنا الى عند حضرة الاب جوبارد واظهر لنا محبة واعطانا احساناً ومضينا الى عند الراهبات المعينات لاجل تعليم البنات الايمان الكاثوليكي ورحنا الى عند حاكم البلد وتغدينا عنده واستقمنا يوماً واحداً وثاني يوم سافرنا الى ناحية اومان Aumale وكان موجود عند الاب جوبارد ولد من جملة الاولاد ابن اكابر وهو وحيد لوالديه ومن ارزاقه له مدخول ستون الف غرش في كل سنة وهو غني جداً وله صراية مكلفة في البرية بعيدة عن البلد وبما ان الاب المذكور وجميع اتباعه عملوا لنا اكراماً ومحبة عظيمة فلاجل ذلك هذا الولد المذكور اعطانا مكتوب توصية الى ابيه وامه فلما وصلنا الى عندهما قبلانا بكل محبة واكرام عجيب وتغدينا عندهما وكلفانا ان ننام عندهما فما قبلنا وبعد الجهد حتى اطلقونا واعطونا خمسة غروش حسنة وكان ذلك اليوم حراً عظيماً وتعبنا كثيراً من العطش ومررنا في طريقنا على بيت فطلبنا منهم ماء لنشرب فقالوا لنا ما عندنا ماء بل عندنا ماء التفاح فاتونا بماء تفاح حامض مثل الخل ومعه قطعة خبز اسود لكي نأكل لقمة مع ماء التفاح لان عندهم الشرب بغير أكل يضر خصوصاً الى المحرورين فاخذ كل واحد منا لقمة خبز فما قدرنا نبلعها ولا عرفنا ما هو طعمها وكان معنا مكتوب من ذلك الولد الى واحد صديق له توصية فينا ولما (ص ١٤٣) وصلنا الى عند المذكور قرب غياب الشمس فاخذ حالا يتسودن ويتضايق من الذي اوصلنا الى عنده واخرج من جيبته غرشاً واحداً وقال لنا يا ابونا لا تواخذوني ما عندي مكان اقبلكم به خذوا هذا الغرش واذهبوا الى ملعب يبعد عنا ساعة وهناك ناموا فاخذنا الغرش ورحلنا الى حيث قال لنا فلما وصلنا الى ذلك الملعب راينا ما عندهم فرشات ولا مكان [لانه] كان نازل عندهم جملة بشر فالتزمنا سافرنا ايضاً الى مسافة ساعتين رأينا ملعباً اخر ولم يصر لنا به منزول فمشينا تلك الليلة الى ان وصلنا الى ضيعة بعيده عن اومان خمس ساعات وبها ملعب مكلف ولايق وحالا اتونا بماكل لحم عجل يخني طيب اكلنا هناك وصباحاً رحلنا الى اومان ونزلنا عند الرهبان البنديكتين وهو دير غني جداً وصرايه مكلفه وكروسات وخدام والدير مكلف وقبلونا بمحبة واعطونا اوضة مكلفة ونزلنا هناك وسالنا عن المطران قالوا لنا في صرايته بعيده ساعة ونصف فبعد ان تغدينا اخذنا راسين خيل من الدير ومضينا الى عند المطران ودخلنا الى عنده للصرايه ورأينا واحد من اتباعه له معنا مكتوب من محبه فتكلمنا معه واعطيناه مكتوب

الذي معنا من مطران بير فاخذ المكتوب ودخل الى عند المطران واخبره بقدومنا واعطاه مكتوب مطران بيوه .

فبعد قليل خرج المطران ظننا انه خرج ليسلم علينا فركعنا امامه فاعطانا يده بل بدا يرجف ويتسودن ويعيط علينا وقال لنا ارجعوا ارجعوا حالاً هذه الليلة من ابرشيتي لم يردْ ان يسمع لنا كلاماً فما امكن ان يعطينا محلاً لكي نفهمه قصدنا واخرج غرشاً واحداً وقال لنا استكروا به خيلاً واذهبوا فقلنا له يا سيدنا نحن ما مرادنا منكم دراهم بل نطلب من قدسكم ان اذن نشحد ابرشيتكم قال انا عمري ما عطيت لاحد اذناً ان يشحد ابرشيتي قلنا له (ص ١٤٤) ان السلطان اعطانا اذناً فقال لنا ان السلطان اعطاكم انا ما بعطيكم ورد الغرش الى جيبه وراح فرجعنا حكينا مع الرهبان الذي نازلين عندهم واخبرناهم بالذي صار فقري صعب عليهم واخبرونا بان المطران من سوء طباعه ما له محب وتاني الايام رحنا لعند واحد شنوان من بهريز فالمذكور ارسل دعانا وهو رجل غني واكابر جداً واحكينا معه واخبرناه الذي جرى لنا مع المطران فما هان عليه ابداً وشار علينا بان نروح الى عند حاكم البلد وناخذ منه اذناً ونشحد ضد خاطر المطران فمضينا الى عند الحاكم وقبلنا بكل محبة واخبرناه عن فعل المطران معنا فما رضي بذلك ابداً واعطانا اذناً بالشحاده وطلبنا منه واحداً من اتباعه لكي يدور معنا فارسل معنا واحداً ولكن نحن ما ردنا نشحد ذلك اليوم باملٍ ربما نقدر ناخذ خاطر المطران وكان يوم جمعة فطلبنا من الحاكم بان يبقي لنا الشحادة الى يوم الاثنين فرضي بذلك ورجعنا الى الدير وافتكرنا بانه غير ممكن ان نقدر نشحد بدون واحد معنا من طرف الخوارنة لكي يوصوا لنا في الكنايس حسب عادة الشحادة وان لم نفعل ذلك يضيع تعبنا فحالاً كتبت مكتوباً الى بهريز ، الى اخي المطران المذكور الذي هو الجي مالطه وهذا المذكور محبوب جداً عند السلطان وهذا المكتوب توسل لكي يرسل مكتوباً الى اخيه المطران والمذكور محب معنا ومساعدنا كثيراً وارسلنا المكتوب في ١٩ حزيران وصرنا ننتظر الجواب .

القول عن اوصاف هذه المدينة عامرة جداً وهي مبنية على جبل عالي وبناها متصل من اعلى الجبل الى سهل الجبل من اربعة اطرافها وماؤها من نبع جانب الجبل من المدينة وذلك النبع شبه ساطورة والقواب تجذب الماء الى يساره شكل برك بحواصل تجري الى المدينة ولكن شيء عظيم ومتجر هذه المدينة اغلبه الشمع وقماش الصوف يشبه شال انكوريه وشمع هذه المدينة

كله شمع ابيض كافور لانهم يجلبون الشمع من ساير الاقاليم وفي هذه المدينة يقصرون الشمع لانهم معلمون بقصر الشمع وكلهم اغنياء كثيراً وتراهم لا يتعاملون من الكارات سوى قصر الشمع وهذا يكفيهم لان كل البلاد ياخذون من هذه البلد الشمع الكافوري وهذه البلدة كل بيت له بستان وداخلها سبعة عشر كنيسة واديرة جملة وبهذه المدينة موجود جنستيون Jansénistes اي اراتقة (ص ١٤٥) الجديدة واستقمنا بهذه المدينة ننتظر جواب المكتوب الذي ارسلناه الى بيريز الى اخي المطران من ١٩ حزيران الى ٢٩ منه ونحن بطالون بغير شغل واستقمنا كام يوم فأتت مكاتيب من بيريز واخبروا ان اخا المطران ليس هو في بيريز بل مسافر الى غير بلدة من حكمه فعدنا بعده ابتدينا نشحد هذه البلدة غصباً عن مطرانها ولكن اهلها بخلاء في ٣٠ حزيران مضينا الى عند المطران لكي نودعه ونطلب منه احساناً فدخلنا الى عنده رايناه في غاية الغضب علينا ولو امكنه لضربنا فقال لنا باني منعتكم عن الشحادة وانتم شحدتم بغير اذني وانا اردت ان ارسل ارسم عليكم فقلت له يا سيدنا نحن معنا اذن من حضرة السلطان وليس لاحد علينا سلطة فازداد بالغضب علينا ومنعنا عن القداس وخرجنا من عنده وشحدنا اكثر من كل يوم ولم نرَ في فرنسا مثل غباوة هذا الرجل الثقيل الخير وبعد ذلك رحلنا الى جملة قصبات عدلنا عن ذكرهم لاجل الطولة ومنهم وصلنا الى دير التراب .

دير التراب Trappe

ودخلنا الى هذا الدير اولا دخلنا الى مكان منه للضيوف وهو دير كبير وفيه خدام وطباخون وسياس وغيرهم وكلها يخص هذه الضيوف لان لهم اعتناء عظيم بالضيوف وبعده الى باب ثاني ايضاً فيه دير كبير شبه بستان وفيه الات لاجل اشغال المطران مثل نجارات وغير اشياء ومنه الى ثالث باب مكلف قوي وبه اشخاص وتصاوير جميله فدقينا الباب فاذا بالبواب جاب المفاتيح وفتح مرماية الباب وطلع علينا ثم بعده فتح الباب وركع امامنا الى الارض وعمل لنا اشاره لندخل من غير ان يتكلم ومشي امامنا وتبعناه الى كنيسة صغيره فاعطانا المرشة بالماء المقدس ثم ركع امامنا على الارض يصلي امام صورة المصلوب ونحن صلينا معه قليلاً ومشى امامنا وهو ساكت الى خارج الكنيسة وهناك سألنا بصوت منخفض ماذا غرضكم يا ابانا وسبب مجيكم لهنا فقلت له زايرين الدير ومعنا مكاتيب (ص ١٤٦) الريس واعطيناه مكتوبين

فاخذهما وبما راى اثيابنا مغرقة من المطر حالاً اضرم ناراً بالاوضة واجلسنا لكي تيبس اثوابنا واخذ المكاتيب وادخلهم الى الريس فحالاً الريس ارسل لنا راهباً في خدمتنا وبعده ابتدأت عندهم صلاة الغروب فعزمونا معهم الى الكنيسة ووضعونا في مكان عالي حيث يضعون مكان الزوار لكي ينظرون رتبتهم كالواجب واسم هذا المكان تريبون ورأينا من عبادتهم وخشوعهم شي يدهش العقل من كثرة الخشوع والترتيل والنظام وتسمع تراتيلهم مثل النواح واحتشامهم مثل ملايكة وبالحقيقة انهم ملايكة من غير شك وفي صلاتهم هدو عظيم كلمة بعد كلمة وبعد خروجهم من الصلاة برتبه ونظام مضينا الى اوضتنا المعينة لنا ومكثنا الى صلاة الستار بعد العشاء فمضينا معهم الى الصلاة ومكثنا في مكاننا الاولي .

واذا باثنين من الاخوة اتيا الى الكنيسة وتمددا على وجوههم مثل الاموات على الارض واستقاموا هكذا الى خلوص الصلاة من غير حركة وبعد الصلاة نهضوا فسالنا عنهم فقالوا لنا ان هذه الاخوة قونتهم الريس فسالنا عن ذنبهم فقالوا لنا ان الواحد ذنبه ارمى الفرتيكه من يده محل العشا غصباً عنه والاخر نقط من ماء التفاح على منديله فهذه الزلات اوجبت عليهم القانون المذكور وداياً يوجد على المايدة وفي الكنيسة اخوة واباء مقونتين منهم مصلوبين منهم راكعين في باب المايدة او في باب الكنيسة والاخوة جميعهم يمرون عليهم وتراهم يقبلون مداسات الاخوة وكل يوم صباحاً لهم جمعية مقدسة وكل منهم يستغفر عن زلته جهراً امام الاخوة والريس يحملونه القانون ولهم بعد العشاء تنزيه هذا شكله يخرجون الجميع من بيت المايدة الى الديوان ويجلسون بالرتبه جانبي الديوان ويقف واحد بيده كتاب ويقرأ فيه وهو نوع تأمل روحاني وتراهم متخشعين متذللين وساهيين مثل الملايكة من شدة الخشوع ولهم تنزيهة اخرى وهي مبهجة اكثر من الاولى وهو انه كل احد وعيد يغسلون (ص ١٤٧) اقدام بعضهم البعض بماء مغلي فيه حشايش لها رايحة طيبة انظر الى هذا التنزيه وبعد هذا ارسل الريس كلفنا الى عنده فمضينا الى عنده وقبلنا بكل محبة وسالنا عن حالنا ورهبنتنا وعن معيشتنا فاخبرناه تبجع لنا كثيراً لانه رجل فاضل وقديس كبير وملو حكم وفضايل فطلبنا منه ان يرضى ويسمح لنا ان ناكل مع الاخوه في المايدة مرة واحدة فرضى بذلك وثاني يوم قدسنا عندهم وحضر منهم البعض قداسنا وبعد القداس ارسل الريس لي الشخص المعين على خدمتنا لكي يدعونا ويفرجنا على الدير فاخذ يفرجنا على الدير على اوض الرهبان فرأينا اوضهم قوي صغار وداخل كل اوضة

فرشة ومخدة وداخلهم تبن وطاولة للكتابة ومسجد دف وفوقه جمجمة انسان لا غير ثم مضى بنا الى مكان الذي يغسلون به اثوابهم وجالسين مقدار ستين راهباً يغسلون الاثياب وكل هذه الجمعية لا يسمع لهم صوت وراينا تلك القمصان الصوف الغليظ وكلهم يشتغلون ونظرهم امامهم ولا يلتفت واحد الى الاخر كانهم جمهور ملايكة ساكتين واراتا ايضاً هناك اخوة يغسلون فجلاً فما احد رفع نظره الينا بل كل منهم عمل لنا انطانيه من غير ان ينظروا الينا وبالنتيجة الدير الذي تكلم عنه القديس يوحنا السلمي اي الذي سماه دير التوبة ليس هو اضيق من هذا الدير على الارض وبه الرهبان ملايكة لان جميع ما رايناه هناك فهو عجيب وما كنت اظن ان في المسكونة ديراً فيه اناس مثل هذا الدير قديسون لا محال.

ويومها كان عندهم اربعة انفار لكي يترهبوا بهذا الدير وهم اولاد اكابر لبسهم جميعهم بذهب وثياب مكلفة وبينهم شاب عمره نحو عشرين سنة وهو مثل النجمة ولبسه مفتخر وقد اتى ليترهب هناك وبعده صلوا صلاة السواعي صلاة المايدة ودخلنا جميعنا برتبة مكلفة كل منهم بمقامه ووقفوا على جانبي المايدة وصلوا قدر عشر دقايق (ص ١٤٨) وجلسوا بعده للغداء وكان غداهم ذلك اليوم شوربه مالحه بحشيش بغير زيت وشوربة قمحية لا غير وفجل وشربهم ماء التفاح وماء شعير وجلسوا اكلوا مثل الملايكة بادب واحتشام وبعد خلوص الغدا مضوا الى الكنيسه وصلوا صلاة الشكر بتأمل وقت المسا بعد صلاة الستار يخرجون من الكنيسة الى باب الدير ويقف الرئيس وبيده مرشة ماء المقدس فياتي الاول ويسجد امامه وينضحه بالماء ويأتي الباقون واحد بعد واحد الى حد المبتديه واذا مرض احدهم يطعمونه اللحم واذا قرب للموت يمدونه فوق الرماد لكي يموت فوقه ولهم دفن الميت خشوعي جداً ولما يضعون جسد الميت في القبر كلهم ينطرحون على وجوههم للارض كالموتى قدر ثلث ساعة ويتاملون حال الموت ولبس هولاء الملايكة صوف ابيض لكن الصوف خشن كثير وفوق ثيابهم ثوب عريض ابيض وكمامة طوال وعراض وفوقه اسكيم صغير ابيض وله نازل من دايره الى حد كتافه وفي رجليهم جرابات بيض وتراهم يتكلمون بالاشارة مثل الخرسان لان حين دخلنا تقدس عندهم اتا الينا واحد منهم واراتا ورقة مكتوب عليها الوان البدلات لكي يعرف باي لون نريد نقدس فوضعت له اصبعي على لون الاحمر فمضى جاب لنا بدله حمره ومعلقين في كل مكان اوراق يوصون بها الى الذين يدخلون الدير وفي يلو كل ورقه كاتبين الصمت ولما دخلنا للمايده اخذ الريس الكبير

الابريق بيده وسكب لنا على ايدينا ونايبه اعطانا المنشفة وموجود بهذا الدير مقدار ثلاثماية راهب وكاهن وفي فرنسا ما في موجود ولا واحد من هذه الرهبنة سوى هذا الدير ويمكن في كل المسكونه ما موجود سوى هذا الدير فقط وترى حين يجتمعون كل منهم يشتكي على رفيقه بذلة واحد يقول رايت اخي فلاناً التفت في الكنيسة مثل العوام واخذ يقول رايت فلاناً مشي بعجلة مثل العوام والآخر يقول اخي فلان اكل بعجله واخر يقول اخي رايته ماشي بغير ترتيب وهلم جرا ويبتدي الريس يعنف ويقرين ويعمل حقاره الى (ص ١٤٩) الاشخاص الذين عليهم الشكوى ويقول لهم هل اتيتم لتعملوا هنا كيفكم او تتنزهوا عندنا ولم يزل حب العالم بقلبكم ويمثل هذه الاقوال يعنفهم واذا غلط واحد منهم بحرف او بكلمة محل الصلاة حالا يسجد وينهض واذا واحد من الرهبان سقط من يده سكينة او معلقة او غيرها حالا يسجد وينهض واذا كسر شيئاً بعد ان ينهض يبرك على ركبتيه ويمسك ذلك الشيء الذي كسره امام الجميع ويصبر الى ان الريس يدق له دقه حتى ينهض وطول السنة ما ياكل الا اكلة واحدة بالنهار والمساء ياكلون سلطة وجبنة فقط وصلاتهم كل ليله في الخورس قريب ثماني ساعات وجميعهم لابسين قباقيب دف وفي صوم الميلاد وصوم الكبير وبقية الاصوام ما ياكلون سوى شوربا بماء صادا مع بعض حشايش لا غير وشغلهم جميعهم بالفلاحه ولهم غير اشغال كثيره ثقال بغير انقطاع واذا احدهم اشتكى على احد الى الريس والريس قرنه يلزم الاخ المقرين ان يصلي صلاة خصوصية لذلك الاخ المشتكي عليه لاجل انه صار له سبب لاكتساب فضيله وتراهم كلهم ومحروقين بمحبه الله ووجوههم مثل وجوه العرب وشعور روؤسهم طويلة وعليهم امارات العباده ظاهرة مثل سواح القدم وعناقهم دائماً منحنيه متدللين مخشعين واكثرهم اولاد اشراف وبالنتيجة لو كتبنا كل شي للزم لنا كتاب كبير جداً حتى يحوي افعال هولاء القديسين .

وفي ١٤ تموز رحلنا من عندهم على خيل الدير وهي مكلفة الى قرية مولين Moulins ومنها رحلنا الى قصبه اسمها كبري وشحدناها وصار لنا منها اصحاب كثيرون وواجب وبعده رجعنا الى ارجتان واردنا ان ننزل عند الكبوجين ووصلنا الى ديرهم واذا بالريس خرج مثل المجنون وهو رجل غليظ الاطباع وصار (ص ١٥٠) يدفعنا في ظهورنا مثل الحرامية ويعيط علينا ويتسودن اما نحن ما قصرنا في حقه من الكلام الذي اسمعناه اياه وخرجنا من عنده الى الابوزجة قريبة الى الدير ونزلنا هناك وكان معنا مكاتيب الى خوارنة

البلاد والى رئيسة ذلك الدير واعطيناهم المكاتيب واحكيناهم ثم فعل ريس الكبوجين فما هان على الجميع فعله وحالا ارسلت الرئيسة جماعة واتت بجميع حوايجنا من الابورجه واعطتنا اوضتين بالدير وصار منها كل عز واكرام ثم زهبنا الى عند حاكم البلد واريناه السندات التي بيدنا لاجل الشحادة فأذن لنا حالاً وثاني يوم أبتدينا نشحد وذلك الريس الغليظ فما عاد يقدر ان يلملم حاله من شدة ما ارخينا عليه من جماعه من البلد واحكينا الى الابس Abbesse اي الرئيسة عن فعله فالمذكورة تخلقنت عليه كثيرًا وارسلت وبختـه وثاني الايام ارسل نايبه لعندنا يطلب منا المغفرة فتكلمنا معه حسب ما يجب عن ريسه وفعله وبعد اتى بذاته لعند الريسه حين نحن كنا دايرين نشحد واخذ يعتذر عن فعله ويطلب من الريسه بان تاخذ بخاطرنا من طرفه واننا نمضي لعنده ونتغدى في ديره فما امكن ان الرئيسة ترتضي بذلك بل قالت له لا تظن بان عادوا يدخلون ديرك ووقع المذكور بشر اعماله وفي نزولنا عند الريسة صار لنا سبب العز والاكرام من ساير اهل البلد لان هذه الريسة شهيرة وهي من نسل اكابر محبوبة الجميع وطا عم وهو كاولير Cavalier كونه في مدينة مانطة وهذا المذكور الذي اخذ مركب البكليك الى العثملي وكان داخله الوالدة سنة ١٧٢٢ واخذه قريب دمياط والى الان موجود داخل كنيسة الدير بيرق غليون الوالدة الذي اخذه عم هذه الريسة وهذا البيرق منخرق من احدى عشر موضع مكان المدافع الذي اصابته وخزقته.

القول عن مدينة ارجنتان Argentan هي مدينة صغيره وعمارتها حجر وبها صرايات عدة (ص ١٥١) وبناها جميل وماؤها نبع طيب وارضها ذات مغل كثير وداخلها كنيستان كبيرتان على اسم القديس جرمانوس وبها دير رهبان تشفين كثير هذه البلدة وبناتها واولادها ورجالها جميعهم شغلهم انديشا شغل ابره وهي بمجز ابيض كان يكن شقفة وزنها عشرة دراهم او اكثر تساوي قرب الف غرش ولا تظن ان هذا مبالغة واكثر التجار يأتون وياخذون من شغل هذه البلدة الى كل البلاد والممالك ولا يمكن ان يسعه العقل وقتها رايناهم يشتغلون الى سلطان فرانسا غطاء طاولة طوله دراع ونصف وعرضه كذلك فسالناهم كم يتكلف هذا فقالوا لنا يتكلف ست اكياس دراهم ومعاش هذه المدينة من هذه الصنعه مسلط على هذه المدينة مرض يقال له البوريت الذي ذكرناه في مدينة روان.

وفي ٢٣ تموز رحلنا الى مدينة فالس Fals وفي طريقنا ادخلنا الى دير

راهبات من رهبنات المذكورة تغدينا هناك وبعد الغدا رحلنا الى عند الخوري انكيير وتوسلنا اليه كثيراً لكي يتقبلنا بالشحادة وبعده رحلنا الى دير مار اندراوس بعد عن فالس حكم ساعة وهو دير مكنّن جداً وبه كنايس معتبره عدلنا عن ذكرهم .

اتقول عن مدينة فالس فهي غنية جداً وفقراها قليلة ومتجر اهلها غزل وقطن وشغل الجرابات الحرير والقطن ولهم صناعة بدباغ الجلود التواسيم وهذا الدباغ يلزمه الى كمال شغله مقدار ثلاث سنوات لانهم اولا يضعونه في ماء الكلس سنة ونيف وبعده يخرجونه يلقونه في اجزا شكل انشارة الخشب مثل قشر الشجر وغيره ويتركونه بهذه الاجزا سنة ويخرجونه بعده ويشتغلون فيه بغير اشيًا هم يعرفونها وايضاً ستة اشهر لكي يكمل عمله ولهذه المدينة عين ماء طيب جاري جداً ولها برك عظيمة وبها كنايس وديوره ولها اسبيتال للمرضى وقد عمر السلطان بها اسبيتال (ص ١٥٢) جديد لاجل الجنود الذين يتعطلون في الكون (الحرب) ويومها ما كان كمل بعد وبها بيوت جملة وصرايات مكلفة وبها مدرسة مكلفة وخارج هذه المدينة قرية تسمى كبره وبهذه القريه يصير الموسم المشهور وهو بازار شيء عظيم يوجد به من كل البضايع ومن جميع انواع الحيوانات مثل الجوخ والمخمل وساير الاقمشة المكلفة من ساير ما تطلب واحكوا لنا اناس صادقون مثل كهنة وخوارنة انه يمكن ان يوجد بهذا البازار بضايع ومال يساوي مابة كرة مثل ثلاثين الف كيس دراهم وجميع هذه الارزاق تباع وتنفق بهذا البازار مدة خمسة عشر يوم لان هذا البازار هل قدر يستقيم وترى في هذه القرية مخازن وبواكي مسكرة وفاضية وفي مدة هذه الخمسة عشر يوم البازار تفتح فقط ويتصل كراء كلّ مخزن الى مابة غرش حسب صغره وكبره وفيها مخازن يبلغ كراء المخزن خمساية غرش ويوجد بهم اناس من جميع ممالك الافرنج وغيرهم تبلغ كثرتهم لهذا المقدار حتى خمسة انفار او ستة ينامون بفرشة واحدة ومع هذا الازدحام العظيم لا يوجد حرامي ولا نشال ولا ادنى فساد لان حضرة السلطان معين جملة عساكر لكي يحرسوا هذا البازار ويحفظوا كل شيء هناك وبعد انقضاء الخمسة عشر يوماً ترى تلك القرية والمدينة تفرغ وتعود مثل حالها الاول ويوجد بازركان هناك في ذلك البازار يشترون المخزن بما هو به من غير ان ينظروا او يذرعوا او يحسوا بل يشترونه مشايله يدخلون الى المخزن ويشترونه من بابه بماية الف غرش او باكثر او باقل قدر تخمين عقله ولهم هؤلا البازركان نظر عظيم بمثل هذه البازارات لانهم بنظرة واحدة يعرفون كمية مبلغ الموجود .

وفي ٢٩ منه رحلنا منها الى مدينة كان Can واستقمنا بها ثلاثة ايام
وفي ٣ آب رحلنا الى مدينة بيوه ونزلنا عند البنديكتين وهناك وصل الينا
مكاتيب من مادام بيرين جليسة سلطان فرنسا وتخبرنا بانها تكلمت مع الملكة
بخصوصنا واعطتها قول بان برجوعها الى ورساليه تلزم الى مادام الدوشيس
بانها تكتب الى مطران مادامة كوتانس Coutance لانها ابنت عمه مكاتيب
(ص ١٥٣) توصيه فينا ولكن نحن كنا متقلّين من زوادتنا لان استقمنا
خمسة عشر يوماً والدير صغير فاخذنا مكاتيب من بعض اكابر بيوه لان
كان لنا اصحاب كثيرون الى مطران كوتانس وصار لنا منهم عز واكرام زايد
وهم ناس اغنياء واكابر البلدة ومن جملتهم واحد اسمه الاب اوتيه وهو شنوان
Chanoine الذي ذكرناه قبلاً والمذكور احبنا كثيراً حتى انه ترك اشغاله
وكان يدور معنا للشحادة وله علينا فضل عظيم واعطانا احساناً وافراً وبسعيه
صار لنا فايدة عظيمة .

معدن الفحم

وفي ٢٣ آب رحلنا الى دير بنديكتين بعيد اربع ساعات وكان معنا
رهبان رفاق ومنه رحلنا الى مدينة سان لو Saint L'o ونزلنا عند شنوان وصار
لنا عزية زايدة منه وشحدنا سان لو وثالث يوم رحلنا الى كوتانس بعيدة
ثلاث عشرة ساعات وقريب دير سيريزي مكان معدن الفحم العجيب وهذا
المعدن سبب ظهوره ان بعض معلمين من علماء فرنسا قد اظهروه
وكشفوه بعلم الفلك وهو عميق تحت الارض حكم مايتين وخمسين دراع حفروا
عليه فطلع معدن لم يخلص ولا في مدة سنين وكل الحدادين والصياغ الذين
في فرنسا يشتغلون من هذا الفحم وفي البيوت ايضاً لان هذا المعدن هل قدر
كثير حتى ان القنطار يساوي ثلاثة غروش وكل رطل من هذا الفحم يقوم
بمقام عشرة ارطال من غير فحم لان ناره حده جداً ورايحته طيبة لا تضر
الدماغ مثل فحمنا وتراه يشعل عاجلاً وبعد ان يشعل يعود اطفاؤه عسر
ولون ناره مثل الذهب وهو معدن شريف اسمع كيف اخرجوه فبعد ان عرف
المعلمون ان هنا معدناً ولم يعلموا ما هو فاخذوا يحفرون الى ان وصلوا الى
المعدن فرأوا ان هناك ماء كثير وكانت تغلبهم بالحفير ولما رأوا ان المكان
عميقاً فارادوا ان يتركوه فتحيروا من ذلك وظهر واحد من فرنسا من المعلمين
المهندسين وعمل حركة عجيبة وغريبة عن العقول وهو انه عمل طرنبات من
اسفل الحفير الى فوق وجه الارض حكم ثلاثين ذراعاً وركب فوقهم دواليب

بشكل جديد (ص ١٥٤) نصف دايره وثلث دايره ومثلين دايره وغير اشيا يعسر على الكاتب المهندس ان يعرفها كما يجب لان سمعها ما هو مثل نظرها وجميع هذه الحركات آلات ثقيلة دف ثقيل وحديد ثقيل حكم ماية قنطار حديد واكثر وكلها الات ثقال لاجل جذب. هذه الامياه من العمق الى فوق هذا العلى لكن بقى بدهم حركة لكي تشغل هذه الحركات الثقال لانه غير ممكن ان حركة ماء او دواب او هواء وانسان يقدر على تحريك هذه الالات لكن هذا المعلم الفايق الصناعة الذي اظن ما بقى في العالم معلم يشبهه شغل هذه الالات الثقيلة جداً بقوة ضعيفة جداً وهي بخار وحيلة (بخار) الماء السخن اولا عمل فرن مثل افران الخبز المشهورة عندنا وركب فوق هذا الفرن حلة تسع من الماء ثمانية عشر الف بوتقة ماء اي قنبي السودات الذي ياتي وزن هذا الما ستماية قنطار وجعل فوق هذه الحلة شكل قنر طاحون اي مدار الخنطه وقدر برميل كبير وجعل لـــه بعض حركات مما تناسب صناعته واوقد تحت هذا القدر النحاس النار الى ان تغلي هذا القنر من هبال تلك الما وحبس داخله ذلك الهبال في هذه الحركات التي صنعها داخل القنر وفوقه وعمل بعض حركات لاجل جذب الهوا منه تلك الحركات المجوفة وبقي الان خالياً من الهواء فلزم ان الطبيعة افتقرت الى الهواء لكي تملي ذلك الاين الخالي لانه من المعلوم بدون الهواء لا يمكن ان يقوم الشيء وجعل جذب الهوا من الاين متعلق بهذه الحركات جميعها فلما افتقرت الطبيعة لجذب الهوا جذبت معه هذه الآلات الثقيلة كلها وشغلت هذه الدواليب المصنوعة بالهندسة المحكمة من غير انزعاج كاباً وجعل في اسفل القنر حركات بحدايد ودواليب حتى انه ولد صغير يشتغل بهذه وهو جالس على كرسيه يرتل كما انه يلعب وجعل في سطح هذه الحركات حاصلاً تجري منه هذه الامياه التي تصعدها هذه الدواليب من اسفل الخنير الى فوق مثل النهر وجعل لها مجاري ينصب منها الى القدر الماء ومجاري يخرج منه الماء الحار قدر ما يدخل ماء بارد بقدره يخرج ماء حار وكل هذا الثقال وهذا (ص ١٥٥) العزم كما قلنا احد الاولاد الصغار يديره بيده الواحدة وهذا شيء نحن رايناه وشاهدناه عياناً وما ممكن كان ان نصدق هذا الامر لو احكوا لنا اياه ما لم رايناه واذا ارادوا ان يهدوا هذا العزم ذلك الولد يقدر يهديه من غير انزعاج اصلاً ويقدر ان يشغله بعزم وعجله ان اراد وجعل مكان الى الذين ياتون لكي يتفرجوا على هذه الحركات جميعها لكي يصدقوا ان هذا العزم جميعه متعلق بتلك الحيلة وجعل له مكان آخر لكي اذا ارادوا

فتح هذه الحبلة وخراجها لكي يرى المتفرج ان هذه الحبلة هي المحرك لهذه الالات جعل مكان صغير تخرج منه الحبله لكن حين تنفتح هذه الكوة لاجل خروج هذه الحبلة تسمع لها صوتاً مثل صوت المدفع العظيم حتى انه لما اراد المتوكل على هذا المكان ان يفرجنا على خروج هذه الحبلة قال ان لا تخافوا وقال لنا كونوا على حضر لا تخافوا ودخل فتح تلك الكوة الصغيرة فسمعنا صوت مثل مدفع العظيم جداً وظنينا ان الارض من تحتنا ترتج صوت عظيم دايل ولتصديق هذا الشغل انه من حبلة الماء وحال ما يبطلون النار من تحت ذلك القدر ترى حالاً جميع الالات والدواليب وقفت من شغلها وحينما يوقدون النار تبتدي تشتغل بالنتيجة شي عجيب ما راينا شبهه وجعل جانب الخفير تنوراً صغيراً وبه يشعل ناراً قليلة وبهذه النار القليلة يجذب كل الهوا الذي داخل الخفير لئلا تنضر الفعلة داخل الخفير ومتى طفيت هذه النار حالاً تتضايق الفعله في اسفل الخفير لان شغلهم اكثره سراديب ومغاير داخل الخفير حكم دارعين وثلاثه واكثر لكي يلحقوا المعدن .

وفي ٢٤ دخلنا الى كوتانس وواجهنا المطران ووكيله فرانا منهم واجب خلاف ما كنا نؤمل لانهم قبلونا بكل محبة وطبعوا لنا اذن شحاده مكلف وسببه ان المادام رانيه ارسلت فينا مكاتيب توصية الى الجميع فهذا كان السبب وصار لنا اكرام واحسان واستقمنا ٩ ايام وفي (ص ١٥٦) اليوم العاشر رحلنا الى كرانتان Carantan وهذه القصبة صغيره وفقيره ولكن داخلها ثلاثة كنايس وجملة اديرة واكلهم ومعاشهم كثيف واهلها كذلك وعطاهم قليل لانهم بني فلح ويومها ورد امر من حضرة السلطان وطبعوه في كل الممالك والى جميع روسا الاديرة والخوارنة لكي يبحثوا ويدققوا عن سلوك جميع الكهنة والكنائسيين عن سلوكهم كما يجب وان كان الكهنة تقدس كل يوم افلم يكن لهم مانع شرعي وان انوجد احد منهم على خلاف ما ذكرنا لم يطيعوا ريسهم حالاً يسلموه الى الشريعة والشريعة تودبه قدر ذنبه .

وفي ٣ ايلول رحلنا الى مدينة كرانتان وهي تبعد عن كوتانس سبعة ساعات ومررنا في طريقنا على قصبة تسمى بيريه Bériers وهي بلد صغيرة ولكن غنيه ويدهم ماسكه للعطاء ودربنا كان مشقة عظيم من عطل الدرب وخطره من كثرة الامطار والوحل فدخلنا عند الريس وكان عندنا له مكاتيب توصية فالمذكور قبلنا بكل محبة وطلبنا منه ان نشحد ابرشيته فوعدنا بذلك ثم نزلنا وتفرجنا على البلد وهذه البلد صغيرة وجميلة وتبعد عن بلاد الانكليز

خمس ساعات في البحر وكل اسوارها مبنية جديدة ومحفوظة جداً ولها قلعتان داخلها واهلها خبيرون بالحرب كثيراً وخارج هذه المدينه جسر من حجر مبني بناء عظيماً جداً على قناطر من الحجر الصلب وتحت هذا الجسر اربع قناطر لها ابواب بمصراعين وهذه الابواب من الآلات الثقيلة وبصفايح الحديد الثقيل جداً جداً ولها حركات ودواليب لاجل فتحها وغلقها وهذه الابواب هي لاجل المد والجزر في البحر تدخل هذه الامياه من هذه القناطر وفي وقت المد تدخل هذه الامياه مثل المدافع القويه وتجري بعزم عظيم هذا حده حتى بوصولها الى هذه الابواب تغلقهم بضجه عظيمة مثل اصوات الرعود لان وقتها كنا نحن فوق الجسر وكان القمر في (ص ١٥٧) الزياده فلما اتى المد ووصل الى تلك الابواب وغلقها ظنينا ان مدافع كبار انضربت من تحتنا وسبب ضبط هذا الجسر بهذه الطريقة لكي الامياه لا تتلف الاراضي التي خارج الجسر وتتلف الزروع والاشجار وقد تكلف هذه عمل الابواب خمسون الف غرش او اكثر وله جماعة متقيدون به دائماً ليلاً ونهاراً ولهم اوقات محل نقص القمر ويتركون الابواب مفتوحة ولهم مداخل ماء من غير مواضع لكي تدخل الى البلد وتغسلها من الاوساخ لان اهلها مثل البهايم والوحوش .

وفي ٨ ايلول رحلنا الى قصبة اسمها بون بورك وفي طريقنا مرينا على سانت اميراكا الخوري وقبلنا بكل محبة وترجيناه بان يوصي لنا ويشحد لنا في غيابنا وبهذه الضيعه موجود واحد غني كثيراً فاخذنا الخوري لعنده واريناه السندات التي معنا فالمذكور ما اعطانا شيئاً بل اوعدنا انه يعطي للخوري لكي يوصلنا احساننا ومن هناك مضينا الى بون بورك وهي قصبة صغيرة وقبلنا خوريها بكل محبة وطلبنا منه ان نشحد فقال لنا امكثوا الى يوم الاحد لكي اوصي لكم في الكنيسة واشحدوا البلد ويوم الاثنين سافروا فقلنا له يا سيدنا نعلم ان البلد فقيره ولا نريد نثقل عليكم فقال لنا امكثوا تجدوا كل خير وكان نهار جمعة فكثنا ليوم الاحد اوصى لنا في الكنيسة وتغدينا عنده وارسل معنا كاهنين يرافقانا بالشحادة ودرنا البلد كلها وكلهم فقراء وجمعنا ستة غروش فقط من كل البلد وثاني يوم رحلنا الى مدينة والونيا دخلنا رايناها مدينة صغيرة ولكن معظمه وممتليه اكابر واشراف حتى انهم يلقبونها بهريز الصغيرة ونزلنا عند كبوجيين ومضينا الى عند خوريها وهو رجل كبير وعليه وظايف مطران وقبلنا بكل محبة واخيرنا بان وصله مكاتيب من الاحباب توصيه بنا (ص ١٥٨) واوعدنا ان يوم الاحد يوصي لنا في الكنيسة ويحث الرعية على مساعدتنا

وارسلنا مع نايبه الى عند حاكم البلد واعطانا الحاكم ثماني مصريات حسنة وثاني الايام رحنا لعند مركيز دي وهو رجل اكابر مكلف وبعيد عن مكاننا ساعة وربع ودرب قوي عثر دخلنا عنده واعطيناه مكتوب توصية فينا وبعد ان قرأه وطول فيه مقدار نصف ساعة فاخذ يسالنا عن سبب شحادتنـا واشكينا له حالنا وارويناه السندات المعنا فد يده الى جيبه واعطانا ثماني مصاري ودار وجهه ومضى وكان عنده واحد ايضاً من اقرباه اكابر والاخر اعطانا ثماني مصاري وخرجنا من عندهم جواعاً وتعبانين مسافرين ساعة ونصف ورجوعنا ايضاً ساعة وربع على ست عشرة مصرية وفي طريقنا دخلنا لعند واحد اعطانا غرش وايضاً مررنا على كاهن عابد قوي وقبلنا بكل محبة واعطانا اربعة غروش وعلى كام واحد اعطونا غرشاً غرشاً .

النقول على مدينة والونيه Valognes وهي مدينة صغيرة وبها سراية جميلة مكلفة وهي بلد مرخصة وهي من حساب نرمندية التحتانية في فرنسا ودخلنا الى مدرسة مبنية بناء عجيباً من قبل الهندسة ومن الحركات التي داخلها اولا حين تدخل من الباب ترى بناءًا رحباً وكبيرًا داخله سراية كبيرة جداً مثل البرية كلها مبلطة ببلاط اسود وابيض ودايرها مصاطب حجر وفي صدر السرايا ترى باب بناء عالي مرتفع جداً وفيه ساعة وسط ذلك الباب قدر الباب وفوق الباب شخصان مار بطرس وبولس من الرخام كبيران قدر قامة انسان فدخلنا داخل هذا الباب فراينا شكل حوش صغيرة مثل قاعة صغيرة وعلى جيانها الاربع ست ساعات وفي السقف اربع ساعات وجميع هذه الساعات (ص ١٥٩) تشتغل من الساعة الفوقانيه التي في الباب المذكورة وبهذه الساعات لكل منها لها شغل يخصها ولا يخص لغيرها الاولى تريك الوقت في ساير الدنيا وفي اربعة اقطارها كل بلد ايشقدر تكون الساعة والوقت والساعة الثانية تريك ايام القمر وكم يوم بالشهر واي يوم بالجمعة مثل التنين والثلاثه والبقية والساعة الثالثة تريك ايام القمر كيف يخلق وكيف يمتلي وجعلوا الى معرفة ملوء القمر حركة فيها برأس العقرب. الشغل الذي في وجه الساعة شكل تفاحة سوداء كبيرة وداخلها ايضاً شكل تفاحة بيضا من الفضة بغاية الجلاء والصفاوة وتشتغل من امحاق القمر وتبتدئ تلك التفاحة السوداء تنتل يوماً فيوم الى ان يمتلي القمر ترى تختفي تلك التفاحة السوداء وتظهر التفاحة البيضاء الى ما يبتدي القمر يأخذ في النقص تراها تبتدي تقلب تلك التفاحة البيضا وتظهر التفاحة السودا الى ان يتمحق القمر وهذا دينها دائماً ولا تنحل ولا تخرم ابداً والساعة الرابعة تريك دخول وخروج القمر الى الابراج

في ربعيات القمر ولها اربع خراقات يظهر منها القمر على ملوثه وانمحاقه وبدره وفي شكل عجيب والساعة الخامسة تريك اشهر السنة واساميها وهي تدور القرص كل سنة مرة واحدة وفي سنة الكبيس تجعل شهر شباط تسعة وعشرين يوماً وتريك ايضاً الانعكاس القمري والساعة السادسة تريك اضواء والارياح الى اي جهة متفرقعين هذه الارياح الى ثمانية اقسام الرياح كل ريح منهم مقتسم الى اربعة اقسام ارياح ولهم هذه الارياح انصاف وارباع وهذه الست ساعات لا يخرموا ابداً وفي السقف اربع ساعات الاولى لاجل قاعدة القمر وكيف يتولد الثانية لاجل سنة الكبيس والثالثه ساعة (ص ١٦٠) الجيل اي كل ماية سنة تدور دور القرص دورة واحدة والرابعة هي ساعة الحرف الذهبي الذي يشتمل على تسع عشرة سنة وهذا حساب تفرضه علماء الفلك وكما تقدمنا فقلنا ان هذه الساعات جميعها تشتغل من ذاتها مثل ساعات العتاد وهي تستمد من الساعة الكبيرة. وبعد ثمانية ايام رحلنا الى مدينة اسمها شربور Cherbourg وهي على حافة البحر بعيده عن بلاد الانكليز اربعة عشر ليكوات اي حكم سبع ساعات في البحر وبهذه المدينة ايضاً المد والجزر ظاهر جداً لانه يدخل الى حد آخر المدينة من جانبها وحين يرجع يبعد عنها حكم مابين ذراع وهذه المدينة حصينه جداً واهلها بازركان ولما كنا هناك وصل خبر ان زوجة الدولفين ابن السلطان ولدت غلاماً ذكراً وصار فرح عظيم في كل المملكة.

حريق في فرع شربور السلطاني

لكن اسمع ايها القاري وانظر كيف افراح العالم ليست بكامله دائماً بل يخالطها الحزن. اولاً احترق في ورساليه في هذا الفرع اسطبل السلطان واحترق به جملة خيل وجملة من البشر وصار ضرر بقدر الفين كيس وسبب هذا الحريق هو من الحراقات دخلت بارودة الى مكان التبن والناس مشتغلة بالحراقات والفرجة وصار هذا الحريق ولكن مع هذا كله لم يبال السلطان ولم يبطل الفرح والزينة وفي هذه الغضون محل الفرح والمرهجان وصل خبر موت ابنة الملك امراة سلطان دوق فيليب في ايطاليا وهي التي كانت محبوبة عند ابيها سلطان فرنسا وعند امها واخيها الدولفين وعند كل المملكة فتلك الساعه حالاً بطل جميع الفرح والزينات والحراقات وابتدأ الحزن في السلطنة الى مدة شهر ابصر كيف افراح هذا العالم مخلوطه بالمرار فبعده رحلنا من شربور الى بريكبيك Bricquebec وهي قصبة صغيرة فتكلمنا مع خوريها

لكي يشحد لنا في غيابنا الى ما نعود اليه لان المدينه صغيرة وليست غنية فردنا ان الخوري يشحد لنا في غيابنا وهذه المدينة ما بها شي يحرز ان (ص ١٦١) نتكلم عنه لانه كما ذكرنا صغيره وفقيره ورحلنا منها الى سور بعيده عنها اربع ساعات ودخلنا عند خوريها وقبلنا قبول محبة ومكثنا عنده يومين حتى شحدنا ورحلنا من هناك الى دير بنديكتين اسم الدير ابس ومكثنا عندهم يومين حتى شحدنا ورحلنا من هناك الى كوتانس مكثنا يوماً واحداً ورحلنا الى مدينة كوندويل . وهذه مدينة جديدة وغنية جداً بعيدة عن كوتانس سبع ساعات على حافة البحر وهي مبنية على جبل ولها صايح براني اكبر من المدينة والبناء متصل بها غير منفصل وهذا دليل انها مزمعة ان تصير مدينة عظيمة وهي على حافة البحر واكثر النـــاس ترغب ان تسكنها لانها يمكن ان تصير متجراً لقرب البحر لها وهواها طيب جداً وماؤها لذلك واهلها خيرون ولها يصير بها المد يدخل البحر الى اخر بيوت الصايح البراني وبعيد عنها نصف ساعة دير سكلند ولها كنيسة جميلة واستمنا هناك ستة ايام وشحدناها ورحلنا منها اليوم السابع ومتجرها السمك وبها اجناس سموكات عدة ولذيذة جداً ورخيصة بغاية لانه يوثق منها مراكب الى جميع البلاد ويصير منها مدخول لاهل البلد ينوف عن ميتين كيس واهلها اغنياء ثم رحلنا الى اورانش Avranches وهي ابرشية صغيرة وفقيرة واظهروا لنا كل محبة وشحدناها وفي الثامن رحلنا الى مونة سانت ميشيل Mont St Michel بعيدة ثلاث ساعات ودربها خطر بغايه وبها المد والجزر والبحر كثير لان حين مده يعبره بحراً باليبس وتمشي المراكب فيه من عظم مده وبعده وصلنا الى جبل مار ميخاييل وهو سن جبل قام من البحر وتعلق بالغيوم من شدة ارتفاعه وعلوه ومبني حوله سور من حجر على اربــع قامات بناء متين وله باب واحد يصعد منه الى هذا الجبل ودخلناه ورأينا حراسه متسلحين وحاضرين كانهم للقتال مستعدون وهم (على) ثلاثة ابواب وانتهينا الى راس هذا (ص ١٦٢) الجبل فرايناه ديراً عظيماً لانه عمارة ملوك وابواب جميعها بالحديد المشبك وداير الاسوار الطواب مثل غابات القصب جميعها خارجة الروس من ذلك السور وجميعها موجهة على باب القلعة نصب ودروجات ولفتات والذي يدخل لا يقدر يخرج الا بدليل ومبنية على العواميد اربعة وعشرين واحد انظر كيف رفعوا هذه العواميد من هذا العمق الى هذا العلو وبها كنيسة ايضاً على شبهها من العواميد ثلاث طبقات ومتينة جداً . واظن ان هذا البناء يدوم الى القيامة وبها اماكن بابواب قصار حبوس لاجل

المجرمين من الاكابر الذين يغضب عليهم السلطان ويومها كان محبوساً هناك اكثر من ثلاثين واحد مغضوب عليهم من السلطان اكثرهم اشراف وهي مدينة عظيمة عدلنا عن شرحها .

وفي ١٥ تشرين الاول رحلنا من هناك الى بنطرسون Pantarson ومنها دخلنا الى مدينة سان مالو Saint Malo وهي اول مدينة من اعمال برطانية فرنسا وهي صغيرة غير انها غنية وهي مبنية على جبل في وسط البحر ولا تفتح الابواب الا بعد الشمس ويسكرونها قبل غروب الشمس خوفاً من الاعداء لانها كانت بيد الانكليز واخذتها منهم الفرنساوي وبعد عناء عظيم وصلنا الى المطران واتخق انه رجل عظيم واعطيناه مكاتيب توصية فحين قراها ارانا قبولاً وكلفنا لنتغدى عنده وبقينا نأكل عنده الى حين سفرنا وارسل حالاً دعا اليازجي وكتب لنا صورة دستور عمومي نشحد من غير تحديد ابرشيته جميعها وهذا الاذن هو احسن من كل اذن المطارين ويوم الاحد اوصوا لنا في الكنيسة وفي جميع الكنايس وحثوا جميع المسيحيين على اسعافنا وبدينا نشحد ولكن اكثر اكابر البلد غايبين عن المدينة وهم في بيوتهم التي هي خارج البلد واحكينا للمطران هذا الامر وقال لنا لا عدنا نشحد عنده الى شهر تشرين تاني لانه يبتدي غفران سنة المقدسة وجميع اهل البلـد ملتزمون بالحضور لكي يرافقوا الزياحات التي تصير على اسم روح القدس في مبدأ الغفران وارسلنا الى مدينة اسمها (ص ١٦٣) دينان Dinan ورأينا اهلها اصحاب خير فوصوا لنا بالكنيسة وبدينا نشحد ودخلنا عند رجل من الاشراف وقدسنا عنده وفي صرايته بيارستان مرضى الفقراء وهو وحرمته يخدمانهم ويومها موجود كان ينوف عن العشرين فقيراً مريضاً وهم على تخوت مكلفه ونظام معين لهم كهنة لاجل القداس والاعتراف ولهم مكان وهم نائمون فيه بفرشاتهم ويرون القداس امامهم ومعين خزمتكاريه بعلوفه يرسلهم للضيع ولكي يخدموا هناك المرضى ويداووهم لانه هو رجل طبيب وجراحي ومعلم لانه رجل فريد عصره بفعل الخير والصدقة وبهذه المدينة اديره وكنايس كثيرة ومياهها ومناخها عذب جداً وبها نبع ماء معدني له فعل عجيب في ساير الامراض ولهذا يقصدونه من ساير الممالك من المرضى في ايام الصيف ويفعل بهم افعال عجيبة بالصحة واستقمنا سبعة ايام ورجعنا الى سان مالو وبعد ثلاثة ايام حين ابتدأ الغفران ابتدينا نشحد ولو كانت شحادتنا قبل الغفران كان اخير لنا لاشتغال الشعب جميعه بالكنايس والصلوات واغلبهم لم يتوجدوا في دكاكينهم

لان اكثرهم يأخذون معهم خبزة ويمضون الى الصلاة الى المساء[1] ورحلنا الى مدينة رينيه Rennes في ١٢ منه ووصلنا اليها ثاني الايام ورحنا لعندهم وكان وصلهم مكاتيب توصية فينا رحنا عند المطران وواجهناه فقال لنا اريد اعمل كل خير معكم ولكن جئتم في وقت عاطل لان الغلاء في هذه البلد وايضاً من ثلاثة اشهر احترق في ابرشيتي قصبة غنية ومات في الحريق بشر كثير واحترقت اموال كثيرة ولهذا اغلب الناس شحدوا وافتقروا وآلاف لم يشبعوا الخبز من الغلاء والنتيجة احما قلبنا من الحكي وهذا حقيقي واوعدنا ان يعمل جهده لاجل خيرنا وواجهنا حضرة حاكم البلد اي القاضي واعطيناه المكاتيب فقري (ص ١٦٤) عجبوه والمذكور شار علينا وهو بالصواب ان نترك الشحادة الى عيد الميلاد لان جميع الاكابر مسافرون الى خارج البلد فذاك الوقت يصير لكم خير ازود ورحلنا الى باص برتانيه Basse Bretagne الى مدينة وان Vannes وكان برد شديد حتى ان دقوننا عادوا مثل القرون من شدة الجليد والبرد ومضينا الى المطران رجل خايف الله عابد قديس ما راينا مثله قط لان كل يوم يستقيم ثلاثة ساعات قبل الغداء وثلاثة ساعات بعد الغداء يستمع اعترافات الشعب وهو معتني به ومع هذا لم يبلغ من العمر سوى اربعين سنة واعطانا اذناً بشحاده واعطانا هو احسانا .

(له صلة)

---

[1] كذا في منتصف القرن الثامن عشر في فرنسا ... وكذا رأينا في حلب جماعة المصلين في الجمعة الحزينة يأكلون بعد الصيام الى الظهر وينتظرون في اروقة الكنيسة ابتداء الصلوات الطقسية ونحن في القرن العشرين .

نشيد السامرية

للشاعر رومانس المرنّم

عرّبه عن اليونانية وعلّق عليه الاب نقولاوس قادري ق. ب.

المقدمة

من ينشر الغمام في عرض السماء ويسقط الامطار على الارض ومن يفجّر الينابيع متدفقة خصباً وحياة وجمالاً هو هو من نراه — والعرق يتصبب على وجهه — يطلب قليل ماء من امرأة تمسك بجرّتها وتتهيأ لتملأها من بئر عميقة. انه المطر الروحي السماوي ويسأل شربة ماء انه يسوع ابن الله وابن الانسان ويخاطب امرأة خاطئة وسامرية.

هي المحبة الكبرى تجسدت الكلمة صار جسداً واحب الناس ولاجلهم اخذ جسداً خاضعاً للعطش والجوع للبرد والحرّ والتعب. وبهذا الجسد البريء من الخطأ يتنازل حتى الى مخاطبة امرأة خاطئة. يشرح لها الحقائق الالهية برموز وايحاءات ويجسّد الحقائق الروحية ليجعلها قريبة المنال ومن متناول البسطاء. اصبح يسوع معلماً للخطأة وللجهال ليقود الى الله كل من تغرّب عن الله بالخطايا فيعود به الى الله الحق عن طريق المحبة الصادقة.

ونشيد السامرية لرومانس الشاعر هو شعة من تلك الشعاعات القوية الغزيرة الضياء وومضات من الشعر ولمع من ضياء الروح في عالم الادب والفن. نشيد السامرية هو حوار لطيف يمزق الحجاب الكائن بين الله والانسان وتزول الأبعاد فيقترب الانسان من الله لا بل قل يقترب الله من الانسان ويبحث الله عن ابناء البشر التائهين في مهمه الشرور والآثام.

ينبوع على بئر. اله قرب انسان يحنو على صورته المشوهة ويرجعها الى جمالها الاول والى صداقتها مع السماء. نشيد السامرية هو هذا الحوار اللطيف الرقيق الذي تم بين البراءة والإثم وعلى حافة بئر طالما تكدست فوق حافتها تلال من الاحاديث والترهات واللعنات وطالما جذبت ألسنة من نار وتلوثت نفوس بوحل الخطايا الحالك. وها انه لاول مرة تجري فيها وحواليها ينابيع سرية تتدفق بالرحمة والنعمة والحق والضياء فتزول من حولها كل

(١ Ῥωμανοῦ Τοῦ Μελῳδοῦ Ὕμνοι ὑπὸ Νικολάου Β. Τωμαδάκης Τόμος Β-Σ. 283-304 Ἀθῆναι 1954.

ارجاء الخطايا لتصبح ينبوعاً للقداسة والبرارة ولاول مرة في تاريخ البشرية تصبح البئر اداة خير وتقديس وبرارة وتغسل بمائها آثام بني البشر الذين شربوا من مياه الارض الموحلة فتعود النفوس مرتوية بماء السماء مقبلة الى طريق القداسة والاتحاد بالله. اخذ رومانس الحوار من ناصيته وكسهم سريع دخل في اعماق الموضوع.

وجد النشيد في مخطوطة قديمة من المخطوطات الموجودة في مكتبة دير القديس يوحنا الانجيلي في جزيرة باطمس وهذه المخطوطة تحمل رقم ٢١٣ والنشيد في حالة متوسطة وقد اشتغل في تنقيحه واملاء الفراغ العالم البحاثة اليوناني نقولاوس توما داكيس Νικόλαος Β-Τωμαδάκης وقد استعان على التدقيق بهذا النشيد بلغة الكتاب المقدس والآباء.

ويبنى النشيد من اثنتين وعشرين مقطوعة يربطها ببعضها هذا التوزيع: نشيد الحقير رومانس Τοῦ Ταπεινοῦ Ῥωμανοῦ ὕμνος

استقى رومانس الموضوع من انجيل يوحنا الفصل الرابع وهذا الفصل يُتلى في الاحد الرابع من بعد الفصح ومن هذا النبع الاساسي استقى المرنم هذا النشيد. واستقى ايضاً من الآباء وخصوصاً من يوحنا الذهبي الفم. وكثير من الشروحات تشهد على تعمق رومانس في درس الآباء والتأثر باقوالهم وعرض الموضوع بفن وغنى ادبي.

فالمقدمة بابياتها القليلة تعد القارئ لموضوع النشيد. وهي عرض للاشخاص وما ترمز اليه المياه وما تحققه من ابتهاج وفداء.

وفي المقطوعة الاولى يشرح الشاعر التجارة الروحية بوزنات الارض وما تجره من عمل او اهمال لاخذ المكافأة او العقاب من ملك السماء وينتقل الى المتاجرة بالخيرات روحية كانت ام زمنية واشراك الاخرين بها(٢)وفي المقطوعة الثالثة يتفجر الموضوع من الكتاب العجيب. وفي الرابعة تعليم الكتاب عن لقاء يسوع والسامرية والزمان والمكان. ووصف لشخص يسوع الطبيعي والرمزي «الينبوع كسب ينبوعاً» وفي المقطوعة الخامسة وصف للشخص الثاني وصف داخلي للسامرية الخاطئة.

وفي المقطوعة السادسة يبتدر يسوع بالحوار الرشيق اعطني لأشرب فتخاطبه المرأة (كيف تطلب مني؟) ويجد الشاعر في السامرية رمزا الى الكنيسة والى حوض العماد (٧) ويتخطى الحوار الى عطية الله التي هي اعظم من عطية يعقوب (٨) وتبين العطية بالفرق الناجم بين الماء الراكد في بئر يعقوب وبين الماء الحي الذي يتفجر من قلب يسوع (٩).

ثم تبحث المرأة كيف تتخلص في المستقبل من المجيء كل يوم الى البئر وتغيير الماضي وتبديله بحياة جديدة ونوع عيش جديد (١٠).
الدعوة الملحة دعوة الرجال والغاية من ذلك كشف العطش (١١) ثم يبين رمز الرجال العديدين الذين تخلت عنهم السامرية كما تخلت الكنيسة عن عبادة الاصنام (١٢).
ثم يفصّل الشاعر ما تحتوي عليه عبادة الاصنام: الكفر الخلاعة الفجور القساوة وقتل الاطفال (١٣) وعن هذا كله تخلت السامرية وتخلت عن الرجال كما تخلت الكنيسة عن الاضاليل (١٤).
ويبتعد الشاعر عن سياق المصادر الانجيلية ويستعمل الحوار مع تحليل لنفسية السامرية بقدر ما تُظهر نَفسها. يرى الشاعر فيها حب الاستطلاع والاستزادة من المعرفة وكشف الحجاب عن طبيعتي المسيح(١٥) وبسط رائع لعمل طبيعتي المسيح الظاهر بوضوح في معرفة الاسرار كأله وفي ظهوره بين الناس كانسان(١٥) عند ذلك ترجع السامرية الى ذاتها العميقة فتصلي وقد اشتعل قلبها بالايمان فتعرف انها امام المسيح الموعودة به الاجيال السالفة (١٧) وتتوسع دائرة عمل يسوع فيتخذ السامرية اول مبشرة ومرسلة (١٨) فيرسلها تستدعي ابناء وطنها والاقرباء الى التمتع بالمياه المروية فينتهي الحوار بعد ان سكن الله في داخل النفس (١٩).
وفي الذهاب يصل التلاميذ ويعجبون من خطابه مع امرأة. فيصمتون ولان المرأة ذهبت تبشر وتقول انه اعلمني بكل شيء (٢٠) اما التلاميذ فيدعون المعلم الى الطعام ولا يقولون له شيئاً (٢١) عندئذ يصل السامريون وقد تركوا بيوتهم واقبلوا الى الايمان فصاروا بيوتاً لله..(٢٢)
- هذا هو النشيد بمقطوعاته الاثنتين والعشرين ولا نعلم ما اذا كان النشيد كاملاً بمعناه كما هو كامل بمبناه وكنا نود ان يكون النشيد منتهياً بصلاة يصعدها السامريون خاتمة لعمل يسوع في ارضهم.
هذا النشيد هو اظهار يسوع معلماً انسانياً والهياً. فهو كإله يحمل العلم الالهي: علم السعادة والحياة الفضلى والطهارة والقداسة والسمو فوق اميال الطبيعة الساقطة. وكانسان يحمل العلم ولا كالمعلمين. ما من احد عرف ان يكون على مستوى البشر ليرفعهم الى العلو الالهي مثل يسوع المسيح. المعلم الالهي العجيب امام تلميذته السامرية واية تلميذة جاهلة غارقة في اوحال الرذائل وترى الشاعر كيف يجهد نفسه ليظهر يسوع مجداً في ادخال النور والحقائق الروحية الى هذا العقل المظلم. «اميلي اذنيك

وانتحي في اذهانك لادخل اليها واسكن فيها .» (٩)

يجرب ان يرفعها الى الاجواء الروحية السامية ويعمل على تنقية مداركها : «واذا شئت فانا اعطيك مجاري المياه الصافية »(م—١١) الماء الحي يجري من تحت الارض وهو نقي ينفذ في الهواء الطلق وتطهره اشعة الشمس المحرقة . كذلك ماء المسيح الروحي .

لقد اسر المسيح هذه الامرأة بكلامه ووعده وهي لا ترى حتى الساعة الا الصعوبات لتحقيق ما يجعلها سعيدة هنية .

« ليتدفق هذا الماء ويسقيني انا وجميع الذين يبحثون بايمان عن فداء وابتهاج »(١٠) .

هناك طرائف من الشعر الرمزي: «خرجت واستقت كانها اسفنجة » (م—٥) انها اخذت التعليم عن يسوع المعلم وارتوت في داخلها كما ترتوي الاسفنجة من المياه.

وصورة جميلة قول الشاعر : « خرجت تحمل جرتها ودخلت تحمل الله.» (م—٥) ولا تزال ترتوي من تعاليمه حتى تفيض بالايمان والمحبة لهذا المعلم الالهي : « استقي من روحه واشرب من علمه . » (م—١٦) وعندما تصل الى الارتواء الكافي تشعر بأنها اصبحت خليقة جديدة ونقية طاهرة: «وفي اقواله أغسل كل دنس خطاياي حتى آخذ بقلب طاهر فداءً وابتهاجاً . » (م—١٦) .

وفي هذا النشيد تكثر وتتاصل جذور الحياة الروحية السماوية وتعمق : « هوذا من تبصرين ومن تملكين في قرارة قلبك . انا جئت حباً بك لاجذبك واخلصك»(م—١٨) وفي الهدف الاخير من الحوار مع هذه الجاهلة يصبح المسيح ضيفاً يسكن في نفس المرأة المؤمنة : « قد نظفت قلبك بدون أبلته وغسلت روحك بدون مجاري وجعلت سكناي فيك طوعاً.» (م—١٩) .

ولا يترك الشاعر اشخاصه الا بعد ان يشبعها درساً وتحليلاً فالتي كانت غارقة في ارجاسها اصبحت بدورها رسولة الى ابنائها وسكان مدينتها : « تركت جرتها وحملت على اكتاف قلبها من يسبر الكلى والقلوب وبوقت صارخة هكذا بالجميع : « ايها الشيوخ وانتم ايها الاحداث ايها الفتيان والعذارى اسرعوا الى البئر لقد فاض الماء الجاري للجميع» (م—٢٠) .

وهكذا يغدو الشاعر رومانس معلماً للحقائق العميقة بقالب الشعر والحوار والتحليل النفسي لشخصيات متباينة تقترب من بعضها البعض تحت تأثير الكلمة . فرومانس ينثر شعل الايمان باضطرام المحبة الالهية ويزرع الجمال كشعة من السماء وتنحدر الى النفوس فيستضيء الوجه وتضطرم النفس فتؤمن وتحب وتعانق الجمال المتجسد .

نشيد السامرية

للشاعر رومانس المرنّم

متقدمة

عندما وافى الربُّ البئرَ[١]
استعطفت السامريةُ الحنون :
« اعطني ماء الايمان ،
فاتلقى الينابيع
متدفقة من حوض العماد ،
فداءً وابتهاجاً . »

١) يوحنا ٤ – ١٥

١ — يا نفسي : لا تدفني
الوزنة المعطاة لكِ :
لئلا تُلطخي بوزر اهمالكِ :
يوم يحاكم الله العالم[١]
وحينما يأتي الرب
سيحاسبكِ على الفور :
ويضبط حساباته :
ولا يطالبكِ بما اخذت
من رأس مالٍ فحسب :
بل بما حصّلته ايضاً .
انه يستوفي من كل انسان
الدين مع الفائدة[٢] .
فيا نفس : اقلعي عن الاهمال
ويا نفس : تاجري :
يا نفس : اعطي وخذي :
حتى اذا جاء مليكك
يعطيك ثمن تجارتك
فداءً وابتهاجاً .

٢ — ما كنت اهلاً بما تملكين
وما انت تملكين
آخر وهبكِ النعمة
فلا ترددي ان تشركي بها
من يستعطيكِ :
كما فعلت السامرية .
وحدها استقت
واعطت الآخرين مما اخذت .
ما التمس منها انسان
واحسنت للجميع .
اغدقت النعمة
التي اخذت على الآخرين .
هي عطشى وتغدق :
سقت وما شربت .
لم تذق بعد شيئاً وكأنها سكرى :
تصرخ بابناء بجدتها :
« هلموا انظروا الماء الجاري
الذي وجدت أليس هذا المانح
فداءً وابتهاجاً ؟ »

١) مز ٩ — ٩

٢) لوقا ١٩ — ٢٣

٣ ــ بما اننا قد شربنا
من هذه المياه الخالدة
التي وجدتها السامرية بإيمانها،
لنبحث، نحن العطاش،
عن جميع الأوردة.
لنرجع قليلاً
الى عبارة الانجيل،
فنرى عن رشد
أن المسيح هو الماء
الذي شربت منه السامرية قديماً.
ونرى كيف أعطت
ماءً آخر تفجر
من ذلك الماء.
ولِمَ لم تسقي
من كان عطشان آنذاك
ولِمَ تمنعت؟
فالجواب نجده في الكتاب
المقدس[1].
الكتاب العجيب الذي يحوي
ويعطينا
فداء وابتهاجاً.

٤ ــ ماذا يعلمنا الكتاب؟
قال: ان المسيح الذي منه
يتفجر ينبوع الحياة للناس،
حين تعب من المسير.
جلس قرب نبع السامرة
وكانت ساعة حرّ.
وقال: وكان نحو الساعة السادسة
اي عند منتصف النهار،
عندما اتى المسيح
لينير الذين كانوا في الليل.
الينبوع كسب ينبوعاً
للاغتسال لا للشرب.
كان ينبوع الخلود
بالقرب من مجرى المرأة الشقية،
كأنه فقير معدم.
انه تعب من المسير،
وهو الذي جاز البحر
بقدميه بدون ما تعب،
وهو الواهب
فداءً وابتهاجاً.

---
١) يوحنا ٤: ١٥ و ٣٩.

٥ — عندما كان الخنون
قرب البئر ، كما قلت :
اخذت سامرية
جرتها على كتفها[١]
وانت خارجة
من مدينة سيخار .
فمن لا يغبط خروج
هذه المرأة ودخولها ؟
خرجت بفساد ودخلت بريئة
رمزًا للكنيسة .
خرجت واستقت ،
كأنها اسفنجة :
خرجت حاملة جرتها ،
ودخلت تحمل الله .
ومن لا يغبط هذه الامرأة
او بالاحرى من لا يحترم
تلك التي جاءت من الامم؟
انها صورة وقد اخذت
فداءً وابتهاجاً .

٦ — تقدمت البارة واستقت بحكمة .
ولما ابصرت السيد وهي التقي ،
وعطشان يهتف :
«ايتها المرأة ، اعطني لاشرب[٢] .»
انها لم تكن شرسة الاخلاق ،
بل اجابت بنبرة الملامة :
«كيف تسألني ، وانت يهودي؟
ذكّرته بالشريعة عن حكمة
وبعدئذ وعدته بالشرب .
هي لم تقل فعلاً :
« انا لا اعطيك لتشرب ،
لانك من جنس آخر» ؛
بل قالت : كيف تسألني ؟ »
كما قالت أمّ الله قديماً للملاك :
«كيف يكون هذا[٣]
وكيف الذي لا ام له
يستطيع ان يأخذني
أماً وهو المانح
فداء وابتهاجاً ؟ »

١) يوحنا ٤ — ٧
٢) يو ٤ — ٧ و ٩
٣) لوقا ١ — ٣٤

٧ — هوذا السامرية من سيخار
تظهر لي رسماً لصورتين :
الكنيسة والسامرة .
فلا نهملها لانها مُنية للعيون.
اذنْ لتقل المرأة
من جديد للخالق :
« كيف تسألني ؟
اذا اعطيتك لتشرب ،
فعندما تشرب
تتجاوز الشريعة اليهودية ،
ويبيك الماء لي زوجاً
يشاركني ايماني.»
ما اجمل اقوال السامرية !
انها ترسم على البئر
صورة لحوض العماد
وفي خروجها منه
يتقبلها أمةً
الواهبُ
فداءً وابتهاجاً .

٨ — ويهتفُ يسوع :
يا امرأة ، الآنَ اسمعي لي ،
لو كنت تعرفين عطيتي
ومن الذي يقول لك :
«اعطني ماء، لكنت انت
طلبت منه مجاري حية :
انه يعطي ماءً حياً . »
على هذا اجابت باضطراب:
«انت لا تحمل وعاء لتستقي
والبئر عميقة ،
من اين لك المياه ؟
ألعلك اعظم من يعقوب ابينا[١] ،
او تكون افضل منه ؟
هو اعطانا قديماً
هذا النبع فكيف تقوى انت
على القول: انا استطيع ان اعطيك
مجاري حية
ما برحت تعطي الطالب
فداءً وابتهاجاً ؟

١) يوحنا ٤ — ١٠ و ١٢

٩ ــ انت يا امرأة : لا تعلمين
ما اقول وما توصلت الى ماأشاء
أميلي اذنيك
وافتحي لي اذهانك :
لأدخل اليها واسكن فيها :
هكذا اردتُ انا .
من يشرب من هذا الماء[1]
فانه يعطش كل يوم ،
واما الماء الذي سأعطيه
لمن أحبهم الايمان .
فسيكون لهم مندّيا
بعد عطشهم :
وفي داخل الذين يشربون منه :
يتحول بمجراه الى ينبوع من خلود
سوف يتدفق ومنه
تجري الحياة الابدية .
هذا ما أخذه قديما
أولاد العبرانيين في القفر[2]
ولكنهم ما وجدوا
فداءً وابتهاجا.»

١٠ ــ بهذه الاقوال التيت
السامرية عطشا
وتغير النظام :
فالتي كانت بدأ تستقي
هي عطشى الآن ؛
ومن كان عطشان قبلا
هو يستقي الآن .
انحت المرأة وقالت[3] :
« يا رب ، اعطني من هذاالماء
حتى لا احتاج الى المجيء الى
هذه البئر
التي وهبني اياها يعقوب .
لتفقد الايام القديمة قوتها ،
ولتزهر الايام الجديدة ؛
ليمض ما هو وقتي :
فالزمان آتى من ماءانت تملكه.
ليتدفق هذا الماء
ويستقي انا وجميع الذين
يبحثون بايمان
عن فداء وابتهاج .

---

١) يوحنا ٤ – ١٣ و١٤
٢) كور ١٠ – ٤ و٥
٣) يوحنا ٤ – ١٥

١١ — اذا شئت فانا اعطيك
مجاري المياه الصافية ؛
اذهبي : وادعي رجلك[١]
فلن احذو حذوك
ولن اقول لك : سامرية انت
فكيف تسأليني ماء ؟
ولن ارهق عطشك ؛
فانا بالعطش جذبتك الى العطش
لعبث دور العطشان :
وتظاهرت معذباً بالعطش
لكي اظهرك انت عطشى .
فاذهبي اذن وادعي رجلك
وهلمي .» — فقالت المرأة
« انا آسفة لا رجل لي . »
فاجابها الخالق : «اجل لا رجل لك
وقد كان لك خمسة رجال ؛
اما السادس فما هو لك
حتى تأخذي
فداءً وابتهاجا . »

١٢ — يا للالغاز الحكيمة !
يا للسمات الرشيدة !
التي بها ترتسم صورة الكنيسة
بايمان المرأة البارة ؛
وبألوان حقيقية لا تشيخ .
كما أنكرت المرأة زوجها ؛
وقد كان لها ازواج عديدون
هكذا الكنيسة انكرت
آلهة عديدين كازواج
واتخذت زوجاً لها
السيد الوحيد
لما خرجت من المياه .
كان للسامرية خمسة ازواج
ولم تحرز السادس ؛
واما الكنيسة فلما تخلت
عن خمسة ازواج الاثم :
ففي خروجها من المياه
اتخذتك أنت السادس
فداءً وابتهاجاً .

١) يو ٤ : ١٦ و١٨

١٣ – لتبغض اشكال
عبادة الاوثان !
فالعروس الآتية من الامم
ترمي بالملذات
وتنكرها بسبب مرارتها
هذا اصل عذب .
وربما سأل احدهم :
ما هي خمسة الاشكال هذه؟
عديد هو الضلال
لعبادة الاوثان :
انما له خمسة قرون :
الكفر والخلاعة والفجور
اضف الى ذلك القساوة
وقتل الاطفال
كما يعلم داود حين يقول[١]
ذبحوا بنيهم وبناتهم
للشياطين وما وجدوا
فداء وابتهاجاً.»

١٤ – العروس الناشئة من الامم
تركت مثل هذه الاضاليل :
وعدت الى هنا .
الى بئر حوض العماد :
وانكرت ماضيها :
كما فعلت السامرية قبلا .
انها لم تخف شيئاً
عن عالم كل شي قبل حدوثه :
بل قالت : «ليس لي زوج.»
هي لم تقل : «ما كان لي» :
وكما اظن ارادت ان تقول :
«حتى ولو كان لي ازواج سابقا
فلست اشاء فيما بعد
ان يبقى لي من كانوا لي .
فانا الآن امتلكك انت
وقد اخذتني في شباكك :
واصطدتني بالايمان
من اوحال رذائلي لأنال
فداء وابتهاجاً . »

١) مز ١٠٥: ٣٧ – ٣٨

١٥ — عندما فهمت البارة
كرامة الخلاص
بما كشفه لها ،
صبت الى الاستزادة
لمعرفة ما كان عليه
ومن هو الرجل الذي عند البئر
اجل كانت قد أخذت
بمثل هذه الافكار ،
وذلك ليس بدون سبب :
« هل هو اله ، ام هو انسان
الذي انظره ؟
اهو من سكان السماء
ام سكان الارض ؟
هاهو يحقق له معرفة الامرين معاً
في كائن واحد ،
عندما يستقي وهو عطشان
عندما يعلم ويتنبأ ،
وعندما يدعوني .
انا الخاطئة لاعود اليه
وعندما يريني كل هفواتي لآخذ
فداءً وابتهاجاً .

١٦ — اذن هو من السماء .
ويحمل حجاباً ارضياً .
وربما انه اله وانسان
فقد تراءى في كانسان
وربما انه عطشان
ارواني كاله وتنبأ .
لا يستطيع انسان
ان يعرف حياتي ويحويها في فكره
بل بوسع الله الذي لا يُرى
والذي سمح اليوم بان يُرى ،
بوسعه ان يشكوني
وله وحده ان يلومني .
له ان يعرفني ويعلن ما انا عليه .
انا استقي من روحه .
وانا اشرب من علمه .
وفي اقواله اغسل
كل دنس خطاياي ،
حتى آخذ بقلب طاهر
فداء وابتهاجاً .

١٧ – يا ابن الانسان. كما اراك .
يا ابن الله . كما افكر فيك.
انت انر قلبي .
يا رب . اعلمني من انت.»
هذا ما كانت تصلي به
الى المسيح المرأة السامرية :
« ها انا اراك بجلاء
واحدجك بإيمان .
لا تخف عني ذاتك :
ألستَ انت المسيح
من قال قال عنه الانبياء
انه سيأتي ؟[1]
فاذا كنت انت اياه :
كما اثبتوه : فقل لي بدالة :
بالحقيقة ارى انك
تعلم ما عملت :
حتى اسرار القلب :
ولذا اتوسل اليك
بارادة صالحة لآخذ
فداءً وابتهاجاً . »

١٨ – عندما ابصر المبصر
افكار الحكيمة
وإيمان قلبها : اجاب المرأة فوراً
« انا من تسمينه ماسيا
ومن تنبأ الانبياء
انه سيأتي في ايامنا
ترينه انت وتسمعين صوته[2]
انا هو من تبصرين .
وانا من تملكين
في قرارة قلبك .
انا جئت حباً بك
لاجذبك واخلصك .
الآن بشري بهذا
لجميع المريدين خلاصاً :
وفي مدينة سيخار
والى اقربائك ومواطنيك :
وهاموا جميعاً معاً
ايها العطاش
الى فداء وابتهاج .

١) يو ٤–١٩ و٢٥

٢) يو ٤–٢٦ .

١٩ ــ هاءنذا استقيتك. يا امرأة.
من لجة الحقارة
انا من كان لا يملك شيئاً
لاستقي به
نشّفت قلبك بدون ان ابلّه.
وغسلت روحك بدون مجاري.
وجعلت سكناي فيك طرعاً،
واضّبرت ما انا عليه
ولم اشرب.»
وبينما كانت الامور تقال وتتم،
وصل التلاميذ، ويقول الكتاب
انهم ما كانوا موجودين
قرب البئر في تلك الساعة[1]
بل أتوا بعدئذ
وعرفوا كل هذه الامور
فصرخوا متعجبين:
«يا لحبك الرائع للانسان!
لقد تنازل حتى الى امرأة
من يعطي
فداءً وابتهاجاً.»

٢٠ ــ تشجعت السامرية
واسرعت نحو سكان المدينة.
تركت جرتها
وحملت على اكتاف قلبها
من يسبر الكلى والقلوب.
وصلت الى المدينة
وبوقت صارخة هكذا بالجميع:
ايها الشيوخ، وانتم ايها الاحداث
ايها الفتيان والعذارى،
اسرعوا الى البئر.
لقد فاض الماء ويجري للجميع
رأيت هناك انساناً
علينا ان لا نسميه انساناً؛
فانه يكمل اعمال الله؛
فقد قال لي كل شيء
وتنبأ لي؛
من يريد ان يخلص
الجميع ويعطيهم
فداءً وابتهاجاً.»

١) يو ٤ ــ ٢٧.
٢) يو ٤ ــ ٢٨ و٢٩.
٣) مز ١٤٨ ــ ١٢.

٢١ — ان المبشرين بالخلاص
لم يقبلوا شيئاً مطلقاً
عندما وجدوه
يتحدث الى امرأة .
وهو من اتى الى الارض
ليولد من عذراء
اكمالا لمقاصده :
ذهبوا ليجلبوا طعاماً ؛
فوجدوا غذاء
لم يحرثه انسان ؛
لكنها يعطي الطالبين
طعام الخلود .
فاجابهم : « طعامي هو
ارادة ابي .[١]
وانا آكل طعاماً
لستم انتم تعرفونه :
ولكن عندما يأكله الناس
يفيض للجميع نسمة كاملة
وايماناً راسخاً ، يعطي
فداءً وابتهاجاً . »

٢٢ — توجه سكان السامرة
جماعات نحو الخالق[٢] .
وتركوا بيوتهم .
فاظهرهم الايمان
بيوتاً لمن تكلم
في الكتب المرحاة كما قيل :
«سأسكن فيما بينهم[٣]
وأتمشى معهم ؛
كما هو مكتوب .
انهم تركوا كل شيء
في مثل تلك البيوت :
الحقول والاهل
وما هو عزيز لديهم ؛
وسأكون لهم إلهاً
يخلصهم من الاشراك ؛
وهم سيكونون شعبي المقدس.
صانعين مسكنهم
في الثالوث الخالد وغير المنقسم .
والمجري بفيض
فداءً وابتهاجاً . »

١) يو ٤ — ٢٧ و٣١ و٣٤
٢) يو ٤ — ٣٠ .
٣) سفر اللاويين ٢٦ — ١٤

تعريف عن الكتب

Jean-Rémy Palanque et Jean Chelizzi: *Petite histoire des grands Conciles*, éd. Desclée de Brouwer, Tournai 1962, 311 pp.

كان أن نادى البابا يوحنا الثالث والعشرون بالتئام المجمع الفاتيكاني الثاني فأخذ المؤلفون يهتمون بما سبق من مجامع . ولما كانت الكتب القيمة قد تدارست الامور المجمعية الهامة من عقيدة وتشريع وكانت قد نشرت النصوص الأولية عن معظمها فانحنى بعض المؤرخين على النقاط الصغيرة التي تميّز بها اباء المجامع وهم بشر ولهم من النقائص ما يجعلنا نقول عندما نرى نتيجة اجتماعاتهم المجمعية ان الروح القدس عمل بواسطة وسائل ضعيفة عظائم .

وفي هذا الكتاب الذي نحن بصدده جمع المؤلفان في خمسة فصول ما يعود الى المجامع المسكونيّة في نقاطها التاريخية والجغرافية وذكرا ما وجداه من ضروب المنافسات أو غيرها. فأتيا في الفصل الاول على ذكر الفترة البيزنطية وفي الفصل الثاني على فترة العصور الوسطى وبعد ذلك اتيا على ذكر الازمة المجمعيّة وتوقفا في الفصل الرابع على المجمع التريدنتيني وفي الاخير على المجمع الفاتيكاني الاوّل .

صفحات تقرأ بسهولة ويستنتج منها القارئ ثقافة واسعة ويطّلع على ما كان عليه اباء المجامع في ما سلف من الزمن ويقابل بما يعلمه عنهم في الحقبة التي نعيشها فيرى ان الطبيعة البشرية وان تطوّرت تظلّ في أسسها على ما بنيت عليه . ا.ع.خ.

René Latourelle, s.j., *Théologie de la Révélation*, Desclée de Brouwer, Bruges 1963, 509 pp.

كتاب ربّما هو أوسع ما ظهر من الكتب التي انحنى مؤلفوها على درس الوحي الالهي في كل معطياته . يدلّنا المؤلف بدقة ثرية وبعلم واسع الأرجاء على تاريخ الوحي ولكنه لا يقف عند هذا فيتقلّب بمهارة بين طيّات الفلسفة والتأويل اللاهوتي ما يجعل كتابه اليوم اصلاً من الاصول التي يجب العودة اليها لفهم كلمة الله ودورها في حياة الفكر وتاريخ الانسان .

في عشرين فصلاً تشمل الوحي في العهد القديم وفي العهد الجديد وعند آباء الكنيسة وفي التقليد اللاهوتي القديم وفي تعليم الكنيسة وفي التفسير اللاهوتي: فيقف المؤلف عند تحليل الوحي ككلمة وشهادة ومقابلة الى ان يرى الصلة بين الوحي والخلق وبين التاريخ والوحي وبين سرّ التجسّد والوحي وبين نور الايمان والوحي الى ان يصل فيدرس الصلة بين العجيبة والكنيسة والرؤيا من جهة والوحي من جهة ثانية. في الفصلين الاخيرين يتوقف المؤلف عند درس غاية الوحي وثروته ووحدته.

من سرد هذه العناوين نرى كيف أن هذا الكتاب يشتمل على غذاء روحي وعقلي يشعر القارئ من خلاله أنّ له أنْ يطالعه مرة ومرات ليستقي منه ما يجعله في صلة متينة بكلمة الله اساس الوحي ومحوره. ومن تضارب الآراء التي يسردها وتكاملها يشعر ايضاً ان اعماق تلك الكلمة لن تسبر اغوارها فهي دوماً في تجدّد وهي دوماً في اظهار وجهات قيّمة لثروتها التي لا تنضب. ا. ع. خ.

PIERRE SMULDERS: *La vision de Teilhard de Chardin*, Desclée de Brouwers, Bruges 1964, 275 pp.

توقّف المؤلّف عند بعض المشاكل الهامة في بحر تفكير تيّار الواسع وجرّب ان يقابلها بالتطوّر اللاهوتي الذي وصلنا إليه في الحقبة الحاضرة. فاعتبر تيّار كشاهد لعصره ودرس هذه المشاكل بما فيها من قوة تفكير وسعة آفاق. فمن مقابلة تفكير تيّار والفكرة اللاهوتية القائمة، وقد بُسطت بأسلوب سهل شفّاف: يُستنتج ما يقلق العقل الإنسان المعاصر: اصل الانسان، تطوير العلم، النفس البشريّة، مستقبل الجنس البشري، مشكلة الشرّ والإختبار المسيحي.

فان من يطالع هذا الكتاب بانتباه يجد نفسه في أعماق التفكير يحمل القارئ على الاستزادة من التطلع الى فكرة تيّار وقد جرّب ان يجمع بين الدين والعلم في تطوير الحاضر. ولقد برع المؤلّف إذ توصّل ان يصيب في تعبيره وحصر الفكرة غاية وهي ان يساعد القارئ على الولوج الى اصل فكرة صعبة بقوة منطقها وبجدّة تعبيرها. فسهّل المؤلف على القارئ الذي لا يعرف تيّار الفائدة من فكرة هكذا عظيمة وأعطى الذين يتغذون من المفكّر والعالم الكبير توجيهات ربّما لم يكن يفكّر فيها. وإذا ما قام البعض باتهام تيّار بعدم الوضوح في اقواله اللاهوتية يعطيه المؤلف ما يجب ان يفهم

من خلال هذا الاعتراض براهين وأدلة تفسّر موقف تيّار وتغسله من كل ذنب وإن كان في مواقف عديدة لم يختر المنطق الكامل ولا الأسلوب الواضح الجليّ.

وهذا الكتاب هو من اعمق الكتب التي خطّتها يد كاتب في مؤلفات تيّار. ا.ع.خ.

ALB. VAN DEN BRANDEN: *Histoire de Thamoud*, 2e éd. Publications de l'Université Libanaise, section des Études historiques, VI, éd. Impr. Cath., Beyrouth 1966.

يضمّ هذا الكتاب خمسة فصول توسّع المؤلف فيها بما عنده من مستندات تتعلق بثمود وتاريخها. فتكلّم في الفصل الاول على العرب الثموديين في المصادر التاريخية وفي الفصل الثاني على المشكلة الثمودية والحلّ الذي يرتئيه لها. وتابع في الفصل الثالث كلامه على الشعب الثمودي حسبما تعطينا الآثار من معلومات واقعية. وفي الفصل الرابع بحث في دين ثمود وانتهى الى الآلهة التي كانت الشعب الثمودي يكرّمها..

نعرف عن المؤلف سعة اطّلاعه وطريقته العلمية الصافية والسير وراء الحقيقة يتوخّاها ليبرزها حسب معطيات العلم في اليوم الحاضر. وهذا ما جعلنا نطالع هذا الكتاب بانتباه ونستقي من علم المؤلف الكثير عن زمن وحضارة لم يبق منها الاّ الذكريات والآثار.

والكتاب الذي نحن بصدده في نشرة أنيقة تساعد القارئ على الانتصار على ما يجده من صعوبة في أمور علمية صعبة وتفاسير لا بدّ من ان تكون معقّدة. ا.ع.خ.

P. EVDOKIMOV: *La prière de l'Eglise d'Orient. La liturgie de S. Jean Chrysostome*, coll. « Approches œcuméniques », éd. Salvator-Casterman, Paris 1966, 208 pp.

تستطيع كنيسة أن تستدل ستاراً على وجهها او ان تبرز وجهاً تريده هكذا. ولكن ليس بمقدورها ان تخبئ ما في قلبها من محبة وعمق في مكالمة ربّها والهها. فانها علامة الحق، علامة الله وعلامة الانسان والصلاة وبخاصة صلاة الشكر التي هي الافخارستيا هي علامة، لا تعلوها علامة، الحوار المسكوني وملتقى الاخوان المخلصين بدم الاله الفادي.

والمؤلف لم يرد فقط أن يعطينا نصوصاً من الذهبي الفم ولا ان يفسّرها

لنا تفسير العالم بالأثريات اذ انه من اشهر لاهوتيي العصر في مقدوره ان يعطينا الكثير من ثروات الشرق المسيحي العميقة . فثقافته الواسعة ومعرفته الدقيقة للآباء يجعلانه يصغي الى ما يعطينا اياه العصر الحاضر والى حيرة الايام والاجيال الطالعة .

ويجد القارئ في هذا الكتاب ، ومن اولى صفحاته . ان مشكل الصلاة وطرقها لهي هي حيث وجد انسان يعبد ربه . وهذا هو المشكل الذي على المؤمن ان ينظر اليه بعين يقظة .

ج. ح.

KARL RAHNER, *Appels au Dieu du silence*, éd. Salvator-Casterman, Mulhouse-Paris 1966, 132 pp.

في هذه التأملات مثال الصدق فيها العلم اللاهوتي العميق يتجاوب ومعرفة صادقة لانسان اليوم ، لعظمته ، لحدوده ولآلامه .

فالحوار يدور بين الاله الكلي العطف والرحمة وخليقته الفقيرة والمحدودة وذلك من دفة الكتاب الاولى الى آخره .

امّا الافكار فيه فبسيطة ولم يكن للمؤلف ان يبهر العقول بتجديدات . اراد ان يركز انتباهنا على بعض الأمور العادية من صلاتنا مع الله والقريب .

ولقد سعى الناشر ان يُعطي الكتاب صورة أنيقة تساعد القارئ على متابعة المطالعة والإفادة منه

س. م.

P. BENOIT et M.-E. BOISMARD, O.P.: *Synopse des quatre Evangiles en français, avec parallèles des Apocryphes et des Pères*, t. I: Textes, Éd. du Cerf, Paris 1965, 374 pp.

لن يستطيع المنقب أن يدرس الكتاب المقدس وأن يفيه ما يتطلب من وضوح في التفتيش عن نيات الله في وحيه وعن نيات الرسل والتلاميذ في كتابه إذا فحصنا ما يقرب بين الكلمات والفصول وما يقرب بينها دون أن يستعمل ازائية النصوص . ولم يكن لنا في اللغة الافرنسية الى الآن سوى ازائية الأبوين لاغرانج ولافرن . وقد قل فيها التنظيم ، ولم تتصف بنظام أعظم ازائية بيمبوا إنما طبعها باتقان جعلها تفوق ثمناً تلك التي سبقتها . ولكن ازائية الاب دبش وقد قدم لها بكتاب وبمعلومات وافرة لهي قيمة مع ان هذه التي نحن بصددها تفوقها قيمة وقد يتبعها كتاب تفسير ودرس

علمي . فانها تحلل بدقة اوفر النصوص الكتابية . وتعطينا القديس يوحنا بكامله وتضع بازائيــة واضحة ما قد تداول عن يوحنا الى ان انتهى الى تكوين الانجيل الرابع .

وما يزيد في قيمة الكتاب الذي نحن بصدده هو ما وضعه المؤلفان من نصوص مقابلة من مؤلفات قانونية او مزيفة او من غيرها . ولقد ردّدا الإزائيات حتى ليسهل على القارئ أن يطالع إنجيلاً بكامله دون أن يعود إلى الوراء ليرى ما قيل وما ذُكر .

يتوصّل القارئ عند استعمال هذه الإزائية أن يراقب بعض الهفوات التي باستطاعته ان يصلحها : في المقطع ٣٦٢ ، في الصفحة ٢٨٦ وغيرهما .

ولكن ليس هذا إلاّ هنات لا يقف حاجزاً أمام قيمة الكتاب التي يكتشفها القارئ الغير اختصاصي الاّ بعد ان يطالع الكتاب الذي نحن بانتظاره فيتبيّن الامور في حقيقتها .

ا . ت .

La collégialité épiscopale. Histoire et théologie, sous la direction de Y. CONGAR, O.P., coll. « Unam Sanctam », Éd. du Cerf, Paris 1965, 390 pp.

تنقصنا درس في الجماعة الاسقفية بعد ان تطرّق لها المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني . ولقد كانت النصوص والتفكير اللاهوتي منذ الف سنة وخاصة منذ الجيل السادس عشر وبقوة متزايدة منذ المجمع الفاتيكاني الاول تتطلّع بصورة خاصة الى مهمة البابا وسلطته . ولكن هذا لا يمنع من ان التعليم المتعلّق بالجماعة الاسقفية كما اعلنها المجمع لم تكن في الماضي قد تركزت بنوع ما على اسس مكينة وواضحة تجعلها اهلاً لأن تعرض في الدستور العقائدي « نور الشعوب » .

ولقد تمنّع المجمع عن حسم بعض الفروقات التي تظلّ موضوع بحث بين اللاهوتيّين فاعلن عقيدة يستطيع كل كاثوليكي ان يقبلها دونما اعتراض .

ويظلّ العمل طويلاً لتوضيح هذا التعليم على صعيد التقليد الكنسي الكاثوليكي : ففي درس الكتاب المقدس وفي التاريخ حيث التنقيب على قدم وساق؛ في العلم اللاهوتي حيث يجب ان يُسبر كنه التآخي وقيمة اسس الجماعة الإنسانيّة ؛ في الحياة حيث الشرع ينظّم، وحيث الحياة تسبق النظريّات على ان يسود التفكير كل الطرق الجديدة في اظهار الحقيقة .

والدروس المجموعة في هذا الكتاب هي حجر في بناء صرح اللاهوت حسبما يريده المجمع الفاتيكاني الثاني؛ وهي من لاهوتيّين كاثوليك وبروتستانت وارثوذكس : بينهم الآباء دوبون ولكويه ومارو وكونغار ودوكس الخ . وكلهم من عرفوا بمؤلفاتهم ووجهة نظرهم .

م. س.

I. DE LA POTTERIE, S.J. - S. LYONNET, S.J.: *La vie selon l'Esprit*, Éd. du Cerf, Paris 1965, 288 pp.

لا سبيل للتعجّب أمام دروس كتابيّة عن حالة ووضع المسيحي في العالم تظهر في مجموعة تتعلّق بالكنيسة . اذ ان المؤلّفين يدخلان في علم اللاهوت عن الكنيسة تفكيرًا جديدًا عن الانسان المسيحي .

ففي درس أول عن العلماني توصّل المؤلفان الى القول الحاسم عن تطوير في تاريخ اللاهوت والتاريخ الادبي الذي حملها . وبعد ذلك يتوصّلان الى تحليل بعض نصوص العهد الجديد عن الحياة المسيحية ويعرضان ان كل شيء يبدأ بالولادة الجديدة من الماء والروح (يوحنا ٣/٥) . فالمسيحي هو ذلك الرجل الذي يعيش من الايمان تحت تأثير الروح القدس المستمر وهو الذي بعد ان يكون الهم ذلك الإيمان في قلب من يسمع الكلمة يحمله على التغذّي منها وعلى تبديل الانسان العتيق بالانسان الروحاني . عند ذلك يسير المسيحي صُعدًا في المحبة والحرية ؛ قويًا في ضعفه ؛ متطلعًا الى ملكوت الله في حضرته في العالم .

وان هذا الكتاب القيّم ليساعد على فهم ما عبّر عنه الدستور العقائدي عن الكنيسة بكلام مفعم معنى وقوة : « هذا الشعب الذي يوسم باسم المسيح ... له دستور هو لكرامة ابناء الله وحريتهم . في قلبهم يثبت الروح القدس كما يثبت في هيكله . ولهذا الشعب وصية جديدة هي ان يحب كما أحبّنا المسيح » .

م. س.

Encyclopédie de la Foi, sous la direction de H. FRIES, Éd. du Cerf, Paris 1965, 704 pp.

لهذا المجلّد الثاني الصفات نفسها التي تميّز بها المجلد الاول والذي تكلّمت عليه في هذه المجلة . فالطريقة هي هي ان يُعطي لكل درس حقّه من الكتاب المقدّس ومن التاريخ وبعد ذلك من التحليل العقائدي الذي لا يستطيع مؤلف ان يقوم به ما لم يسهر على معطيات الفلسفة الحديثة والثروات الفكرية التي تهديها للتفكير الانساني .

ولقد تميّز هذا المجلد الثاني ايضاً باختيار الكلمة واختلاف المدروسة: قرار: الجسمية: التاريخية: تاريخ الخلاص. وفي هذا الاختيار من التجديد. كان اللاهوت لسنين خلت لا ينظر إلى العقيدة الاّ من خلال التفكير والتحليل العقلي والنظري الى أن دخل التاريخ كقطعة ضرورية لا محال منها في درس حياة العقيدة وتطويرها.

وزاد على هذا المجلد عدد المشتركين في تهيئة المقالات وبينهم كبار المفكّرين واللاهوتيين مما يعطي الكتاب ثقة القارئ وارتياحه الى ما يقال فيه لأن هؤلاء الكتّاب اعطوا في دراساتهم المختلفة البرهان الواضح عن نفسانية يريدها المجمع المسكوني في كل مفكّر مسيحي: جمع الاهتمام الراعوي بالتفكير النظري فتصير بينهما ردة فعل متبادلة وتأثير متبادل خيّر. ونذكر من هؤلاء اللاهوتيين راهنر، چيزلنان، رتزنجر، كونغار، شنو، ماريه.

وبين المقالات التي دبّجتها يد هؤلاء اللاهوتيّين ننوه ببعضها وباهمها: الروح القدس، تاريخ الخلاص، خلود النفس، الاثام، يسوع المسيح، العلماني الخ. م. س.

W.-K. Grossow: *Spiritualité du Nouveau Testament*, Éd. du Cerf, Paris 1964, 225 pp.

يتهاون الكثيرون من الكاثوليك في مطالعة التوراة والكتاب المقدّس لانهم لا يجدون من يوضح لهم معالم الطريق ومن يدلهم على دور كلام الله في حياتهم. يعطينا المؤلف وهو استاذ التفسير الكتابي للعهد الجديد في نيمج فيستخلص توجيه ذلك العهد الروحي.

والمسيحي اذ يكتشف وضعه وضع ابن الله يدخل في وجودية جديدة ويحيا حياة جديدة فيها توق الى الكمال. وكلمة الله، وهي لا تسحق الخاطئ في خطيئته ولا تحصره في مسؤوليته السوداء، تساعده على التفوق على نفسه وتعظمه وتحرّره. اذ هي الخمير في شيخوخة الخطيئة.

بين كتب العهد القديم وحدة روحية انما لكل منها وجهة الخاص واسلوبه الخاص. فيعطينا المؤلف اولاً الاناجيل الازائية حيث نجد في اصلها الاول والوضعي كلمات المسيح الاله بالذات الذي هو ينبوع وحي العهد الجديد. وبعد ذلك يحلّل رسائل بولس اول مفسّر لسر المسيح

واعمق من كتب عنه . وفي الختام يذكر المؤلف انجيل يوحنا : ذلك الإنجيل الروحي الذي محوره المسيح كلمة الله المتجسد.

يلقي المؤلف نوراً جديداً على دروسه هذه . وانه ليكون توصّل الى غايته اذا ما ساعد القارئ في السير الى اختبار روحي صحيح .

م. س.

Mgr Gérard Huyghe: *Conduits par l'Esprit: une école de la foi*, Éd. du Cerf, Paris 1964, 253 pp.

غاية هذا الكتاب ان يعطي دروساً روحية لرجل اليوم من خلال النصوص الكتابية التي أوصى بها الله لخلاص شعبه اي الكنيسة .

والمؤلف يعرض علينا مشكلة الايمان خاصة فيحلّل اولاً نمو الايمان وينتقل بعد ذلك الى ايمان ابراهيم ثم الى ايمان العذراء وبعد ذلك الى تربية ايمان الرسل الذي سهر عليه المسيح الاله بالذات وينتهي الى تربية ونمو ايمان رجل اليوم .

لا يشعر القارئ وهو يطالع هذه الصفحات العديدة بملل ولا بسأم بل يتحسس مع المؤلف ضرورة الحياة الروحية في عالم تعالت فيه صرخات المادية والالحاد. فتي توق الى التعمّق في اسرار الحياة من خلال الايمان يسير ويجد ما يغذي توقه الى تجاوز الحدود وقلقه في تجاوزها .

ا. ع. خ.

La Parole de Dieu — en collaboration — éd. Casterman, coll. « Cahiers de l'actualité religieuse », Paris 1964, 316 pp.

ان اهتمام المسيحيين بالكتاب المقدّس ، ذلك الاهتمام الذي هو مبدأ التجديد في الطقوس والراعويات في كنيسة اليوم ، اثار رغبة في عدد من اللاهوتيين في درس حقيقة هي محور الوحي الالهي الا وهي كلمة الله . يستعمل المسيحيون هذه الكلمة ويرددونها ولا يأبهون لمعناها . نعم لم نكتشف في الجيل العشرين ان لله كلمة وانه كلّم البشرية . فان تاريخ حياة الكنيسة الروحية وتاريخ التفكير المسيحي يتعلّقان منذ البدء بتدخل الله في حياة العالم والبشر . انما عمق هذا التدخل وتلك الكلمة يجعل الضمير المسيحي يرنو الى الزيادة من البحث ونحن نرى اليوم في التجدد الكتابي عودة الى الينابيع والاصول ، عودة الى ما فيه حيوية الكنيسة .

ولا عجب فان الاصل هذه هي التي يدرسها الانسان أقلّ ما يدرس. قضى البشر اجيالاً قبل ان يكتشفوا ان الارض تدور حول الشمس. وقد اقتضانا اجيال لنتفهّم قيمة الوحي الالهي، لا في نتائجه ولكن ايضاً في ماهيته.

فما هي كلمة الله وكيف نجدها في الكتاب المقدّس وكيف تستمر في التقليد وفي وعظ الكنيسة وما هي الفروق بين الفكرة البروتستانتية والفكرة الكاثوليكية فيما يتعلق بكلمة الله وما هي الصلة بين الكلمة تلك المطلقة وما نراه في سائر الاديان وما يجيء مجيئها.

على هذه السؤالات يجاوب هذا الكتاب الذي نحن بصدده: لا بصورة نهائية لا زيادة عليها، وكيف يستطيع الى ذلك سبيلاً. انما يطمح في ان يكون نقطة في درس ما هو اساس الايمان المسيحي.

ان كلمة الله هي ايضاً محور المكالمة المسكونية. وبعض اللاهوتيين يرفضون فكرة الوحي — عقيدة ويحبّذون فكرة الوحي — حدث. فما اراده هذا الكتاب هو ان يتحاشى النظرات الفردية الانعزالية. اراد أن يُعطينا رأياً عن كلمة الله التي ظهرت في المسيح والتي تظهر اليوم في وعظ الكنيسة المتجدّدة.

يتجادل اللاهوتيون اليوم في صلة الكلمة بالأسرار. فلا تناقض هنا ايضاً. فان الامانة الصحيحة لكلمة الله لن تكون عبادة الحرف اليابسة: بل هي في صلة مستمرّة بحياة النعمة التي تغذيها الاسرار.

ان هذا الكتاب بما فيه من عزم على تجديد التفكير في كلمة الله ودورها على كل صعيد الحياة المسيحية لهو جدير بان يساعد القارئ على التعمّق في حياة ابن الله وحياته التي هو مصدرها.

ا. ك.

Sir Hamilton Gibb: *Arabic Literature*, second ed. revised, at the Clarendon Press, Oxford 1963, 182 pp.

كان قد نشر المؤلّف الطبعة الاولى لكتابه هذا سنة ١٩٢٥. ولقد ظهر منذ ذلك الوقت الى اليوم نصوص وكتب زادت في تفهّم الآداب العربية وكانت هي على قدر كبير من النقد والتمحيص. فاراد المؤلف أن يعيد النظر في ما كتبه ويُعطينا طبعة ثانية منقّحة وموسّعة، وبخاصة

فيا يتعلق بمدنيات الشرق الأوسط وآداب العصور الوسطى والآداب المقابلة. وأضاف ثبتاً ضمّنه الشيء الكثير مما يسهّل مطالعة الكتاب على قارئ نبيه .

ا.ع.خ.

ANOUAR ABDEL-MALEK: *Anthologie de la littérature arabe contemporaine*, vol. 2: les Essais, Éd. du Seuil, Paris 1965, 464 pp.

في مقدمة واسعة يعطينا المؤلف المبادئ التي ارتكز عليها لاختيار المنتخبات التي يعرضها علينا في كتابه هذا . وانه لعمل شاقّ ان يختار من بين العديد من المفكرين الذين اتخموا الفكر العربي منذ سنة ١٩٤٥ من هم في طليعة العاملين على احقاق فكرة الاستقلال والقومية العربية . ولقد جمع هنا المؤلف تسعين نصّاً من مصر ولبنان وسوريا وفلسطين والعراق والسودان وتونس والجزائر والمغرب والمملكة العربية السعودية واليمن .ووضع اسساً لانتقاء النصوص المنشورة ما يلي : قيمة المؤلفين في تيار عقلي ومقدار تأثيرهم في البيئة التي ينتمون اليها ووجوه الابتكار التي اتبعوها في درس وتحليل افكارهم . وجمع المؤلف المفكرين هؤلاء حول توجيهات معيّنة منها الفكرة السياسية والاجتماعية في الاسلام ، الدين والفلسفة ، الجمال والأدب. وفي قسم ثانٍ انتقل الى فكرة التجديد الحرّ .

لا غروَ ان مجموعة نصوص كهذه تدفق على قارئ الشرق والغرب معلومات جمّة لم يكن ليعرفها بدقة . وتقوده الى الوقوف على تيارات فكرية ربما كان يعيشها ويعايشها دون ان يحدّدها بوضوح . وان كتاباً كهذا ليؤدي خدمات جلّى لمن يريد ان يقف على حقيقة الأمور في تطوير بلدان الشرق منذ بدء الجيل العشرين .

ا.ع.خ.

أعمال المجمع الڤاتيكاني الثاني المسكوني – الجزء الاول

ترجمة « المسرّة » – المطبعة البولسية – جونيه – لبنان ١٩٦٦ ؛ ٢٣٢ صفحة

جمع هذا الكتاب بعض النصوص المجمعيّة واعطانا اياها في ترجمة عربية ليسهّل على القرّاء مطالعتها والإفادة منها . ولقد تضمّن الدستور العقائدي في الكنيسة ، المرسوم المجمعي في « رسالة العلمانيين » ، المرسوم المجمعي « في الكنائس الشرقية » ، المرسوم المجمعي « في الحركة المسكونية » ، مرسوم المجمع المسكوني « في وسائل الابلاغ » ، التصريح المجمعي « في

التربية المسيحية » : التصريح المجمعي « في علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية » : قرار مجمعي « في خدمة الكهنة الرعائية وحياتهم » .

في توطئة صغيرة يشرح المترجمون غايتهم من هذه الترجمة وسبب نشرها . ونحن نتمنى لها الرواج لكي يطلع المؤمنون على كنوز تعليم الكنيسة ويقومون بواجبهم نحو ضميرهم ونحو الله والقريب اذ يجدون تعاليم لا مفرّ لهم من تطبيقها اذا ارادوا ان يعودوا الى وجدانهم ويتفحّصوها بجرأة التيمّ على الوزنة التي لا تُطمر بل تُثمر .

ا . ع . خ .

مع الرب

بقلم مرسال هرتسانس — عرّبه هكتور الدويهي وشاهين كلاّس

منشورات المطبعة الكاثوليكية — توزيع المكتبة الشرقية ، بيروت ١٩٦٦ ، ٢٢٣ صفحة

في اثني عشر فصلاً يُعطينا المؤلف نظرة شاملة وعميقة في الوقت عينه على الحياة الروحية وتطويرها الى الله وفي كل صفحة من صفحاته كلام الانجيل او القديسين ونبرات حياة المؤلف في قالب جديد يساعد القارئ اليوم على الولوج في الأعماق .

وان الترجمة الرشيقة لتساعد ايضاً اذ انها لم تقم حاجزاً بين القارئ والنص فان من يطالعها يشعر وكأنه هو يكلّم الرب ويكلّم نفسه بالكلمات عينها التي استعملها المترجمان .

واننا بحاجة الى ترجمات كهذه لكتب روحية قيّمة فيها ثروة تفكير واختبار وعودة الى الاصول .

ا . ع . خ .

كتاب المعتمد في أصول الفقه — الجزء الأوّل

بقلم ابو الحسين محمّد بن علي بن الطيّب

مجموعة المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق .

هذّبه وحقّقه محمد حميد الله بتعاون محمّد بكر وحسن حنفي

دمشق ١٩٦٤ ، ٤٥٦ صفحة

كتاب عنوانه يتكلّم ويُعطينا من فحواه ما هو عليه . المؤلف البصري المعتزلي المتوفي في بغداد سنة ١٠٤٤ أعطانا في فصول مختلفة ما جمع بين الدروس اللغوية والفلسفية والفقهية فاتى كتابه غنياً واضحاً يعبّر التعبير

الواقي عن موقف المعتزلة في تحليل منطقي سوي وفي صدق عبارة ملأها المعاني التي تلوّح لنا بالمقاصد المعتزلية .

ولكنّا لا نرى لماذا لم يقدّم الناشر هذا المخطوط في درس معالمه الأساسية وفي تأكيد الجديد من الافكار التي اختزنها . ولقد اعطانا المخطوط هذا باستناد الى عدة نسخ ولكن لماذا لم يعطنا الفهارس الوافية للمفردات والاعلام الخ . ربما احتفظ بها الى ما بعد نهاية النشرة كلها .

أ. ع. خ.

وهل يخفى القمر ؟ عمر ابن ابي ربيعة

بقلم رئيف خوري

الطبعة الثانية منقحة ومزيدة – بيروت – دار المكشوف ١٩٦٧ ؛ ١٧١ صفحة

قوّة رسّام ضبط استعمال الالوان ومزجها . أسلوب مبتكر في الفنّ القصصي . وفي درس شاعرية ابن أبي ربيعة حكم صائب وبعد نظر ووقوف على حالة الشاعر الداخلية ونفسانيته . خ. ا.

خلاصة الدين المسيحي

بقلم الاب بولس الياس اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت – ١٩٦٤ ؛ ١٦٣ صفحة

كما يدلّ عليه العنوان فان هذا الكتاب مختصر العقيدة المسيحية يطرحها المؤلف على بساط تفكير من ليس بوسعهم ان يعودوا الى الموسوعات الطويلة فاعطانا في كتابه هذا الشيء الكثير على اقتضاب والآفاق الواسعة على دقة . ولن يترك القارئ هذا الكتاب دون ان يعود اليه ليرتوي من معينه . وهو في اثني عشر درساً محورها المسيح وشرعة انجيله .

أ. ع. خ.

القديس اغوسطينوس ، شرح رسالة القديس يوحنا الاولى

ترجمة الخوري يوحنا الحلو

منشورات المطبعة الكاثوليكية ، توزيع المكتبة الشرقية – بيروت ١٩٦٧ ؛ ١٦٨ صفحة

من اروع ما كتبته يد القديس اغوسطينوس مع اعترافاته شرح رسالة القديس يوحنا الاولى ولقد ضمّنها اجمل واعمق ما قيل عن المحبّة.

وكانت المحبّة دوماً في كتابات القديس أصل تفكيره ومبدأ انطلاق توجيهاته العملية لابناء رعيّته . فغدت هذه العظات العشر معيناً من التفكير والتوجيه والتطبيق العملي الذي علينا ان نستقي منه لنحيا الحياة المثلى التي يريدها الخالق لنا في غايتها .

وأتت ترجمة الخوري يوحنا الحلو سهلة واضحة تعطي الأصل ما يتطلّبه من دقّة وثقابة نظر وصفاء في انتقاء المفردات يقرؤها القارئ دون عناء . ربما تنقصها نفحة تعبّر عمّا كان في قلب المؤلف من توق الى تحريك عاطفة السامع وحمله على احتقاق ما يجب احتقاقه عملياً من الفضيلة بتلك العاطفة الجيّاشة التي تميّز كتابات اغوسطينوس .

واننا لنشكر حضرة المترجم ترجمته هذه بعد ان اتحفنا بترجمة بعض الأقسام الطويلة من اعترافات اغوسطينوس وانه ليجد في ما خلّفه القديس مؤلفات عديدة تفيد روحياً من يقرؤها فيترجمها .

ا . ع . خ .